السنة الخامسة ـ العدد ٦٠ ـ صفر ١٤٠١ هـ ـ ديسمبر ١٩٨٠ م



القاهرة

مجلة المصرية الثقافية العامة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

القرن الهجري الجديد بين آلام الأمس وآمال الغد

يحيى الرخاوي

أصدقاء الضحك القديم

صلاح عبد الصبور

اللورد مونتباتن يتذكر أحداث السويس



القرن الهجري الجديد

بين آلام الأمس وآمال الغد

د . يوسف القرضاوي

ودعت الأمة الإسلامية قرنا حافلا بالكفاح والصراع ضد الاستعمار بأنواعه من ناحية ، وضد التخلف بألوانه من ناحية أخرى ، وضد التفرق والتمزق من ناحية ثالثة ، وضد التيارات الدخيلة ، والحركات العميلة من ناحية رابعة .. وحققت بعض الانتصارات حينا ، كما خسرت بعض المعارك حينا آخر ، وحالفها النجاح في بعض المجالات وأصابها الإخفاق في أخرى .

انتصرت على الاستعمار العسكري والسياسي ، ولكنها لم تتحرر تماما من الاستعمار الثقافي والتشريعي والاجتماعي ، كما لم تزل تعاني من الشوكة الدامية التي غرست في جنبها ، وفي قلب أرضها وهي إسرائيل .

وسعت قاعدة التعليم ، فانتشرت المدارس والجامعات ، ولكن الأمية لاتزال غالبة على بلاد المسلمين ، ولازلنا عالة على غيرنا في كثير من فنون العلم والتكنولوجيا .

واجتهدت أمتنا في تطوير الزراعة والصناعة ، ولكن ما برحنا نعتمد – بصفة أساسية – على الاستيراد في سد حاجتنا من القوت اليومي (الخبز) وحاجة جيوشنا من السلاح الذي ندافع به عن أنفسنا .

ونادى المنادون بإقامة «جامعة إسلامية» أو «كتلة إسلامية» في مواجهة الكتل العالمية الأخرى ، وتعويضا عن القلعة الإسلامية التي كانت لها القوى المعادية للإسلام حتى أتت عليها من القواعد ، وهي الخلافة ، فباءت بالفشل ، واكتفوا في النهاية بإقامة «جامعة عربية» و «تضامن إسلامي» انتهى بهما الأمر إلى ما نرى ونلمس من تصدع داخل الجبهة العربية ، وتمزق داخل الجبهة الإسلامية ، إلى حد الاقتتال الضاري ، بأحدث أسلحة الدمار في البر والبحر والجو ، حتى غدا الرب وصف لهم بأنهم «أشداء على أنفسهم ، رحماء مع غيرهم ..» وصدق فيهم ما ذم القرآن به اليهود من قبل «بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون» .

وتحولت الصيحات الإسلامية في شتى الأقطار بوجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، وإحلالها محل القوانين الوضعية ، والمناداة بالحل الإسلامي ، بديلا للحلول المستوردة من الشرق والغرب ، ولا تكاد المسيرة تقترب من غايتها ، حتى تعود القهقرى ، بكيد القوى العميلة ، والحركات الدخيلة ، وتذهب تلك النداءات المخلصة المنبعثة من روح الأمة صيحة في واد ، ونفخة في رماد ، كما يقولون ، ترى ، هل يكون هذا الختام الأليم لقصة الجهاد والكفاح لأمتنا في نهاية القرن المنصرم ، داعيا إلى اليأس من مطلع الفجر ، ونحن نستقبل القرن الجديد ؟

قد يروج ذلك المثبطون والمخذلون ، وقد يسمع لهم اليائسون والمتشائمون ، الذين يرون الأمور من خلال منظار أسود ، والذين يضخمون السلبيات ، ويصغرون الإيجابيات ، أو يسقطونها من الحساب .

والذي نؤكده هنا أن منطق الإيمان لا يعرف اليأس والقنوط أبدا «إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» .. «ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون» .

وسنة الله مداولة الأيام بين الناس ، والدور الآن لنا ، والريح في صالحنا ، وقد علمتنا كلمات الله المقروءة والمرئية أن بعد الليل فجرا ، وأن مع العسر يسرا ، وأن أحلك ساعات الليل سوادا وظلاما هي التي تسبق انبثاق الفجر ..

والمريض الذي يتحول من مرحلة الغيبوبة المطبقة ، والشلل الكلي ، إلى شيء من الحركة والكلام ، يقول الناس : قد زال عنه الخطر ، ورجي له الشفاء ، فكيف إذا قام من سريره وغدا وراح ؟ وكيف إذا تحول صوته إلى هدير وزئير ، وحركته إلى عمل دائب وكفاح مرير ؟؟

يقظة الأمة

لقد خرجت أمتنا من الكهف ، ونفضت عنها غبار النوم ، وسرت فيها يقظة شاملة وصحوة حقيقية ، كان وراءها رجال مصلحون صادقون ، في أول القرن ووسطه وآخره ، قام كل منهم بجهد مشكور ، وجهاد مقدور ، آتى أكله في حياته أو بعد مماته ، وفقا لسنة الله التي لا تتبدل .

هذه اليقظة التي شملت العالم الإسلامي كله من المحيط إلى المحيط ، بل شملت المسلمين خارج العالم الإسلامي ، لم تعد مجرد يقظة شعورية عارضة ، أو ثورة شعبية طارئة ، حركها زعماء غاضبون أو قادة ثائرون ، في مواجهة الهجمة الاستعمارية ، والغزوة الصليبية الحديثة .

لقد تحولت اليقظة إلى دعوة ، والدعوة إلى حركة عالمية ، هزت الأمة من الأعماق ، وغيرت الرأي العام إلى صف

• إن منطق الإيمان لا يعرف اليأس « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

• لقد علمتنا [illegible] الله أن [illegible] للسحق المتسلق القاصر

• لم يعد مفهوم الجهاد مقصورا على تحرير الأرض بل تجاوزه إلى تحقيق « الذات الإسلامية » .

الإسلام ، وأنشأت جيلا بل أجيالا مسلمة الفكر والعاطفة والسلوك ، تعمل بالإسلام ، وتعمل للإسلام ، وتجاهد في سبيل بقائه بالنفس والنفيس ، وتلقى الغزو الفكري على يديها ضربات ، جعلته يقف مذعورا ، أو يرجع مذموما مدحورا ، وعاد كثير من دعاة « التغريب » يتملقون الجماهير المسلمة ، وبدأ كثير من المستشرقين يراجعون أنفسهم فيما يكتبون ، وطفق الشعور بالهزيمة أمام الغرب يتضاءل يوما بعد يوم ، نتيجة شعور الاستعلاء الإسلامي الأصيل .

ولم يعد مفهوم الجهاد - كما كان أول الأمر - مقصورا على تحرير « الأرض الإسلامية » بل تجاوزه إلى « تحقيق الذات الإسلامية » وذلك بتحقيق الرسالة الإسلامية : دينا ودولة ، عقيدة وشريعة خلقا وجهادا ، عبادة ومعاملة ونظام حياة .

لقد تعلق هذه الحركة الشبان ، ولقد

تكمن كمون النار في البركان ، حتى تأتي لحظة الانفجار ، فإذا هي إعصار فيه نار ، تدمر كل شيء بأمر ربها . وهي اللحظة التي تخشاها أجهزة الرصد ، وتحسب لوقوعها المفاجيء ألف حساب .

ومن دواعي الأمل :

إن الحضارة الغربية التي طغت على العالم زمنا غير قصير ، أفلست في منح إنسانها السعادة التي ينشدها ، إنها منحت للإنسان الرفاهية والمتعة ، ولكنها



● الحضارة الغربية هيأت للانسان الرفاهية والمتعة ولكنها لم تحقق له السكينة والطمأنينة

القرن الهجري الجديد بين آلام الأمس وآمال اليوم







لم تحقق له الأمن والسكينة . إنها متعت جسده ، ولكنها عذبت روحه ، أعطته أشياء كثيرة يعيش بها ، ولم تعطه شيئا ذا بال يعيش له . أعطته الوسائل والآلات ، ولم تعطه المقاصد والغايات . اكتشفت «قوانين المادة» فسخرتها وفقا لما تمليه المنفعة القومية ، لا طبقا لما يفرضه الواجب الانساني ، لأنها لم تكتشف بجوارها قوانين النفس الانسانية ، وكيف يفلح من زكاها ، وكيف يخيب من دساها . فبقي الانسان في تلك الحضارة ـ رغم تقدم العلوم المختلفة ـ ذلك المجهول، كما يقول «الكيس كاريل» .

إن الانسان هناك يعاني القلق النفسي الجمود العاطفي ، التحلل الخلقي ، التخبط الفكري ، التفسخ الأسري ، والتناقض الاجتماعي .

وهذه الظاهرات التي نراها بادية للعيان في أبناء هذه الحضارة مثل من يسمونهم «الهيبيز» إنما هي أحد إفرازات هذه الحضارة ، وبعض ثمارها .

إن هؤلاء يمثلون التمرد على مادية



● اللحظة التي تكشفها أجهزة الرصد المادية ، وتحسب لوقوعها ألف حساب

● نحن أصحاب الحضارة التي ربطت الأرض بالسماء وجمعت بين المثالية والواقعية

هذه الحضارة وإليتها .

إن حياة الرفاهية ، والأزرار الأتوماتيكية ، لم تشبع نهمهم الروحي ، ولم تملأ فراغهم الفكري والنفسي .. فانتفضوا عليها ، وهرعوا إلى حياة بدائية ، أشبه بحياة انسان الصحراء .

[illegible]

على أننا حين نبدأ مسيرتنا اليوم نحو الغد المرجو ، لا نبدأ من الصفر ، ولا ننطلق من فراغ ، فلسنا غرباء عن الحضارة ، ولا دخلاء على التاريخ ، إننا أصحاب مواريث ثقافية وحضارية ، ممتدة الأصول ، باسقة الفروع .

إننا أصحاب الحضارة التي تميزت بغايتها الربانية ، ووجهتها الانسانية ، ونزعتها العالمية ، وفكرتها الوسطية ، ونظرتها الشمولية ، وصبغتها الأخلاقية .

إنها الحضارة العربية الإسلامية ، التي ربطت الأرض بالسماء ، ووصلت الدنيا بالآخرة ، وجمعت بين المثالية والواقعية ، ومزجت المادة بالروح ، ووازنت بين الحقوق والواجبات ، وآخت بين العقل والقلب ، ووفقت بين مطالب الفرد ، ومصلحة المجموع ، في غير طغيان ولا إخسار ، استجابة لنداء الله «ألا تطغوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» .

إنها الحضارة التي سادت الدنيا عدة قرون ، وأضاءتها بنور العلم والإيمان ، يوم كانت أوربا لا ترى الضوء إلا من سم الخياط .. وكانت اللغة العربية هي لغة العلم الوحيدة في العالم ، والتي كتبت بها المؤلفات العلمية التي كانت مراجع العلماء في جميع أقطار الأرض ، وكانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء وألمعها في دنيا العلم ، وكانت جامعاتنا قبلة الطلاب في كل مكان .

الأمة والريادة

ثم إننا ـ بغض النظر عن تاريخنا ومواريثنا ـ نملك في حاضرنا من أسباب القوة والعزة ومقومات السيادة والريادة ما يؤهلنا للقيام ـ خلال القرن القادم ـ بدور مرموق في هداية البشر ، وقيادة سفينتها المضطربة بين الأمواج إلى بر الأمان والطمأنينة .

ولقد أشار إلى ذلك سمو أمير قطر في خطابه الجزل الذي افتتح به «المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية» الذي انعقد تحت رعايته بالدوحة في المحرم سنة ١٤٠٠ هـ . حين قال :

«إن أمتنا الإسلامية ، تملك من وسائل التفوق ، وأسباب الريادة ما يجعل منها القوة العالمية الثالثة ، التي تقيم موازين القسط بين الشرق والغرب ، وتكون كما أراد الله لها أمة وسطا .

تملك أمتنا أولا : الثروة البشرية .. فنحن المسلمين نبلغ حوالي ربع سكان العالم ، وللثروة البشرية دورها في بناء الحضارة الإنسانية .

وتملك أمتنا ثانيا : القوة المادية ، بموقعها الجغرافي ، ومساحتها الشاسعة الممتدة وثرواتها الهائلة ، وتكاملها الاقتصادي .

وتملك ثالثا : القوة الروحية ، بعقيدتها الصافية ، ورسالتها التي ختمت بها النبوات ، وبكتابها الخالد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وبتراثها الأصيل وتاريخها المجيد .

وكل هذا جدير أن يمد أمتنا بمقومات العزة والسيادة ، وحوافز الخير والهدى إذا هي تمسكت بعروتها الوثقى «ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم» وهو جدير أن يمدها كذلك بمضاء العزيمة لاستخلاص الحق ، وبوحدة الكلمة في مواجهة الباطل ، حتى تتبوأ أمتنا مكانتها ، وتملي إرادتها وتحرر أرضها ، وتستعيد مقدساتها ، وعلى رأسها القدس الشريف ، والمسجد الأقصى ، الذي بارك الله حوله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» .

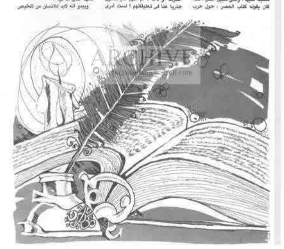
د . يوسف القرضاوي

عـــالـــم الادهـــاش

حـــافظ الجمالي

تمنيت ، مرات كثيرة ، لو ان الصحافة والمجلات الدورية ، كانت معروفة منذ زمن طويل ، ولم اتمن ذلك عبثا ، بل كثيراً ما تساءلت على ضوء احداث التاريخ العربي ، ماذا كان في وسع القوم الذين عاصروا تلك الأحداث ان يقولوا فيها ، او تعليقا عليها ؟ وعلى سبيل المثال ، ماذا كان يقوله كتاب العصر ، حول حرب الامين والمامون ، او حول قتل المتوكل ، او حول الجيش العربي ايام المعتصم ، لاحلال الجيش التركي مكانه ؟ اتراهم كانوا يقولون في ذلك ما تقوله نحن اليوم منقسمين بين مؤيد ومعارض ، او بين لائم ومحبذ ، بالكثرية تميل الى هذا الطرف او ذاك ، ام انهم سيختلفون جذريا عنا في تعليقاتهم ؟ لست ادري ولكنني اجد نفسي لا معاصرا لجزء من التاريخ العربي وحده ، بل لكل التاريخ العربي ، ولو انني لا اعيش إلا بعضه ، ذلك ان التاريخ المكتوب نفسه يعود بي الى الوراء ويجعلني أعاصر كل ما حدث في الماضي ، من العهد الجاهلي حتى هذا العهد الذي انا فيه .

ويبدو انه لابد للانسان من تلخيص



نحن شعب يحب الادهاش إما بصورة ذاتية .. وإما بصورة موضوعية

[illegible]

كل ما يعرف من تاريخ امته ، او تاريخ امة اخرى في بعض الانطباعات . ولئن سئلت عن هذه فيما يتصل بتاريخنا نحن اي التاريخ العربي لقلت بسهولة : إن ابرز او من ابرز هذه الانطباعات ، هو اننا شعب يحب الادهاش ، إما بصورة ذاتية وعن سابق تصور وتعمد ، وإما بصورة موضوعية ، وبلا تعمد سابق .

ولكي اوضح فكرتي هذه الساخرة ، اذكر ان احد كتابنا اللي الكثير من الإعجاب في تعليقاته الساخرة ، التهكمية على ما يقع من احداث . وحدث ذات مرة ان استضيف في قطر عربي اخر ، وتجمع حوله الصحفيون ليسألوه عن انتاجه ، والفكاره واتجاهاته ، وما يحب او يكره كعادة الصحفيين . وصادف ان طرحت عليه إحدى الصحفيات ، السؤال التالي :

ــ من اين ، يا استاذ ، تستمد افكارك ؟ امن نفسك مباشرة ، ام تستند إلى ... إلى شيء ما ؟ .

ويجيب الكاتب قائلاً :

ــ طبعا ، إني استند الى شيء ما .

ــ وما هو ؟

ــ إني استند الى الطاولة .

لا ريب ان كاتبنا هنا ، لم يرد إلا إدهاش السامعين ، بخفة دمه ، وحدة نكاته . لكن المقصود من السؤال ، ليس هو الذي اريد الجواب . وبالتالي فان حب الادهاش غلب على حب الاخطار بالحقيقة .

والآن اتساءل : هل هذا النوع من حب الادهاش امر يخص شخصا بعينه ، فينا او ان للمسألة وجها اخر ، يصح معه القول : إن هذا الحب ، حب الادهاش ، سمة عامة لشعبنا كله ، في الماضي ، كما في الحاضر ، لا تخلو منها اية فترة من فترات حياتنا ، وهي تتجلى بصورة او بأخرى في اكثر صور حياتنا ؟

من خلال التاريخ

واعود فاكرر القول إنه لا ينبغي ان نحسب ان حب الادهاش مقصود دوما ، او مصمم عليه بالضرورة . ذلك ان سمات الطبع تتجلى في حياتنا ، اردنا ذلك او ابيناه . وكما يقول الشاعر :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ولقد قرأت فيما قرأت قصة الفتوحات العربية [illegible] بالثناء . فلقد [illegible] وأذكر هنا ان [illegible] بالإطراء للشعب العربي . لكن الذي [illegible] هو ان المترجم [illegible] حملة [illegible] على الصغيرة والوسطى والكبيرة كما لو انه مسلم لا مسيحي ، وكما لو ان عليه ان يؤمن بديننا كما نؤمن نحن به ، دون اي فرق . فاذا خرج عن هذا الاطار اتهم بالدس ، والغرض ، والتحريف ، والتشويه . اوليس مما يدهشنا ان نرى مسلما يطالب من ليس على دينه ان يكون مسلما مثله ، دون ان يكلف نفسه هو ، مهمة التبشير ؟

وعلى كل حال ، فان غلوب غالبا ما ينهي كل فصل من فصول كتابه ، بخلاصة قصيرة ، يوجز فيها الاحداث التي روى قصتها . وعلى سبيل المثال ، اذكر بعض الخلاصات لثلاثة فصول متتابعة نقرأ فيها ما يلي :

- وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وولاية ابي بكر : حزيران ٦٣٢ .
- حملة اسامة : تموز ــ ايلول ٦٣٢ .
- هزيمة المرتدين في ذي القصة آب ٦٣٢ .
- موقعة بزاخة وهزيمة طليحة : تشرين الاول والثاني ٦٣٢ .
- معركة اليمامة وهزيمة مسيلمة : كانون الاول والثاني ٦٣٢ .
- اخضاع عمان : شباط ــ اذار ٦٣٣ .
- اخضاع اليمن ونهاية حروب الردة : ايار ــ حزيران ٦٣٣ .
- خضوع الحيرة : ايار ٦٣٣ .
- الاستيلاء على الانبار وعين التمر : خريف ٦٣٣ .
- ثلاثة ارتال عربية تغزو فلسطين والاردن : شتاء ٦٣٣ ــ ٦٣٤ .
- خالد بن الوليد يجتاز البادية : كانون الثاني ــ اذار عام ٦٣٤ .
- اشتباكات خالد مع الروم في مرج راهط ، خارج دمشق : نيسان ٦٣٤ .
- توقف الارتال العربية عند اليرموك : ايار ٦٣٤ .
- اليرموك الثانية : ٢٠ آب ٦٣٦ .
- استسلام القدس : ايلول ٦٣٧ .
- زيارة عمر بن الخطاب للقدس : ٦٣٨ .
- احتلال المدائن عاصمة كسرى : نيسان ٦٣٨ .
- فتح الاهواز : بين ٦٣٨ ــ ٦٣٩ .
- بناء الكوفة : ٦٣٩ .
- اجتياز عمرو بن العاص حدود مصر : كانون الاول ٦٣٩ .
- احتلال الاسكندرية : ايلول ٦٤٢ .

والخلاصة : إن اكبر واعظم الفتوحات العربية تمت خلال إثني عشر عاما . وكذلك فان اكبر دولتين في ذلك الزمان ، اي الدولتين العظميين التاريخيتين ، الفرس والروم قد سحقتا سحقا ، على يد جيش عربي صغير ، لم يزد عدده في احسن الاحوال ، على ستين الف جندي . اما مصر ، فيقال إن عمرو بن العاص دخلها بثلاثة الاف جندي . فلما طال على عمر بن الخطاب امر فتحها ، انجد قائده بالفين اخرين ، وكتب اليه انه ليس عليه بعد الان ان

يشكو من قلة من معه !!

ولقد ألفنا رواية هذه الفتوحات، إلا أنها ما زالت من النكهة الأولى للإحساس بها، ولاسيما لمعاصريها العرب، وغير العرب. ويكفي أن نتخيل الآن أن دولة صغيرة كالأردن - مثلا - تهاجم الدولتين العظميين في هذه الأيام، وتتغلب عليهما، وتحتل أكثر أراضيهما. أليمكن أن يوجد عندئذ ما هو أبعث على الدهشة؟ والحقيقة أن نسبة الأردن إلى هاتين القوتين كنسبة العرب الفاتحين إلى دولتي الروم والفرس في ذلك الحين.

وهناك قصة تروى عن الخليفة عمر ابن الخطاب، خلاصتها أنه تساءل عما يجب أن يفتح من البلاد، بعد فتح فارس ومصر، فلم يجد في ذلك الحين، ما يستحق عناء الحرب. ولست أدري أصحيحة هذه الرواية، أم غير صحيحة. ولكنها على كل حال ذات دلالة. إن لدى عمر شعبا متفجرا، يهدر كالسيل، ويطيح بكل ما أو من يعترض طريقه. وما هو إلا أمر يصدر منه، حتى يكون الأمر الخطير مقضيا. فلم لا يتساءل إذن عن البلاد الأخرى الجديرة بالفتح؟

العرب والإسكندر المقدوني

ولا يمكن القول: إن هذه الانتصارات الرائعة، كانت مجرد مصادفة، لأنها تتابعت باستمرار حتى عهد الوليد بن عبد الملك في عام ٧١٤م، بعد أن احتلت إسبانيا وجنوب فرنسا، وتتابعت بدرجة أدنى منها، بعد الوليد بزمن طويل نسبيا. لا ريب إذن أن الشعب العربي قد شحن نفسيا بقوى نووية، ما إن تنفجر واحدة منها وتخمد، حتى تتبعها الأخرى بنفس القوة، ومما لا يكثر حدوثه في التاريخ.

ومع ذلك فمن بالإمكان تشبيه الفتوحات العربية بفتوحات الإسكندر المقدوني، الذي نجح أبوه فيليب في توحيد دويلات اليونان كلها، بدءا من مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على الثلاثين ألفا، فضلا عما كانوا فيه من تخلف بالنسبة إلى حضارة أثينا وطيبة وغيرها من المدن الإغريقية. فلما جاء الإسكندر تابع مشروعات أبيه في فتح آسيا الصغرى، وسورية، ومصر، وفارس، وأجزاء أخرى من الهند، أطل منها على المحيط الهندي. ولا يدري أحد أين كان سيستقر به المطاف لو أن جنده لم يرهقوا بمسيراته الكبرى، وكل ذلك خلال ثلاثة عشر عاما (من عام ٣٣٦ - ٣٢٣ ق م) مقابل اثني عشر عاما للعرب. إلا أن هناك فوارق عميقة بين الفتح العربي، وفتوحات الإسكندر:

١ - أولها أن الفتح العربي عرب الشعوب المفتوحة لغة ودينا، ووحد [illegible] رابطة اللغة بين أقطار [illegible]، على حين أن عهد الإسكندر في [illegible] المفتوحة لم يمتد [illegible] سنة، بحيث استطاع [illegible] أن يلاحظ أن ألف سنة من تاريخ الإغريقية، غدت وكأنها لم توجد، أو كغريبة في الديار. فلما جاء العرب، اتصل ما انقطع منذ عشرة قرون [illegible] مسيرته القديمة.

٢ - إن العهد الهيلينستي، لم يوصف كحضارة منبثقة من [illegible]، بل كحضارة مقلدة لما سبقها، و[illegible] على حين أن الفتح العربي، انبعثت [illegible] حضارة جديدة كل الجدة، على ما استمدته من عناصر الحضارات السابقة. وخلافا لما يمكن أن يفكر به الإنسان، من أن الحضارة العربية، كانت تتجلى في التقدم العلمي أو التقني أو الصناعي بالدرجة الأولى. فإن المضمون الأساسي لحضارتنا، كان جملة قيم إنسانية تلغي (أو تحض على إلغاء) العبودية، وتوحد بين الناس، وتجعلهم سواسية، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، على حين أن عقولا كأفلاطون وأرسطو، كانت تقسم الناس إلى قسمين متغايرين، كل التغاير، بفوارق نوعية، اليونان والبرابرة، والأحرار والعبيد. إن الاعتراف بالقيمة المقدسة للإنسان، وتساوي هذه القيمة بين كل الناس، هو المضمون الأول للقيم الإسلامية - العربية، بغض النظر عن التزام أو عدم التزام السلطة القائمة، بهذه المبادئ.

٣ - لم توحد الدولة العربية في الجزيرة الأصل وحدها، بل إن ما فتح من البلاد، كله تقريبا، باستثناء بلاد فارس أصبح مع الفتح العربي أمة واحدة، ووطنا واحدا، ولو أن التجزئة قد أصابته منذ عهد بعيد. ذلك أن الطموح في كل البلاد العربية هو طموح وحدوي، لا يجد سبيله إلى التحقيق، بحكم رغبات الأنظمة القائمة. على حين أن التوحيد الإغريقي مع الإسكندر لم يتجاوز إطار اليونان. وما من أمة غير اليونان تأغرقت، وأصبحت تنتسب إلى الأمة الفاتحة.

وهكذا نجد أن "الادهاش العربي" حادثة فريدة في التاريخ، ما نظن أنها ستتكرر مرة أخرى. وبطبيعة الحال فإن هذا الإدهاش ظل قائما بعد عصر الفاتح كما قبله. أو ليست مقاومة العرب لغزاتهم وفاتحي أرضهم، وناهبي خيراتهم، وسالبي السلطة منهم، وبقاؤهم أحياء، صفي الحياة حتى الآن، حادثة فريدة ومدهشة أيضا؟ ومن ذاق من الأقدار، ما ذاقه العرب، وظل حيا من شعوب الأرض كلها؟

مكينة هي أجيالنا القادمة التي ستتساءل دوماً : متى نتقدم ؟!

الإدهاش الجديد

ولكن هل انتهى عهد الادهاش العربي عهد البطولات الخالقة في السراء والضراء ، في الهجوم او المقاومة ، في النصر او الهزيمة ، وفي تصدر التاريخ ، او الاختباء وراءه ؟ والجواب انني لا ارى لاية امة مصيرا شبيها بالمصير العربي ، وليس هذا مدحا ولا قدحا ذلك ان المصير مصير ، سواء اكان مفرحا ام محزنا ، ولكن ان يبقى تاريخ امة مدهشا باستمرار ، في الخير والشر ، فذلك من لا عهد لي به في تاريخ الامم الاخرى . وهل هنالك امم كثيرة تعاني من الداخل والخارج مثل ما عانينا ، ومازال تعاني حتى في التخلفات التي نكون فيها امام مشكلة الوجود او اللاوجود ، مشكلة الحياة او الموت ، وتاقل مع ذلك على ما هي فيه من فرقة وتنتثر ، وصراع وفوضى ؟

إنني اعود ، وكثيرا ما اعود ، الى الماضي العربي ، واتساءل ، ترى ماذا كان سيكون حال العرب لو ان فتنة عثمان لم تحدث ، ولو ان عليا لم يخاصمه معاوية ، ولو ان الامويين لم يكونوا عتاة على الطالبيين ، ولو ان العباسيين لم يسيروا في ذلك على غرار الامويين ؟ ماذا كان يمكن ان يكونوا ؟ ، لو ان الاندلسيين لم ينقسموا الى اكثر من عشرين إمارة بعد دولة الامويين في قرطبة ، ولم يحاربوا بعضهم بعضا ، اكثر مما حاربوا الاسبانيين ؟ وماذا لو ان الفرنجة والمغول لم يهاجموا بلادنا ، ولم يحرقوا فيها الاخضر واليابس ، ولم يقلبوا نهارها الى ليل ؟ ثم هل من امة غالبة كالعرب ، تعود بعد قرن ونصف القرن ، كما لو انها هي المغلوبة ، فينتزع منها السلطة مماليكها وعبيدها ، وينقلب الحاكم محكوما ، والمحكوم حاكما ، ويصبح عزيزها هو الاذل ، والاذل فيها هو العزيز ؟ لكن هذه التساؤلات عبث محض ، إذ لا مجال لجعل الاماني وقائع ، وقلب صورة التاريخ بحيث تطابق الاماني ، غير ان ما اتساءل عنه الآن ، هو الادهاش العربي ... ترى هل انتهى اوانه وزال الى الابد ، ولم يعد إلا قصة للتاريخ ؟

واما انا فمتفائل ولا ازال اتوقع يوما ... العرب ... الوطن العربي ... فوق ... عائمة من النفط ، فان غاب النفط ، حل محله الفوسفات ، وإن غاب هذا حل محله الحديد ، ويصبح العرب قوة مالية عظمى ، تدهش العالم بعملقتها المالية ، وقزميتها السياسية ، وكما كانت الجزيرة العربية موطن الادهاش الاول ، تعود الآن ، مرة اخرى ، لتكون اعجوبة مدهشة اخرى ، ترى أيفرط العــــرب بهــــذا التميز ، كما افرطوا في الماضي بانتصاراتهم فوق العادية ؟

الحقيقة اننا لا ندهش العالم بثرواتنا ، فيما تحت الارض ، فحسب ، بل ندهشه بصراعاتنا وتفرق كلمتنا امام الخطر القاتل ، والمجابهة الفاصلة بين الموت والحياة ، وبالمحافظة على حدود لم يرسمها لنا إلا الاستعمار الذي نقول : إننا نكرهه ، وندهشه بالترف والبذخ وتبديد آمال سدى ، والكرم على البلاد المتقدمة لتزيد من تقدمها ، وبالبخل على انفسنا ، لنظل ابدا في وضع البلاد المتخلفة ، ولكن السنا ممن يؤثرون على انفسهم ، ولو كانت بهم خصاصة .

وكذلك فنحن ندهش العالم بسعينا الدائب الى التقدم وبقائنا دوما حيث نحن متخلفون ممعنون في التخلف ، ونظل امناء على تراثنا لا نحسن شيئا قدر ما نحسن الصراع بيننا ، كان كل تراثنا لا يتجاوز ... ، مقولة الصراع القبلي ، وقد ... صورة الدول ، بدلا من القبائل ، ... دهشة العالم اكبر وعجبه اشد ، كان القرآن الكريم قد اوصانا بان نكون اشداء بيننا ، رحماء على الكفار ، لا العكس ابدا .

ومسكينة هي اجيالنا القادمة التي ستتساءل دوما متى نتقدم ؟ ونحن نتساءل هل من هاوية لا نحب الوقوع فيها ؟ ومنذ الف سنة واكثر تتتالى الاجيال بعد الاجيال ، يروي كل منها قصة حياته ، فيحكي ويحكي الاخرين معه ، ترى اي يوم سياتي ، ونذوق فيه الفرح ؟

حافظ الجمالي



نحو النور

● كل منا يتمنى لنفسه اشياء كثيرة ، ولكن القليلين جدا هم الذين يخططون لتحقيقها ، والاقل منهم هم الذين يحسنون التخطيط ، والاقل من هذا القليل هم الذين يحققونها فعلا ، . الكثرة تتمنى ، والتمني لا يزيد على ان يكون احلاما او ما يقرب منها ، ليس فيه شيء محسوس إلا مجيء التمني لا يقدم ولا يؤخر ، بل لعله يؤخر لانه نوع من احلام اليقظة ، قد يقنع بها الانسان ويراها بديلا عن السعي والتخطيط لتحقيق ما يتمناه ، ومجرد التمني ليس عملا على الاطلاق فهو والركود سواء ، وهو موقف سلبي من الحياة والموقف السلبي معناه التخلف ، لان الدنيا تدور وتتحرك وصاحب الموقف السلبي جامد لا يدور ولا يتحرك ، فالتمني بضاعة العاجزين

● وفريق آخر من الناس يقرنون التمني بالعمل والجد والمثابرة وهذا الفريق قسمان قسم يكافح بيذل الطاقة والجهد كالثور في الساقية يدور جاهدا وهو في مكانه حظه في الدنيا ان يلقى شر صاحبه ، فلا يسرف في ضربه وإيذائه ويقدم له من الطعام ما يقيته بلا زيادة او نقصان ، وثانيهما يخطط في فكر وذكاء وتقييم صحيح لامكاناته ومواهبه ...



د. محمد البهي

دور الأزهر في تكوين الكتلة الثالثة

الاسلام مسؤولية حضارية روحية .. غير رأسمالية اجتماعية سياسية

هناك في العالم اليوم كتلتان : احداهما الشرقية والأخرى غربية

الكتلة الاسلامية هي الكتلة الثالثة .. وهي لا شرقية ولا غربية

هناك في العالم اليوم كتلتان ، احداهما شرقية ، والاخرى غربية ، ولكل كتلة منهما مثالية ونظام فكري (ايديولوجية) خاص . فايديولوجية الكتلة الشرقية هي الاشتراكية الدولية التي تقوم على التفسير المادي للتاريخ بينما ايديولوجية الكتلة الغربية هي النظام الديمقراطي الرأسمالي . وبهذا وذاك تفترق الكتلتان بعضهما عن بعض . وليس للتقدم العلمي ، ولا للتطور الصناعي دخل في تحديد الفرق بين هاتين الكتلتين . واذن الفرق بينهما محصور في النظام الفكري الايديولوجي الخاص بهما .

وهناك بين هاتين الكتلتين رقعة فسيحة في العالم ، لها ثراؤها الاقتصادي وامكانياتها العديدة الموجودة البشري . ويجمع سكانها على ايديولوجية خاصة أي : نظام فكري اجتماعي روحي خاص . لا هو شرقي .. ولا هو غربي ، وهو النظام الاسلامي ، وتسمى هذه الرقعة بـ « دار الاسلام » . وقد جاء في مجلة نور الاسلام تحديدها لدار الاسلام ، ما يلي :

« ان دار الاسلام هي التي تجري فيها أحكام الحنفية السمحة ، وتعتبر بالنسبة لسائر المسلمين بلدا واحدا ، وبعبارة أخرى : دار الاسلام هي الاقليم الواقع تحت ولاية رئيس مسلم تجري فيه أحكام الاسلام .. فكل مملكة من الممالك الحالية يجري فيها الكثير من الأحكام التي امتاز بها الاسلام تعتبر دار إسلام ، وإن اختلفت هذه الممالك باختلاف الملك والسلطة . ولا أثر لاختلاف الدار في حق المسلمين بعضهم مع بعض ، لأن حكم الاسلام يجمعهم فالممالك الاسلامية كلها في حكم المملكة الواحدة .. والدين الذي يوجب القصاص فيقتل المسلم بالذمي والحر بالعبد ـ حقنا للدماء وصيانة للأنفس ـ لا يبيح لأهله أن يتفرقوا فيما مهما اختلفت الدار ، ولا يجوز لأهله أن يعامل بعضهم بعضا معاملة غير جائزة . فليس من الجائز في الدين أن يعامل مسلمو افريقية مسلمي آسيا معاملة لا يرضونها لأنفسهم ، متذرعين بأنها ليست موطنا لهم . فان ذلك من عصبية الجاهلية التي نعاها الله على مشركي العرب ، ولأن المسلم من أية قبيلة أو أية قارة أخ للمسلم في الدين ، ولأن الايمان قد عقد بين أهله من النسب القريب والنسب اللاحق ما أن لم يفضل الأخوة النسبية لم ينقص منها ، والمودة للمؤمن معناها أن كلا منهما ينتسب لأصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الأبدية ، والذي هو جماع الفضل ومكارم الاخلاق ومنشأ المجد والسؤدد » .

ايديولوجيه الكتلة الثالثة

وبهذا نرى أن الاسلام هو الذي يحدد الكتلة الثالثة ويحدد الروابط بينها . وسيظل العامل الفاصل في تحديدها ، مستقلا بها عما عداها من الكتل القائمة . إن الاسلام فوق أنه هداية روحية هو رابطة اجتماعية سياسية . ويمكن أن تدرك هذه الجوانب فيه من مثل قوله تعالى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ..

ومثل قوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » (١) . ومثل قوله أيضا : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » . ومثل قوله أيضا : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » . ومثل قوله أيضا : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » . « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

فمثل هذه الآيات تحدد العلاقات بين أفراد هذه الكتلة الاسلامية وهي الكتلة الثالثة ، في معاملة بعضهم لبعض ، وفي سلوكهم الاخلاقي . كما تحدد مبادىء السلم والحرب من أجل هذه الكتلة ، وفي سبيل بقائهما ، والكتلة الاسلامية اذن هي كتلة لها هدف في الحياة ، ولها رباط هو الاخاء ، ولها علاقة بالآخرين هي الرغبة في السلام إن أمنوا على أنفسهم واستقلالهم ، واللجوء الى الحرب والدفاع إن خافوا على أمنهم وسلامتهم ، وإيمانهم بالله الواحد هو شعار جماعتهم ، ومحبة بعضهم لبعض هي قواعد تعاملهم ، وعدم إيذاء الآخرين هو مسلكهم مع من يتصلون بهم من الجماعات الأخرى .

هذا هو الاسلام في تصوير مبادئه وغاياته . … الشيوعية … [illegible] … الكتلة الثالثة … الحضارة الاسلامية … في تفكيرها السياسي والاجتماعي ، والبس عليها غاية الحياة وأهدافها ، مما جعلها فريسة للمستعمر ونهبا لأطماعه . ولم يزل يوحي بعوامل الفرقة بينها وإثارة بعضها ضد بعض ، حتى كادت تفقد علاقاتها الاسلامية ، وتفقد المبادىء التي قامت عليها وحدتها في العقيدة والايمان ، وأخذت تلتمس من الغير التوجيه والقيادة . ولذا هي في حاجة من جديد إلى إشاعة الوعي الاسلامي بينها .

أدرك الاستعمار قيمة هذه الرقعة التي هي موطن الكتلة الثالثة ، وما فيها من ثروة طبيعية وبشرية وامكانيات اقتصادية ، وأدرك بالتالي حاجته الملحة الاستراتيجية والاقتصادية معا ، إلى هذه المنطقة ، ثم أدرك بعد قرون مضت من استعماره إياها ، أن سكانها قد استيقظوا وتمسكوا بمبدأ تقرير المصير ، أدرك كل هذا فعمل على التشتيت إلى مجموعات ووحدات مستقلة ، منفصلة بعضها عن بعض ومنفصل بعضها من بعض ، ولكنها غير مستقلة عن نفوذه ولا منفصلة عن أطماعه وتحقيق أهدافه فيها ، ضرب بعضها ببعض ، ولم يزل يضرب بعضها ببعض حتى هذه اللحظة ، وأنشأ فيها مدارس وخلق فيها اتجاهات تناصره وتؤيده ، ولذا هي في أشد الحاجة لأن تبصر من جديد بعوامل الوحدة بينها ، وعلائق القربى التي يجب ألا تنفصم بينها ، يجب أن يوقظ فيها الوعي الاسلامي من جديد .

إشاعة الوعي الاسلامي

وإذا كان الاسلام هو مصدر ايديولوجية الكتلة الثالثة بين الكتلتين الناشئتين اليوم ، فقوة هذه الكتلة تتوقف على قوة الوعي بالمبادىء الاسلامية والايمان بها كما أن ضعفها يرتبط بضعف تمشي الجيل بهذه المبادىء بين أفرادها وضعف الايمان برسالة الاسلام في نفوسها .

الاسلام – كما يقول عنه المستشرق الانجليزي جب : « قد انتشر انتشارا سريعا في فترة لا تتجاوز قرنين ونصف قرن » وقد كان من أبرز آثار هذا الانتشار السريع الذي تكونت خلاله الحضارة الاسلامية الكاملة أنها أثبتت حضارة موحدة ، إذ لم تكن هناك فرصة لتأثير العناصر الاقليمية المختلفة والثقافية المتباينة ، فلما انتشر الاسلام بعد ذلك لم يكن دينا فحسب ، ولكنه كان نظاما كاملا شاملا للحياة ، ولذلك نرى أن اتساع رقعة العالم الاسلامي من المحيط الهادي إلى المحيط الاطلنطي لم تؤثر في وحدة الحضارة الاسلامية على غير ما تقتضي به العادة .

الأزهر يقوم بالمهمة

وإذا كانت قوة الكتلة الثالثة تتوقف على إشاعة الوعي الاسلامي بين أفراد هذه الكتلة من المحيط الاطلنطي إلى المحيط الهادي ، وعلى قوة الايمان برسالة الاسلام – فلابد أن يكون هناك مركز ما لتوزيع هذا الوعي ودفعه ، وتأكيد الايمان بالاسلام في نفوس المسلمين . ونحن إذا اتجهنا للتفتيش عن مركز يقوم بهذه الرسالة لا نجد سوى الأزهر في رقعة العالم الاسلامي

ما يجب أن يؤديه الأزهر ليس فقط حفظ التراث الاسلامي وحده ، وإنما العمل قبل ذلك على أن يواجه به احتياجات الكتلة الثالثة

كله ، أو في موطن الكتلة الثالثة . إن الجامعات الحديثة في هذا العالم الإسلامي ، هي جامعات لا تعنى بالايديولوجية ولا بالنظام الفكري لأصحاب هذه الكتلة الثالثة . وإنما مثيلتها مما لا يصور أيديولوجية ونظاما فكريا خاصة ، وهي الشئون والرياضة وفروع الدراسات الهندسية المختلفة أو إذا عنيت بايديولوجية — فإنما تعنى بفكر منثور لا تكون نظاما فكريا متكاملا يكون شرقيا أو غربيا ، أو إسلاميا .

الأزهر وحده — وليست الجامعات الحديثة — هو مركز هذا الإشعاع . الأزهر فريد بهذه الرسالة ، لا يوجد له مشارك قديم أو حديث في إطار الكتلة الثالثة .

ومنذ أن قام الى اليوم هو مركز الرسالة الإسلامية ، سواء فيما يتعلق بدراسة تعاليمه المباشرة ، أو ما يتعلق بدراسة الوسائل التي تصحح فهمها وتصورها ، وهي اللغة العربية وما يتصل بها من دراسات .

ما يجب أن يؤديه الأزهر

ولكن ما يجب أن يؤديه الأزهر ليس هو حفظ التراث الإسلامي وحده ، وإنما العمل قبل ذلك على أن يواجه به احتياجات هذه الكتلة في التوجيه ، فيما يتصل ببقاء الترابط بينها والى دفعه نحو القوة والتماسك .

والكتلة الإسلامية لا تعيش وحدها ، بل تعيش في مواجهة الكتلتين الشرقية والغربية . كما أن المسلمين في داخل هذه الكتلة فيما بينهم الآن — والاستعمار — كما ذكرنا — فعله ، ففرق بينهم ، وأحيا عصبيات قبلية أو شعوبية فيهم . ولذا احتياجاتهم من الأزهر ، كي يعيشوا قوة متماسكة ، احتياجات مزدوجة .

● أولا احتياجاتهم لتفهم الايديولوجيتين : الغربية والشرقية من أن ينال منهم ، حتى يبقى الترابط بينهم على أساس الايديولوجية الاسلامية والنظام الاسلامي وحده .

● وثانيا احتياجهم لدفع عوامل الفرقة بينهم ، وهي العوامل المذهبية أو العصبية التي أحياها الاستعمار ، [illegible] الإسلام والعطاء فيهم .

[illegible] ولتبدو قوية مستقلة في مواجهة ايديولوجيتي الغرب والشرق .

وما يجب على الأزهر أن يقوم به كذلك هو : العمل على صهر مجموعة شعوب هذه الكتلة في الرباط الأخوي الاسلامي ، بإضعاف الفرقة المذهبية والعصبية الشعوبية .

ولذن على الأزهر أن يعرض الاسلام — لا أن يضيف الى هذا العرض جديدا — في الصورة التي عرض بها أول أيامه ، وهي الصورة النقية البعيدة عن التحريف ، وعن الإمعان في التقليد والتبعية . وهي صورة يستطيع أن يدركها كل مسلم من كتاب الله وكلام رسوله ، إن حصل — قبل ذلك — من الوسائل ما يؤهله للفهم ، كما يقول الشيخ محمد عبده في كتابه « الإسلام والنصرانية » : « لكل مسلم أن يفهم عن كتاب الله من كتاب الله ، وعن رسوله من كلام رسوله ، بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف . وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم . فإن لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما » .

وإذا عرض الأزهر الاسلام على هذا النحو أبعد شبح الفرقة المذهبية والشعوبية بين المسلمين من جهة ، كما يبعد خطر اندفاع المسلمين الى تمثل أيديولوجية أخرى ، غير التي جاءت بها رسالة الاسلام ، من جهة أخرى .

ويوم يعرض الأزهر التراث الاسلامي كله على هذا النحو ، فلا يفرق بين مذاهب هذا التراث في الدراسة ، لا يفرق بين ما هو سني أو شيعي ، ولا يقف في عرض هذا التراث عند الحد الذي وقف عليه المتأخرون من علماء المسلمين ، بل يصل الماضي بالحاضر — عندئذ يقوم الأزهر بواجبه نحو الكتلة الثالثة ، في تماسكها وصيانة بقائها ، والمحافظة على استقلالها .

الأزهر والاستعمار في مصر

هذا ما كان يجب على الأزهر أن يعمله . ولكن الأزهر — مع تقديرنا لجهوده في حفظ التراث الاسلامي — لم يعمل كل ما كان يجب أن يعمله الأزهر ، لم يشأ ولم يغن أن يتخلف عن هذا الدور ، ولكن حيل بينه وبين أن يقوم به الأزهر حوى وقهر قهرا على ألا يؤدي كل ما يجب عليه أن يؤديه في صيانة الكتلة الثالثة وقوتها وتماسكها . كان هنا : الاستعمار الغربي منذ قرون لبلاد هذه الكتلة . وكانت غاية الاستعمار هي تفتيت هذه الكتلة ، وتحول هذا التفتيت دون إضعاف الأزهر وإعاقته عن أن يكون له رسالة إيجابية في الحياة الاسلامية .

لنقرأ هذه العبارة الآتية من تقرير اللورد لويد — المندوب السامي البريطاني السابق في مصر — في كتابه : « مصر منذ كرومر » :

« إن أهمية الأزهر بوصفه مركزا من مراكز المعاداة المادية لبريطانيا كثيرة متعددة الإمكانيات . وقد أدرك الوطنيون ذلك فحاولوا استغلاله لتأييد مآربهم . وترتب على ذلك نمو روح

المعارضة الشديدة لسيطرة الانجليز على التعليم ...

هذا ما يعتقد به الازهر أحد دعاة الاستعمار . فكان لابد للاستعمار أن ينال منه وكان لابد أن يحسوقه من أدية رسالته . ولابد أن يحاول مسخه . ولكن في أية صورة ؟ لنداع اللورد لويد نفسه يحكي علينا الاسلوب الذي يجب أن يتخذ لتحويل الازهر أو لهدمه . يقول : « ان التعليم الوطني عندما قدم الانجليز الى مصر كان في قبضة الجامعة الازهرية الشديدة التمسك بالدين والتي كانت اساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا في طريق أي اصلاح تعليمي . وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الديني ، ولا يصيبون الا قدرا ضئيلا جدا من مرونة التفكير والتقدير .

فلو أمكن تطوير الازهر عن طريق حركة تنبعث من داخله هو لكانت هذه خطوة جليلة الخطر . فليس من اليسير أن نتصور أن تقدم طلابا على الازهر متمسكا بأساليبه الجامدة .

ولكن اذا بدا مثل هذا الامل غير يتيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الامل محصورا في اصلاح التعليم المدني الذي ينافس الازهر ، حتى يتاح له الانتشار والنجاح . وعند ذلك سوف يجد الازهر نفسه امام أمر أمرين : فاما ان يتطور ، واما أن يموت ويختفي .

« على أن الخطة الاولى ـ التي تقوم على اصلاح الازهر من داخله ـ لها نتيجة عظيمة الاهمية والشأن ، وان لم تكن نتيجة مباشرة (في اللقاء مع المستعمر الغربي) ، وهي أنها تؤدي بالتدريج الى اختفاء التعصب الديني الذي أخر تقدم مصر زمنا طويلا . أما الخطة الثانية ـ وهي اصلاح التعليم المدني ـ فان تأثيرها المباشر (في اللقاء مع الاستعمار) أقوى في ايجاد ما نحن في أشد الحاجة اليه من اقامة العلائق الانجليزية المصرية الى

أساسا من التفاهم والصداقة المتبادل .





« الازهر [illegible] الاستعمار [illegible] [illegible] في الفكر والتوجيه [illegible] ربط وسط الاحتلال [illegible] التابعين . واما أن يموت . وذلك بالعمل من جانب المستعمر على أن يسود التعليم المدني في مصر التعليم الازهري .

الازهر في نظر الاستعمار مركز التعصب الديني ، ومركز العداوة للغرب والاستعمار الغربي . عامة أن يسانح لا يتعصب الاسلام والقومية الاسلامية ، ويلتقي بذلك مع الغرب ويتبعه ، واما أن يقضى عليه بالفناء . وليس هناك من وسيلة لافنائه الا سيطرة التعليم المدني اللاديني ، الذي سيؤدي في نظر الاستعمار الى اقامة العلائق الانجليزية المصرية على أساس من التفاهم والتعاطف المتبادل .

« اللورد لويد لم يتحدث عن مستقبل الازهر منذ سنة ١٩٢٨ ، أي منذ أن كان مندوبا ساميا في مصر ، وانما هو يعلق على سياسة كرومر منذ نهاية القرن التاسع عشر . وان الخطة التي خطها الاحتلال البريطاني في اضعاف الازهر عن أي حال في تأدية رسالته كمركز الاشعاع قوي

والمسخ الايديولوجية الاسلامية ، وتقوية التعليم المدني أو اللاديني كان من أسباب ذلك في نظر السياسة الاستعمارية ، ورمي الازهر بالجمود والتعصب والرجعية كان وسيلة أخرى من وسائل اضعافه .

وتقوية الاستعمار للتعليم المدني واللاديني ـ حتى يسود التعليم الازهري ويغلب التعليم في الازهر ـ تمثلت في معيار الوظائف ، واختلاف التقييم المادي للمتخرجين في النوعين من التعليم حتى امتد الشعور النفسي عند المتخرجين في الازهر امتدادا عميقا ، وحتى وقر في نفوسهم أن كانت من بعد الهوة في التقدير المادي بينهم وبين الآخرين المتخرجين في التعليم المدني ـ انهم اقل قيمة ادبية واقل منزلة . وما كان لهم أن يتركوا هذا الشعور النفسي يتحول بعقد تعلق شأنهم بالحياة وهم أصحاب الثقافة الأصيلة ، الثقافة القومية الاصيلة ، الثقافة الاسلامية . ولكن ضرورات الحياة ودفع الانسان الى البقاء أثار فيهم الاحساس بالتفرقة ثم الرغبة في المساواة مع الآخرين .

وكلما تمكن الاستعمار في مصر كلما اتسعت الهوة في تقدير النوعين من المتخرجين ، وكلما شعر أبناء الازهر بأنهم أقل منزلة ، وكلما دعوا الى طلب المساواة ، حتى تصورهم الناس أصحاب دنيا ، لا أصحاب رسالة دينية اسلامية فخفت منزلتهم رويدا رويدا في نفوسهم . ويعلم الله أنهم لم يكونوا أصحاب دنيا وانما أرادوا أن يعيشوا فقط من أجل رسالة الازهر ، وهي رسالة احياء الكتلة الثالثة ، والعمل على تقويتها وتماسكها وهي في الواقع رسالة مقاومة الاستعمار .

وبتلك الصورة التي وصل اليها أمر المتخرجين من الازهر في نفوس المواطنين بلغ المستعمر غاية له : وهي اضعاف المنزلة الادبية للازهر والمتخرجين فيه في الرأي العام المصري ، ثم في الرأي العام الاسلامي العالمي ، واذا ضعفت هذه المنزلة



دور الازهر

في تكوين الثقافة ...

الاديبة له والمتخرجين فيه كان انهياره وفناؤه .

السياسة الاستعمارية في التعليم المصري عملت اذن على « التمييز » الواضح بين المتخرجين في الازهر « بوصفه مركزا من مراكز الدفاع المضادة لبريطانية » والمتخرجين الآخرين في المدارس المدنية اللادينية باعتبارها مراكز « لاقامة العلاقات الانجليزية المصرية على أساس من التفاهم والتعاطف المتبادل » عملت على هذا التمييز في الوقت الذي ترجحت فيه كل امكانيات الارض المادية الخاصة به ، كمؤسسة اسلامية عالمية كبرى ، ومن امكانيات الارقاف الكثيرة التي حبسها المحسنون من المسلمين على صيانته وبقاء التعليم الاسلامي فيه موفورا لا تمسه عادية سلطان ولا تتحكم فيه شهوات التوابع في الانفاق في مصر ، وهم من يستخدم السلطة المالية في الحكومة .

الرقابة ومحاربة الازهر

فمثل الانجليز اذن ـ وهم اصحاب التوجيه للسياسة التعليمية في مصر عن طريق القس المقيم « دانلوب » ـ على تقوية التعليم المدني واللاديني ، وعلى أن يكون لنا سيادة على الازهر . ثم استعانوا بعد ذلك بالصحافة المحلية في مصر ان تقاوم ما سموه بالرجعية والتعصب . والذي سمي بالرجعية والتعصب ان ذاك هو الازهر ، والذي سماه هو الانجليز أنفسهم . وتبنت مجلة « الهلال » الدعوة ضد الرجعية والتعصب نيابة عن الاستعمار الانجليزي . ومن يقرأ في بعض اعدادها يدرك جيدا هذه الغاية . فمثلا نقرأ في عدد نوفمبر سنة ١٩٢٤ ما يلي :

« الحضارات الشرقية تقدس الشريعة على انها ارادة واحد قهار ، لا على انها عدلا ، ولا على انها لا تتغير الا بمشيئة السيد ، وما مشيئته الا حاجة فرد نفسه ان كان ارضيا ، أو اسمية لا تفسر ان كان سماويا » .

كما نقرأ في عدد يونيه سنة ١٩٣١ ، تحت عنوان : « العلم والايمان وديانات انسانية » ما يأتي :

« ان هذه الديانة الجديدة قد انتشرت في امريكا ، وان اصحابها يقولون ان مسألة وجود الله أو عدم وجوده ليست من المسائل الجوهرية لانه [illegible] الانسان [illegible] هذا العالم [illegible] مطلوب [illegible] جميع [illegible] كما [illegible] هذا العالم هو الفردوس الوحيد الذي ليس بعده فردوس آخر ، ليوجهوا كل قواهم الى تحسينه ليصبح فردوسا حقيقيا بكل معنى الكلمة . أما وهم يؤمنون بوجود فردوس آخر افضل ، وان الانسان لزائل عن هذه الارض فهم يحرضون كل واحد على احتقار الحياة ، وعلى تصويرها بأشنع صورها حتى تصبح جحيما لا يطاق » .

وهذا الذي تدعو اليه مجلة الهلال هو ما يعرف بواقعية « أوجست كومت » الفيلسوف الفرنسي في القرن التاسع عشر . وأوجست كومت وضع فلسفته الواقعية لمحاربة الكنيسة الكاثوليكية في تصويرها للحياة الدنيا والآخرة . وأصبحت هذه الواقعية بهذا الاسلوب تقال هناك في مقابل المسيحية الكاثوليكية . ولكنها بعد ان انتقلت الى الشرق ، أصبحت تقال في مقابل الدين السائد فيه ، وهو الاسلام . وأصبحت الواقعية تساوي : لا اسلام والاسلام يساوي : لا واقعية ..

وصاحب كتاب « على هامش السيرة » يقول في مقدمة هذا الكتاب :

« واني اعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ولا يثقون الا به ، ولا يطمئنون الا اليه ، وهم لذلك يضيقون بكثير من الاخبار والاحاديث التي لا يسيغها العقل ولا يرضاها . وهم يشكون ويلحون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الاخبار ، وجده في طلبها ، وحرصه على قراءتها والاستماع لها . وهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الاخبار والاحاديث واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول . وهؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشيء لانهم سيقرءون فيه طائفة من هذه الاخبار والاحاديث التي نصبوا أنفسهم لمحوها ومحوها من نفوس الناس .

واحب ان يعلم هؤلاء : ان العقل ليس كل شيء ، وان للناس ملكات اخرى ليست أقل حاجة الى الغذاء والرضا من العقل ، وأن هذه الاخبار والاحاديث اذا لم يطمئن اليها العقل ، ولم يرضها المنطق ، ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي ، فان في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم الى السذاجة واستراحتهم اليها من جهد الحياة وعنائها ـ ما يحبب اليهم هذه الاخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم الى أن يلتمسوا عندها الترفيه عن النفس ، حين تثقل عليهم الحياة . وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الاخبار الى العقل ـ على انها حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث ـ ومن يقدمها الى القلب والشعور على انها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انفاق الوقت ، واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش » .

واذن اخبار السيرة النبوية واحاديثها ـ في نظره ـ لا تستقيم لها مناهج البحث وليست حقائق يقرها العلم ، أي لا تتصل بالواقعية . هي مثيرة فقط لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انفاق

الوقت واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش .

والـدين ـ وهو مصـدر اثارة العواطف الخيرة ، والابعاد عن بواعث الشر ـ ليس حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث ، أي ليس واقعيا !!..

وكتاب : « على هامش السيرة » ـ كما يصـور ما قيـل من أخبار وأحاديث لصاحب الدعوة الاسلامية عليه الصلاة والسلام ـ يصور مبادىء الاسلام نفسه .

وهناك اذن اتجاه العقلاء واتجاه الواقعيين في البحث ، وكلاهمـا لا يعترف بالدين ، كمصدر للمعرفة والعلم .

الواقعية وأتباع ديوي

واذا وجـدنا في الامس القريب بعض أتباع « ديوي » في مصر يصفون مناهج الدراسة في الازهر بأنهـا لا تتصل بالحياة الواقعية (على نحو ما جاء بالاهرام في ١٩٥٨/٣/١) ـ فهم يتبعون واقعية « كومت » التي رددتها : « مجلة الهلال » في وصف الازهر بالرجعية والتأخر ، والتي حاربته من أجل الاستعمار . فقد جاء فيما طلعت به الاهرام في التاريخ المشار اليه : « ان اتجاه المناهج ـ في الازهر » يبعده (أي الطالب) عن الحياة العامة ، فضلا عن انه يرهقه بمسائل كثيرة في مختلف المواد ، وبتفصيلات لا نفع فيها » كما جاء ـ كتوصية ـ « وأن تتصـل مناهج الدراسة بالحياة الواقعية وتتخلص من كل ما أصبح لا يمت الى الحيـاة بصلة » .

أية حياة واقعية للمجتمع المصري والمجتمع الاسلامي ؟ ما هو المجتمع المصري ؟

المجتمع المصري ليس شيئا يحس ، وليس أمرا يلمس ويدرك بالبصر ، انما هو مجموعة من المعاني والقيم العامـة التي تمثـل روح الشعب ومقتنيه ، وهي تلك المعاني التي

التربية الدينية
في ارتقاء بالمستوى عن النقائص
الواقعة والشعوب السائدة

تتمثل في اللغـة والدين كمبادىء وعادات ، وفي تاريخه وفي الجوانب الاخرى التي ترتبط ارتباطا اساسيا بمقومات الشعب المصري كشعب له خصائصه ، وله صـلاته العـديدة بمجموعة الشعوب الاخرى العربية والاسلامية .

ولكن الواقعية التي تقصد منا ، تقصد بحوث أتباع ديوي في مصر ـ في أيام محنة الاستعمار ـ الثقافة والتربية ـ في كتابة الاعلام عن مجال الحياة دون مناهج التربية ـ في النص من الازهر والنيل من كرامته والتصدي والتحدي لما يعتمد عليه من تراث ، وما تحيز به في تاريخ مصر ، وفي تاريخ العـالم الاسـلامي من توفر على دراسـة الاسلام .

ذكرت صحيفة الشعب في ١٢/٢ ١٩٥٧ تحت عنـوان : « الشبـاب السوفييتي يجهـل سياسة العـالم ، ومقتضيات السلوك السليم » :

قال راديو موسكو : « ان الشباب السوفييتي يعـود من المدرسـة الى البيت ، وهم يجهلون شئون العالم ، وتنقصهم مقتضيات المسلك السليم » .

ومع أن الشباب السوفييتي يجهل شئون العالم ، وينقصه مقتضيـات المسلك السليم ـ وهذا مما ينافي والواقعية ـ فأتباع ديوي في التربية لا ينعت توجيههم في التربية بعـدم الواقعية . لان الدين لا يعد مصدرا من مصادر التوجيه .

ان الاتحاد السوفييتي قام عـلى

ايديولوجية الواقعية الماركسية ، التي تأثر فيها بأوجست كومت .

وذكرت الصحيفة نفسها في ٢/٢٥/ ١٩٥٨ ما يلي :

« ان أول تقرير يضعه معهـد الابحاث الجنسية بجامعة « انديانا » منذ وفاة مؤسسه الدكتور الفريد شارلز كنج صاحب : « السلوك الجنسي لدى الرجل » و « السلوك الجنسي لـدى المرأة » ـ جاء فيه : أن واحدة من كل عشر سيدات امريكيات تحمـل قبل الزواج ، وان حالات الحمل هذه ـ ما لم تؤد الى زواج سريع تنتهي الى الاجهاض الصناعي بنسبة ٨٩٪ والى الولادة غير الشرعية بنسبة ٦٪ والى الاجهاض الطبيعي بنسـبة ٥٪ . وأضاف التقرير أن من بين جميـع النساء الامريكيات اللاتي على قيـد الحياة الآن ، وتقـع أعمارهن في الفترة الصالحة للحمل من بينهن جنينا واحـدة في كل ســبع تعرضت أو ستعرض لاجهاض صناعي قبـل الزواج ، وان معظم السيدات غير المتزوجات اللاتي يعرضن للاجهـاض يستمرون العلاقات الجنسية بعد ذلك ، و٦٪ يتوقفن منهن عن ممارستها سوى ٣٪ كما أضاف التقرير ان ١٩٪ فقط من السـيدات اللاتي يحملن قبـل الزواج يتزوجن اثناء الحمل ، ولكن نصف هذه الزيجات ينتهي بالفشل ، ثم أضاف التقرير انه كلما كانت المرأة متدينة كلما صارت أقل تعرضا للحمل قبل الزواج » .

فاي لون من ألـوان الحيـاة يريده دعاة الواقعية ؟ أيريدون أن تكون الدعوة الى الجنس أمرا مشروعا في الحياة ، وبذا تصـبح الحيـاة واقعية ؟. ان هذا التقرير المباحث الامريكي كشف عن ايجابية التربيـة الدينية في أية صورة ، وعن سلبية دعوة الواقعية في الحياة الامريكية . والتربية الدينية هي « تربية للمثل » تريد أن ترفع النفس من عادات سيئة الى عادات حسنة ، ومن تفكير سيء وقصور يؤدي الى تفكير غير سليم ، جدير بمعنى الانسانية . وذلك أمر مطلوب في الحيـاة ، ولكنه ليس متنزعا من الحياة » .

الأزهر عقبة في طريق الاستعمار .. وسبيلنا الغالية لصيانة الكتلة الثالثة وتماسكها

على رجال الأزهر أن يدركوا قيمة أزهرهم في صيانة الكتلة الثالثة وروابطها

عندئذ يكون الظفر لنا جميعا .. والقوة لكتلتنا الثالثة ؟

أيريد دعاة الواقعية في التربية والتعليم في مصر أن يبقى الشعب وتبقى الناشئة في مستوى ما عليه واقع أمرها من عادات وأعراف ، مع أن التربية السليمة هي ارتفاع بهذا المستوى عن النقائص الواقعة والعيوب الخلقية السائدة ؟

الأزهر والحياة

الأزهر ليس واقعيا حقا ، في نحو ما تصور الواقعية الدنيوية ويعنيه أتباعها في مصر . الأزهر يقوم على عرض القيم الاسلامية ، لبيان طبيعة حياة المسلمين ، وبه يتوفر على الدراسات الاسلامية أن يصور استقلال الجماعة الاسلامية ، ويحول دون انصهارها في جماعات المستعمرين الشرقيين والغربيين . الأزهر يريد مقاومة الاستعمار في أية صورة من صوره .

فقد مر الجزائر في كفاحها ونضالها ، لم تكافح وتناضل إلا لأن هناك بقية من إيمان بدينها . ولو أن شعب الجزائر اعتنق الواقعية اللادينية ، وعاش منغمسا في الاذلال والاستهانة الذي فرضه الاستعمار الفرنسي عليه ، ولم يتطلع الى المثل العليا والاستشهاد في سبيلها ، لما قام اليوم يكافح ويناضل ، ولوجد في الذلة والمهانة ما يسعده ، إذ إنه عندئذ سيكون واقعيا ، أي معبرا عن واقع حياته .

إن شبابنا الذي يدعو في مصر بالواقعية في المناهج الأزهرية هو استرسال في حملة الاستعمار ضد الأزهر وعلى الإسلام . الأزهر عقبة الاستعمار ويبقى عقبة لهؤلاء الذين ينادون بالواقعية الدنيوية ، سيصبر الأزهر ، ويشتد ما توفر عليه من دراسة التراث الاسلامي في صيانة الكتلة الثالثة وسلامتها .

الكتلة ... الأزهر في مصر ... في الثقافة ... ولهذا ... من الله ... في مناهجهم

... في مصر أن يكونوا انفسهم والذين يعيشون في المجتمع المصري قبل أن يعيشوا في أي مجتمع انساني آخر بعيد عن مصر ، وبعيد عن مقومات الطابع المصري . نريد لهم أن يستقلوا في التفكير ، وأن يطوعوا تعليمهم للمجتمع العربي . عندئذ سيدركون أن الأزهر واقعي لأنه يعني بالاسلام وبتراثه ويعني بالربط بين هذه المجموعة التي تكون اليوم الكتلة الثالثة .

إنهم ــ ساعة ينادون بالواقعية أوسمت كونت في مصر ــ انفصاليون . أي يحاولون فصل مصر وعزلها عن مجموعة الشعوب الاسلامية الأخرى ، ويحاولون بالتالي عزل مصر عن قيادة العالم الاسلامي قيادة ثقافية .

فقد نريد من شيخ الأزهر ما أراده علي أمين في « الاخبار الجديدة » في العدد الصادر في ٨ يناير سنة ١٩٥٤ وهو اليوم التالي لوصول الشيخ تاج ــ شيخ القسم العام ــ الى مشيخة الأزهر . وقد عبر عما أراده في قوله تحت عنوان (فكرة) : « وأنا أريد من الشيخ أن يعيد لمنصب شيخ الأزهر هيبته وكرامته ، فيحافظ على اللب لا على القشور ، ويدعو الى الايمان لا الى اطلاق الذقون .. »

أريد من الشيخ أن ينشر الاسلام في بلاد العالم ، لا في الصحف المحلية وأن يهتم بالمسائل الكبرى لا بالمسائل التافهة .

نريد من الشيخ أن يقول : « لا » للحكام .. فاذا سرق الحاكم زوجة شاب قال له : « لا » .. واذا أخطأ الحاكم فعليه أن يقول له : « لا » ويقولها قوية ويضغط على حروفها ويعلنها للناس . فلا قيمة لشيخ أزهر تنقصه الشجاعة أو يعقد لسانه الخوف .

نريد من شيخ الأزهر أن يكتب استقالته ويضعها في جيبه ، كلما قابل حاكما من الحكام أو ملكا من الملوك .. فالرجل هو الذي يصنع المنصب ، وليس المقعد هو الذي يصنع شيخ الأزهر » ..

ان مصر التي أوجب عليها وضعها التاريخي والجغرافي أن تقود هذه الكتلة الثالثة قيادة ثقافية ، تدرك لا محالة قيمة الأزهر في قيادتها الثقافية .

وعلى رجال الأزهر أن يدركوا أيضا قيمة أزهرهم في صلات هذه الكتلة الثالثة وروابطها ، فلا يطيعوا وصية دخيل عليهم في تعديل مناهج أزهرهم . وعليهم فقط أن يؤدوا واجب الأزهر على نحو ما أدوا من قبل ، وهو : صيانة المجتمع الاسلامي من الفرقة الداخلية ، وابعاده عن التأثر بالايديولوجيتين معا : الغربية والشرقية .. عندئذ يكونون قد أدوا رسالتهم في سبيل بقاء هذه الكتلة قوية متماسكة . ويومئذ يكون الظفر لنا جميعا ، والقوة لكتلتنا الثالثة .

هوامش على مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر

د . عيسى الناعوري

متى تعرف كل فئة منا وظيفتها لكي تتقنها ، وتفهم دورها لكي تبدع فيه ؟!

من المؤسف أن يجهل الشعراء كيف يموت الشعر في زحام التصفيق !

ما بين صباح السبت الرابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ومساء الجمعة الثلاثين منه ، استضافت دمشق الفيحاء وفود الكتاب والشعراء العرب العديدة للمشاركة في مؤتمر الادباء والكتاب العرب الثاني عشر ، ومهرجان الشعر الرابع عشر .

في المؤتمر قدمت بحوث ، وألقيت خطب ، ودارت مناقشات في ثلاث لجان انقسم اليها المؤتمر ، هي : لجنة الأدب العام ، ولجنة القصة والمسرح ، ولجنة أدب الأطفال . والى جانب البحوث والخطب والمناقشات اقيمت مآدب عامرة فاخرة : كل ليلة مأدبة على شرف الوفود ، تجلى فيها الكرم الدمشقي العريق ، ورافقت المأدبة الأخيرة ، في نادي الضباط ، حفلة فنية استمرت الى ما بعد منتصف الليل .

حفلة افتتاح المؤتمر كانت مناسبة لعرض العضلات اللسانية والحناجرية تبارى فيها الخطباء في المد والشقشقة ، حتى بلغ الأمر ببعض أن يحسبوا انفسهم في مجال المحاضرة ، لا المشاركة في كلمة افتتاح ، ومع المط والشقشقة كان لابد ـ كالعادة دائماً ـ من الصراخ والتهريج ، والتلويح بالأذرع والقبضات في الهواء من اجل استثارة ما يمكن من التصفيق . وما نفع الخطابة ان لم تلهب الأكف بالتصفيق ؟ ولماذا توجد «الجماهير» ... ان لم يكن وجودها للتصفيق للخطباء ؟! ـ

اما ما نفهمه نحن من كلمات الافتتاح فهو انها كلمات قصار خاطفات ـ دقيقتان ـ او ثلاث دقائق فقط ـ ترحيباً بالمؤتمر ووفوده ، وتحية للبلد المضيف ، وتمنياً بنجاح المؤتمر في اداء رسالته . وما زاد عن ذلك فهو لغو وزعقة في الفضاء على حساب المنصة ، وعلى حساب اعصاب المستمعين .

ولم يكن تصفيق الجمهور طبعاً ، لأن المؤتمرين قدموا «ادباً» ، او اجتمعوا ليناقشوا شؤون الأدب ، واجتمعوا متفانين على مفهوم الأدب ... هذه الأمور لا تنال التصفيق ... الدعوة الى ... الادب ... والسياسة ... وحدها ... الأدب ... سياسة ... يصفق له احد . والتصفيق ضرورة لازمة من ضرورات الادب اليوم ، ومن دونه لا ادب ولا ادباء . ولاجل هذا ينبغي أن تكون مؤتمرات الادباء (مؤتمرات قمة سياسية !) ، وأن تكون خطب الادباء وبحوثهم خطباً سياسية حماسية ، لكي تلهب اكف الجماهير بالتصفيق ـ

[illegible]

ولم يكن المؤتمر الثاني عشر للأدباء بدعاً في هذا بين المؤتمرات ، بل كان مجرد استمرار ، واقول مجرد استمرار ، لأن مؤتمرات الادباء العرب ـ منذ بعد المؤتمر الثاني الذي عقد في بلودان سنة ١٩٥٦ ، تحولت الى مؤتمرات سياسية ، تلحقها الهتاف والتصفيق وبح الحناجر وسداها التسقيط والتعيير والتهامات الخبيثة ، او ما اليها ، بحيث لا يخجل مندوب بلد عربي من التهجم على بلد آخر في مجال السياسة ـ لا الأدب ، طبعاً ـ . وقد استمرت مؤتمرات الادباء كذلك الى اليوم ، وستظل كذلك الى يوم يدرك الادباء (أن الأدب أدب وفن صادقان نابعان من النفس) وأن (السياسة سياسة مداورة وتقلب وتلون مع الظروف) .

ومتى يجيء هذا اليوم ؟ علم ذلك عند علام الغيوب !

ومن سخف الأقدار أن يجيء مؤتمر الأدباء العرب هذا بعد شهر واحد من مؤتمر آخر شاركت فيه في جامعة اوربينو ـ في وسط ايطاليا الشرقي ـ مع اكثر من مئتي اديب وشاعر وناقد من الايطاليين ومن المستطلعين القادمين من بلدان عديدة ـ وكنت الأديب العربي الوحيد فيه ـ فلم يخرج واحد منهم عن موضوع المؤتمر الى غير حديث الأدب والشعر ، والبحث الأدبي الجاد الرصين . وكان جمهور هذا المؤتمر مثلث

هوامش على مؤتمر الأدباء

بقلم حسان النمر

من طلبة الجامعة ومن سكان المدينة .

وشتان ما بين المؤتمر والمؤتمر ! وشتان ما بين المفهوم الأدبي والمفهوم الأدبي !

ومع ذلك القول إن هذه المؤتمرات يجب أن تستمر ولو لم يكن لها غير غاية واحدة - وهي في الواقع ليس لها غير غاية واحدة - هي تلاقي الأدباء وتعارفهم ، وتبادل الأفكار بينهم . وقد ثبت لي من المؤتمرات العربية التي شهدتها وشاركت فيها ، أن ما يدور من حوار في الجلسات الخاصة بين الأصدقاء غالبا مايكون أهم مما يدور في الجلسات العامة من بحوث ومناقشات .

وأهم مما تسفر عنه المؤتمرات من توصيات ومقررات ، علما بأن مؤتمرات الأدباء لا تلزم أحدا ، وتنسى بعد تلاوتها في الجلسة الختامية ، لتعود فتتكرر في مؤتمرات أخرى ، ألفاظها وعباراتها ...

ولقد حزنت فعلا ، وحزنت بمرارة في الجلسة الوحيدة التي شهدتها من جلسات لجنة أدب الأطفال ، وأنا أسمع أحد الخطباء يريد أن يقدم للأطفال (أدبا حزبيا) ، وأن يكون كل الأطفال حزبيين ، بل من حزب معين ، هو الحزب الذي ينتمي هو إليه ... يا حرام !!! حتى الأطفال لا منجاة لهم من المذهبيات التفريقية في الوطنية والقومية ؟!

أهم التحديات

كان العنوان العام الذي انعقد تحته المؤتمر هو : «الأدب العربي المعاصر في مواجهة التحديات» .

فماذا كانت التحديات التي عرض لها المؤتمر في بحوثه ومناقشاته ؟

لقد وددت أن أرى بحثا واحدا لعرض لتفصيل التحديات التي على الأدب العربي المعاصر أن يتصدى لها ، أو يشرح للمؤتمرين ولجمهور المؤتمر معنى التحدي ، وكيف يكون التحدي ، ومعنى المواجهة ، وكيف تكون المواجهة ... لم يكن ثمة شيء من ذلك على الإطلاق ، وظلت القضية في مجال الضبابيات التي يفسرها من يشاء كما يشاء ، ككل شيء في عالمنا العربي ... التعريف والتخطيط والتحديد ليست من الأمور المهمة في حياتنا ، وإنما الارتجال وحده هو المهم ، وبالعواطف الهائجة وحدها يهون كل صعب ...

التحديات التي استطعنا أن ندركها من خلال البحوث والمناقشات والقرارات هي :

١ - مقارعة إسرائيل والصهيونية .

٢ - محاربة أمريكا والاستعمار والرأسمالية .

ولكن كيف ... وبأي الأسلحة ؟ ليس هذا مهما ...

(الأدب - حسبما استطعنا أن نفهم من كثير الخطب فيه) أن يخوض الحرب مع إسرائيل بدلا من الجيوش العسكرية ، ويخوضها مع أمريكا بدلا من السياسيين والدبلوماسيين ... فلا بد للأديب إلا من مداخلته في خطبه يقول ويكرر ويردد أن (القلم بندقية) وأن (الكلمة رصاصة) وأن حاجة العرب اليوم هي إلى (القلم البندقية) وإلى (الكلمة الرصاصة) ...

ومسكين القلم ، ومسكينة الكلمة !

لم يدر بخلد أحد ممن رددوا هذا الشعار بحماسة وبحناجر واسعة صارخة أن الرصاصة بعد أن تنطلق من البندقية ، تصبح قطعة معدنية بارزة ، يلتقطها الأطفال ليلعبوا بها ، أو تراهم يلقون بها بعيدا لأنها لم تعد تصلح حتى للعب ...

ولم يدر بخلد أحد منهم أن البندقية تخدم في يد المقاتل فترة معينة ، ثم تصبح غير صالحة للاستعمال ...

فما أتفه القلم لو تحول إلى بندقية ، وما أتفه الكلمة حين تصبح رصاصة ؟

سلاح الحضارة

أما التحديات ... فهل حقا أنه ليس أمامنا غير التحديات السياسية والعسكرية ؟ هذه - لو علم الأدباء - أهون التحديات وأقلها شأنا .

لو استطاع العرب - بمفكريهم ، وسياسييهم ، وشعرائهم ، وكتابهم ، وكل فئاتهم الأخرى - أن يجابهوا التحديات الحضارية الأقل شأنا ، لما عجزوا عن هذه التحديات السياسية والعسكرية .

الحضارة المعاصرة كلها تتحدانا ، بأصغر ما فيها وبأكبر ما فيها ، من إبرة الخياطة الصغيرة التافهة ، إلى الصاروخ والدبابة والطائرة ، ولا نعرف كيف نصنعها ، ولا نفكر - حتى مجرد تفكير - في أن نصنعها بأيدينا ، وعلى أرضنا ، لنستغني بها عن الآخرين ، ولنقول إننا نشارك في صنع حضارة الإنسان المعاصر .

نحارب إسرائيل ، فنشتري حتى الرصاصة من الشرق أو من الغرب ، والشرق والغرب لا يعطياننا من السلاح ما يعرفان أن فيه تفوقا على إسرائيل ، أو خطرا عليها ، ثم حين تنفد الذخيرة الحربية من أيدي جنودنا المقاتلين في قلب الميدان ، ويمتنع الشرق والغرب عن إعطائنا مزيدا من السلاح - كما حصل فعلا سنة ١٩٤٩ ، بعد الهدنة الأولى - لا نجد سبيلا للنجاة غير الفرار . ومن هنا تلاحقت هزائمنا أمام إسرائيل ، وأمام العالم كله .

أما العدو الذي نحاربه فإنه يجد أكثر من حاجته من السلاح المتفوق من جميع الجهات التي نشتري منها نحن أيضا السلاح . ولكن العدو لا يكتفي بما ينال - وهو أكثر من الكثير - بل يصنع سلاحه بنفسه ، وفي مصانعه ، ويطوره : يصنع الرشاش ، والدبابة ، والطائرة ، ويصنع معها ذخيرتها . ويزيد سلاحه عن حاجاته الحربية ، فيبيعه حتى إلى الدول المنتجة للسلاح في الغرب . حتى اليورانيوم - مادة الأسلحة الذرية - يسرقه من أقوى دولة في العالم - أو هو على الأصح يحصل عليه بالتواطؤ لا بالسرقة - ليصنع منه أسلحة ذرية تحاربنا بها .

مهرجانات الشعر عندنا مثل غيرها من فنون القول

إنها مواسم لعرض عضلات الحناجر .. وليست مناسبات للإبداع الإنساني !

وحين نحاربه في ميادين القتال ، نجده يعرف كل دقيقة عن جميع قواتنا ، وعن استعداداتنا ، وعن أسلحتنا ، حتى عن خططنا ، وطرق اتصالاتنا ، وكلمات السر بيننا ، فيستخدم كل ذلك بذكاء ومقدرة ضدنا .

وندخل نحن المعركة ، لا نعرف شيئا عن قوة عدونا ، ولا عن خططه ، ولا عن استعداداته وأسلحته ، ونقع في الخطأ القاتل الموصل إلى الهزيمة مرة بعد مرة ، فلا تستطيع عقليتنا أن تعلمنا الحذر حتى من الجحر الذي لدغنا منه من قبل أكثر من مرة ، ثم نصرخ بعد الهزيمة دون حياء بأن العدو متفوق علينا (تكنولوجيا) ....

عقبات حضارية كثيرة تتحدانا ، ونحن نواجهها بعقلية بعيدة عن الحضارة ، فهل فكر في هذا الذين حضروا مؤتمر الأدباء الثاني عشر لمقابلة (مواجهة التحديات) ؟

وظيفة الإبداع

من المؤسف أن الذين وضعوا هذا الشعار لم يفكروا في تعريف التحديات في البداية ، ولا في ثنايا البحوث ، ولا في المناقشات ، وأخيرا لم يفكروا في تعريفها في التوصيات والقرارات ، ذلك أن المخططين كانوا من الكتاب والشعراء ولكنهم لم يعرفوا دورهم الحقيقي ، بل شاءوا أن يتخذوا لأنفسهم صفة المخططين السياسيين ، والخبراء الاقتصاديين ، والعلماء الاجتماعيين ، فكان لذلك من الطبيعي أن يضيعوا مشية الحجل ومشية الغراب معا ، وهكذا خرجوا بقرارات سياسية أشبه بقرارات مؤتمرات القمة ، ولكن دون تحديد ولا تعريف ، ولم يبحثوا في شؤون الأدب والفكر .

وصفق المصفقون ، وهتف الهاتفون ، وانتهى المؤتمر سياسية عواطفنا مثلما ابتدأ .

وأود أن أتساءل :

حتى نعرف كل فئة منا وظيفتها لكي تتقنها ، وتفهم دورها لكي تبدع فيه ، وتساهم عن طريقه في معركة الحضارة التي تتحدانا ؟

لو عرف كل منا وظيفته ودوره ، وعرف كيف يتقنها ويبدع فيها ، لاستطاعت كل فئة أن تتكامل مع الفئات الأخرى [illegible] في الحضارة ، وتصبح قادرين على مواجهة التحديات ، والانتصار عليها [illegible] والإرادة والفكر .

مواسم الشعر

ونجيء إلى الشعر ، ومهرجان الشعر . مهرجانات الشعر عندنا - مثل غيرها من فنون القول - هي مواسم لعرض عضلات الحناجر ، وليست مناسبات للإبداع الذي يدخل إلى قلوب الناس وإلى نفوسهم ، وإلى الحاسة الإنسانية فيهم .

والشاعر الذي يتلو في مثل هذه المواسم قصيدة عاطفية أو إنسانية ، يتلوها بخجل ، وهو واثق من أن المحتفلين لن يصفقوا لها ، ولن يستحسنوا أبياتها ، ولذلك قل بين شعراء المواسم من لا يعمد إلى الشعر السياسي الذي يضمن التصفيق ، وهو عندما يلقي قصيدته السياسية يفتح فمه بأوسع ما يسمح به شدقاه ، ويفتق حنجرته بكل أبعادها ، ويطلق صوته على أعلى مداه ، لأنه إن لم يفعل ذلك ، لم ينجح في استثارة الإعجاب ، وما يتبع الإعجاب من بح الأكف بالتصفيق .

ومن المؤسف أن الجو العام قد قتل الشعر ، حين جعل الشاعر يكتب قصيدته وفي خياله جمهور وتصفيق ، ويجهل أن الشعر يموت بين ضربات الأكف المصفقة .

ويقولون لك : هذا ما يريده الشعب ، والشاعر يعطي الشعب ما يريد .

ويجهلون أن الشاعر يرفع الذوق العام إليه ، ولا ينزل هو إلى تملق الذوق العام ، الشعر الذي يتملق الجماهير ، تدوسه أقدام الجماهير وهي لا تدري .

منذ عشرات السنين والانقلابات السياسية والثورات الوطنية تتشدق وتتلاحق في البلدان العربية ، ومنذ عشرات السنين والشعر العربي يشتعل ويتلاحق معها ، وامتلأت بالشعر المسارح أطنان وأطنان وأطنان من الورق وصفقت له الأكف في كل بلد عربي ، وبحت له الحناجر .

فكم من هذا الشعر عاش في الصدور والقلوب ؟

وكم من هذا الشعر جاء بمعنى جديد وصورة جديدة ، ولفظة جديدة ، وإحساس جديد ؟

شعرنا السياسي كله صرخات معارك ، ومعان مصنوعة حتى القرف .

وشعرنا السياسي كله ليس فيه الإنسان ، ولكن فيه استجداء التصفيق .

ولذلك مات ، ولذلك يموت شعرنا الصارخ المستجدي التصفيق .

وأكثر الشعر الذي ألقي في مهرجان الشعر الرابع عشر ، في دمشق ، والذي كان قد ألقي من قبل في مثل هذا الموسم من مواسم التصفيق ، كان من هذا القبيل وصرخت به حناجر ، وبحت به أصوات المنافقين ، ولكن التاريخ الأدبي سيمر فوقه وينساه ، لأنه لم يكتب في الأصل ليكون شعرا ، وليكون خالدا ، ولكنه كتب لكي يلقى في (الموسم المعهود) ....

عيسى الناعوري



عايدة الشريف





محمود شاكر
فى ساحة الدفاع عن الأصالة

حركات ثلاث .. تلك التى يسلكها الانسان اذا حالت دون رؤيته افق الشمس الساطعة جبال شماء .. فهو إما ان يدور حولها دون ان يجتبها حتى يحقق مطلبه . او ينصهر ليصبح جزءا من هذا الجبل فيرى بعينيه مايراه .. او يستجمع قواه مرة تلو الاخرى ليطلق بنفسه من هذا الجبل فيجد له منفذا .

والحركة الاخيرة هى التى اختارها رجلنا الذى نكتب عنه : العلامة الشاعر المحقق الكاتب محمود محمد شاكر . ذلك ان عبقريته كما عبقرية اقرانه من على أدهم الى عبد الرحمن صدقى وغيرهم كثيرا قد ولدت وساحة الفكر قد افترشتها اعمدة سامقة من العقاد والمازنى الى طه حسين والرافعى مستهدية بشمس زعيم فذ مثل سعد زغلول .. فكان ان يمم أدهم لينخطاهم ، وذاب صدقى فى العقاد وصولا .. اما شاكر فقد تكلف وتكلف حتى رمى اكبر اعمدتها د. طه حسين بحجر نقد .

هذا هو العلم الذى صورته ، ورسمت لى فى البداية ملامحه ، وخطوطه العريضة الكتب ، والمقالات تلك التى حفلت بمعارك لم أعاصرها) ككتاب (معارك ادبية) لانور الجندى ، كما قرأت له مقدمات كتب مثل (حياة الرافعى) لمحمد سعيد العريان ، (والظاهرة القرآنية) لمالك بن نبى .

ومن خلال هذا عرفت ان محمود محمد شاكر كاتب وشاعر ومحقق ، ثم عرفته مؤرخا ، من خلال سلسلة مقالاته فى الرسالة والمقتطف والمسلمون ، لكن ما اعتبرته مفاجأة لى تحول فى خانته السياسى ، وذلك عندما نشرت مجلة الطليعة المصرية – وثائق برنامج الحزب الوطنى الجديد لفتحى رضوان بتوقيع محمود محمد شاكر .

وقبل ذلك وبعده .. فقد تأكد لى اننى امام شخصية فذة ، وان كانت الكلمات التى تتردد على شفاه شعراء وادباء .. وعلى ألسنة علماء كثيرين هنا وفى العالم العربى والاسلامى .. تلقى فى النفس شيئا من الرهبة المبهمة ، عن عالم مقترب حد التوهج ، لاذع النبرة ، قوى الحجة دائما .. يقف عملاقا مدافعا عن العرب والاسلام .

إرث العدالة الإسلامية

كل هذا جعلنى أشفق على نفسى من لقائه .. فقد قال لى المفكر الاسلامى الجزائرى مالك بن نبى : انه لو وجد الجاحظ الان .. لترك مكانه عن طيب خاطر لمحمود محمد شاكر .. ولخص لى مفكر عربى رأيه فى ثلاث كلمات : إنه متحيز لعروبة مصر .. وأكد لى العالم السعودى عبد الله عسيلان : انه إرث العدالة الإسلامية المعاصرة .

ولما كنت ايام التقى بمعرفة هذه الشخصية موقفة لدى نجيب محفوظ فقد سألته ذات يوم : هل التقيت بمحمود شاكر ؟ فقال انه – اى شاكر – كان فى زيارة زميلى الاستاذ يحيى حقى أيام كنا نعمل معا فى مؤسسة دعم السينما ، وعندما رحت اصافحه .. استقبلنى متهللا وهو يقول : نجيب بقيت لك خطوتين وتكتب العربية الفصحى .. ثم دعانى لزيارته .. ولكن ظروفى لم تسمح لى بذلك .

عشت لتخيل هذا العالم .. لسنوات طويلة ، وكان اختيارى لهذا الاسلوب ، او ركونى اليه .. يرجع الى ان (شاكر) كان فى هذه الفترة من احتجابى . قد اعتزل الكتابة من ٥٢ الى ١٩٦٤ ، وكان قبلها قد اعتزل المجتمع ، وقد عثرت فى احد كتبه على وصف لاسباب اعتزاله المجتمع يقول :

عشت اكثر من اربعين سنة ، وانا اجاهد هذه الحياة التى احاطت بى منذ ولدت



وانيت ان افلها على علاتها ، لاني منذ بدات اعقل ما انا فيه رايتني انشأ في قطيع يساق الى المجزرة وهو فرح بها نشوان ! رايت مجتمعا يتمزق وهو منشق عن كل تاريخه الماضي .. بخطاطيف قد علقت بلحمه .. تجذبه من هنا وهنا وهناك ، لاتكاد تدركها الابصار ، ولكنها على ذلك خطاطيف كنت اجد مغرزها في لحمي ، واحس بجذبها في وجداني ، يومئذ فزعت فزعا لايطيق العلم ان يصوره في اسطر وكانه يريد !

إذا كان علم النفس ليس بدافع ولا دافع ، فالخسر للعلماء !

ثم تجيء فترة اعتكافه واعتزاله الكتابة ايضا .. فيقول بعد ذلك : ليس حسنا ان يعزل كاتب قلمه ، ولكن هذا قدر الله على ان افعل ، فنحيته عن انامله لكي افرغ للقراءة والتفكير ..

لكنه امسك بالقلم من جديد .. يشق به شرنقة الاعتكاف ، ويرد على مقالات الدكتور لويس عوض «على هامش الغفران ـ شيء من التاريخ» التي نشرت في الاهرام عام ١٩٦٤ .

خلال هذه الفترة .. جلست لاستاذي الكبير المرحوم محمد مندور ليملي على مقالة يناشد فيها الاستاذ محمود شاكر .. ان يخفف من وطاته وحدته فيما يكتب عن لويس عوض .. ويذكره بزمالتهما .. وهنا تساءلت استاذي مندور في وقفة .. لاعرف شيئا عن هذه الزمالة .. فاخبرني بانهما محمود شاكر ومندور كانا زميلين في كلية الاداب ، ولكن شاكر تركها بعد استحكام الخلاف بينه وبين الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الادب العربي ، والشعر الجاهلي خاصة ... كان راي الدكتور طه هو تعميم الشك في الشعر الجاهلي وكل ما قيل عن الحياة العربية قبل الاسلام ، وكان راي شاكر الطالب في ذلك الوقت هو البدء في دراسة النصوص ذاتها ، ومحاولة إدراك صحتها او بطلانها من خلال فحص النصوص من الداخل ، وذلك قبل طرح قضية الشك فيها

وهنا سالت مرة اخرى ، كيف يتصدى التلميذ لاستاذه .. بهذا المنطق العلمي وبهذه الغيرة المحمودة على العرب ؟ قال كلمة لم اعرف صداها إلا بعد ذلك ، انه اصغر اولاد الشيخ محمد شاكر .. ثم سكت ...

وجدت بعد ذلك اقرا في «الموسوعة العربية الميسرة» محمد شاكر عالم ديني وقاض مصري ، ولد بجرجا ، وتعلم بالازهر .. شغل منصب قاضي قضاة السودان اربعة اعوام ، ثم عين شيخا لعلماء الاسكندرية .. فوكيلا للازهر ، كان من هيئة كبار العلماء ، ومن اعضاء الجمعية التشريعية ١٩١٣ ناصر الحركة الوطنية في ايام سعد زغلول ، له مؤلفات وبحوث كثيرة .

وقد وصف شاكر نشاته في اخر كتبه فقال [illegible] الله ان افتح عيني على [illegible] عام ١٩٠٩ وعلى دار [illegible] بالثوار [illegible] من الامر يومئذ [illegible] ، ورايت [illegible] رجالا ، وسمعت [illegible] ورضيت بقلبي او سخطت ، واعانتني فطرتي بضرب من التمييز ، كان يرج نفسي رجا شديدا وانا بعد في نشوة الصبا ولم اكد حتى انطلقت اجوب مجتمعا يفور بالمتناقضات ويتشقق بالصراع المر في ميادين مختلفة ، من الدين الى العلم الى الادب الى الفن الى السياسة ... الى السنن الموروثة ، فخضت محنة زماني في اول نشاتي بنفس غضة محرجة بالتجارب .. وهنالك رجال ونساء رجال ، فرايت وسمعت ورضيت وسخطت ، وعلمت من اسرار الصراع مالم اكن اعلم .

وعندما التحق باول دور التعليم .. كان جيل «دنلوب» وزير معارف مصر ايام الاحتلال قد انتشر واستوى على سوقه ، وتولى هذا الجيل تعليمهم ، وصار له راي في سياسة بلادهم ، فلما انفجر الامر إنفجارا ووقع النزاع بين الفطرة السليمة التي تسكن في قلوب الشعوب وبين الثقافة المجتلبة التي تضرب على الاعين غشاوة وعلى القلوب سدا منيعا من الجهل والغطرسة ، قامت ثورة عام

١٩١٩ ، بيد ان هذا الصراع فهم على غير وجهه الصحيح ، لان مهارة المستعمر ودسائسه الخفية ومكره البعيد الغور جعل ظاهر الامر صراعا بين احزاب تريد ان تتولى الحكم ، تحت سلطان هذا المستعمر ، مع ان هذا الصراع في الحقيقة ، كان صراعا بين حضارتين ، ظل بينهما الصراع دهورا ، وكان صراعا بين العرب ودينهم وادابهم وثقافتهم وبين اعاجم اوربا ودينهم وثقافتهم .

هكذا نشا الفتى في تلك البيئة العلمية الاصيلة ، يشده ويقربه منها استعداد شخصي يتبلور في الشغف والنهم في كل ما يتعلق بالقراءة والتحصيل ، وقدرة على الاستيعاب .. حتى انه كان يتوجه الى دروس بعد الفراغ من دروس «المدرسة الاميرية» الملتحق بها .. وكان بالقسم العلمي ولكن الدكتور طه حسين تمكن باقتداره من اقناع احمد لطفي السيد مدير الجامعة بالحاقه بكلية الاداب .. فهو مدرك لعبقرية اللغة .. بعد قراءة «لسان العرب» وإعادة قراءة كتاب الاغاني مرات ومرات .. بجانب قراءته الواسعة الاخرى في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ .. مما اهله لان يعرف طريق النشر ، ويصبح اسما معروفا قبل التحاقه بالجامعة من خلال بحوثه وتحقيقاته وقصائده .

عندما دخل الفتى إذن الى الجامعة .. دخلها ومعه ثورة الشباب واحلامه .. دخلها ومعه كل ما قراه وسمعه من اداب امته وتاريخها واخلاق علمائها وعظمة رجالها .. دخلها ومعه ايضا كل ما كتبه المستشرقون من مرجليوث الى ليبلبو الى جويدي في الشعر الجاهلي .. ولكنه عندما سمع مصغيا الى استاذه الدكتور طه حسين .. وهيبة الاستاذية تملا قلبه وهو يردد كلماته التي تشكك في الشعر الجاهلي .. لم تاسره هذه الكلمات .. بل انقبض قلبه وانبسط ... وظنها من مرجليوث كتابا مفتوحا يقرا المتن بعينه ويسمع الحاشية على المتن باذنه .. ولكنها حاشية من نوع مبتكر مبتدع جديد مباين للحواشي التي كانت مالوفة يومئذ عند طلبة الازهر .. وتعجب الطالب لو مرة واحدة ذكر الدكتور طه اسم مرجليوث لتنجي من هذا القول الذي

أصبح حائراً كلما تكلم الدكتور طه في هذا الموضوع لقد أخذته الحيرة حتى لم يَدع له ولقلبه سكينة، فسار على الجمر حافياً.. فهو في السابعة عشرة من عمره وطالب أيضاً.. والدكتور طه حسين في السابعة والثلاثين من عمره وله أبهته وهيمنته.. فماذا يفعل !! ودارت الأيام وهو يغدو ويروح إلى الجامعة يسمع يوماً بعد يوم فقعقعة معنى الجامعة في نفسه وهو يتحفز مريد أن ينقض.. وفي خلال ذلك وجد نفسه يقف يجادل الدكتور طه في (المنهج) والشك، وضرورة فحص النص الجاهلي قبل الحكم بأنه منحول موضوع أو أنه شعر إسلامي صنعه الرواة في الإسلام.. وبينما انتهره الدكتور طه... لم استدعاه فعاقبه.. كل جميع الطلبة قد انفضوا عنه إلا طلبا من قسم الفلسفة.. وعند ذلك عرفت لم كانت تنويهات الدكتور مندور يوم سألته عنه..

البحث عن الحقيقة

ودارت الأيام وصليل المعاول يضرب في معنى الجامعة يتردد في نفسه.. ويسمع هدة انهيارها.. ومعه تهاوى كل شيء، وفلتت قدرته على الصبر فانقطع عن الدراسة، واستحصر عزيمته على أن يهجر مصر كلها لا الجامعة وحدها.. غير مبال بإتمام دراسته الجامعية.. وعزم أن يسافر إلى مكة والمدينة طلباً للعزلة.. وتلمساً للحقيقة.. ولم يفلح في عودته إليه أستاذه المستشرق نيلينو.. الذي كان يعرف كم هو على حق ولكنه رد عليه: نعم أنا مقتنع بكل ما تقوله عني وعن تسرعي وتهوري ومخاطرتي بمستقبلي، ولكني لم أكن كما وصفت إلا لشيء واحد، هو أن معنى (الجامعة) في نفسي قد أصبح أنقاضاً وركاماً، فإن استطعت أن تعيد إلى الماء كما كان، فأنا أول ساكن يدخله لا يفارقه. قال: ما هذا؟ ماذا تعني؟ وجم نيلينو، وأحس الفتى بنظرات العيون تنفذ كالسهام في جميع أعضائه وبغتة قال له الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله، مؤلف كتاب قصص الأنبياء، الذي استغله جميع كتاب العربية قال: إن هذا الفتى قال في دراسة أربعة وعشرون بوحاً



محمود شاكر بعد أداء فريضة الحج

فطارت ولم يبق إلا برج واحد، عسى أن ينتفع به يوماً ما، فيستدرج الأبراج التي طارت.

بعد يومين كان على ظهر الباخرة التي أقلته إلى جدة.. فمكة، ومنها الرحال إلى بيت الله الحرام.. فأدى العمرة.. ثم قام المرحوم بعد أيام.. ليعيد أول رسالة.. التقيا بن أبيه وفي الحرمة يعود إلى... بعد... مع... السيد... الشيخ... طه حسين... وقد يدل على ذلك... وطلع الوسيلة.

لقد كانت تحدي بواعثه عندما ولى وجهه شطر الأراضي الحجازية أن يعيش هذا الجو العربي الإسلامي على الطبيعة وأن يدرس عن قرب طريق النجاة لأمته.. علماً هناك سنوات كاول ناظر لمدرسة جدة الإبتدائية وهو في التاسعة عشرة من عمره !

وهذا نجد أن رجلنا لم يستسلم لظروفه ودرجته العلمية... بل جعلته جرأته يقفز السنين ويتخطى عمره.. وكان لسان حاله يقول: إذا كان العمالقة ينظرون إلى الأبعد فإن التحليق فوق هاماتهم.. سيجعل الرؤية أنقى والتحديق أشد وأنفذ !

وإذا كان قد شارك في صنع سعد زغلول كزعيم والعملاق تجارب إنسانية وثورة شعبية كثورة ١٩؟ فإنه قد شارك في صنع بعض أعمدتها الفكرية كطه حسين.. ملامح لشخصية تسلطت عليها أضواء وألوان وأصباغ ومؤثرات فانحصر همهم في خلق الطفاقات وليس توليد قناعات

ولكن ها هو رجلنا يحزم حقائبه ويعود إلى أرض الوطن عندما ظهرت قضية تتعلق بمستقبل الثقافة العربية كلها ممثلة في دعوة «عبد العزيز باشا فهمي» لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية.. كما حدث في تركيا كمال أتاتورك.. فخاض شاكر معركة من أعنف معاركه وأشدها ضراوة ضد أنصار هذه الدعوة ودفاعاً عن اللغة العربية حتى وئدت هذه الدعوة وأسكت أصحابها والمتحمسين لها.

واندمج صاحب هذا العالم.. في الوسط الأدبي، وخالط أدباء وشعراء ذلك الجيل ابتداء من شوقي الذي كان يلازمه أياماً وليالي طويلة، إلى أبناء جيله، يحيى حقي، ومحمود حسن إسماعيل وصديقه (العقاد) وزكي نجيب محمود وغيرهم.. وغيرهم كثير.. وتفرغ (صاحبنا) للكتابة في الصحف والمجلات الأدبية.. مثل الرسالة، والثقافة، والمقتطف... والبلاغ والزمان، ولم تصرفه المقالات المتتابعة عن مواصلة العمل في أهم جوانب حياته.. وهو نشر روائع التراث بتحقيق علمي ومنهجي مستقل، معروف عنه، ويحظى بالتقدير في أوساط العلماء..

مع المتنبي

ولكن هل تسير الأمور هادئة ؟ لا.. فكلما أوغلنا في عالم (شاكر) سوف نكتشف أن حياة هذا المفكر.. ما هي إلا سلسلة متصلة من المعارك الصاخبة.. فعندما أفردت «المقتطف» عدداً خاصاً بمناسبة مرور ألف عام على وفاة «المتنبي».. كتب أول دراسة للشخصية الشاعر من خلال آثاره الشعرية، واعتبرت فيما بعد مرجعاً أساسياً لدراسة شعر المتنبي.. كما وقد رأينا في جميع الكتب التي ظهرت بعد ذلك لاسيما كتاب الأستاذ الشاعر إبراهيم العريض، غير أن هذه الدراسة أثارت معركة جديدة بينه وبين طه حسين، وكان من آثارها أن أصدر الدكتور طه كتابه (مع المتنبي) بعد عام واحد.. ليرتفع الجدل والمقابل بين الاثنين مرة أخرى، حول شخصية الشاعر العباسي العظيم، وقضية الشعر العربي بوجه عام.. وكان شاكر، عندئذ في السادسة عشرة.. ومنذ أربع سنوات فقط.. أعاد طبع هذا الكتاب مصحوباً بكل معاركه ومناقشاته

مع طه حسين .. وكان سببا في فتح ملف هذا الجدل .. مما جعله ينشر في مجلة الثقافة .. طالبا يرد فيه على رئيس تحريرها الدكتور عبد العزيز الدسوقي .. تحت عنوان «المتنبي ليتني ما عرفته» ذلك أن الدكتور دسوقي قد علق على الطبعة الجديدة : بأنه لشيء محزن أن يصل (اللدد في الخصومة) حدا يجعلنا نسلب طه حسين أخص خصائصه ، ونتجاهل أجمل قدراته ، ونصفه بأنه «رجل جاهل» ، وليس له بصر يتذوق الشعر» ! .. مما أحزن شاكر) .. فرد بقوله: «أما عن مسألتي مع طه حسين في الجامعة فغير قادرة على أن تنشئ «بيني وبين الدكتور طه «خصومة» وأيضا ، لم تكن لها ، لا بالفعل ولا بالقوة ، في نفسي أو في قلبي ، أو في أي شيء مما أكتب ، أثر يمكن أن يحرك (خصومة) ، وإذا كنت ممن يخاصم الناس على آرائهم ، ومن يخاصم الآراء نفسها ، فأولى الناس بخصومتي هو مرجليوث نفسه صاحب المسألة .. وصاحب الفن ، أما الدكتور فلم يكن سوى ناقل لهذه المسألة .. وصاحب (حشية) على هذا المتن ، لا أكثر ولا أقل ، ولكن القصة التي تنشأت عندي أنا ، وكانت محاضرات الدكتور سببا في نشأتها يوم كنت طالبا عنده في الجامعة ، فهي (قضية السطو) على أقوال الناس وآرائهم وأعمالهم .. ثم إدعاء تملكها تملك عزيز مقتدر ، ثم الاستعلاء بهذا الملك المغصوب والاستطالة به على الناس .. وأشنع من ذلك : أن ينكشف أمر هذا الغصب والسطو .. ويتصايح به الناس ويدل الكتاب والعلماء على الأصل المغصوب كتابة موثقة منشورة .. فلا يبالي الساطي بشيء من ذلك كله بل يزداد جراءة وتيها عن سطو لم يقل ، وكأن ظهور سطوه فضيلة ترفع من قدره وتنوه به في المجامع ، أما أنا ، مع أسفي واعتذاري .. فلم أزل أعد هذا المسلك احتقارا للناس أي احتقار وازدراء بهم وبعقولهم أي ازدراء وانزالهم منزلة من لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يحس» .

ثم انتهى المقال بالرد على الاتهام الثاني : «نعم أنا قلت مرارا لا أحصيها في كتابي وفي مطالاتي عن كتاب الدكتور طه «مع المتنبي» أن الدكتور (لا بصر له بالشعر) ، في المعنى ، حتى تغلي بالشعر) ، ولكني لم أقل قط أنه «لا بصر له بتذوق الشعر» ! والجملتان غير متكافئتين في المعنى ، حتى تغني إحداهما عن الأخرى أو تقوم مقامها .. وأنا أعلم أن أهل زماننا يتساهلون في كل شيء ، ويتساهلون خاصة في التعبير ، بلا تحديد ولا تحليل لألفاظ اللغة .. وكنت أحب لك ألا تتابعهم على هذا التساهل ، ولكني أعلم أيضا أن هذه هي أيضا إحدى السنن التي سنها «الأساتذة الكبار» ، فغلبت على الناس وعلى ألسنتهم ، فأصابت منهم موقعا أغلظهم عن حقيقة الفساد الذي يجره التساهل .. ولا شك أن هذه المحنات في صورة هذا الرجل ، تؤكد لنا أنه يعيش منذ شبابه صراعا يكاد يعرفه ، كلما رأى الأمة العربية تنشق عن كل تاريخها الماضي ، تتسلل إلى مجزرة تصنعها لها الغرب وهو فرح بها نشوان .

لقد ملأت هذه الحقيقة عالم هذا الرجل لأنها تمسك بوعي حسية وجهود أدبية ومعارك إلا تشعبت لها الطرق في الدفاع عن أمة العربية الإسلامية وحجل طريقه إلى هتك الأستار المسدلة التي تحمل من ورائها رجالا فيما خلا من الزمن ، ورجالا آخرين قد ورثوهم في زماننا وهمهم جميعا كان .. أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كل الغلبة على عقولنا ، وعلى مجتمعنا وعلى حياتنا ، وعلى ثقافتنا ، وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذي بناه آباؤنا في قرون متطاولة ، وصححوا به فساد الحياة البشرية في نواحيها الإنسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية والفكرية ، وردها إلى طريق مستقيم علمه ذلك من علمه وجهله من جهله .

فكتب وانتقد وحقق وعلق في كل جبهات ومنافذ تسلل الثعالب» وسد ثغرات لا يستهان بها من كتبه «طبقات فحول الشعراء» ، «الوحشيات» ، «شرح ومراجعة أشعار الهذليين» ، «المكافأة وحسن العقبى» ، لأحمد بن يوسف الكاتب ، «إمتاع الأسماع للمقريزي» ، «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير ابن بكار ، «تفسير الطبري» في خمسة عشر مجلدا ، ولا يزال مثلها تحت الطبع .. كما صحح وضبط وشرح مع أحمد أمين وعلي الجارم كتبا كثيرة مثل المكافأة .. وغيره .. إلى جانب إشرافه ضبطا وتحقيقا على أعداد المقتطف وربعرر دايجست التي كان يقوم بترجمتها كبار الأدباء من العقاد والمازني إلى د. محمد عوض محمد وألف كتاب المتنبي (جزءان) وأباطيل وأسمار .. وقصيدته الملحمية القوس العذراء .. كما عرفنا .

نقطة ضوء !

كل هذا يدلنا أن عالم محمد شاكر ليس من النوع المألوف .. الذي نقرأ عنه في مجالاتنا المعاصرة .. إنه صورة .. لا بل هو جزء من مجالس العلم القديمة التي يصلنا شذاها من خلال صفحات أمهات الكتب العربية ، تلك المجالس التي أضاءت بمصابيح العبقرية العربية أبهاء الفكر متمثلة في علمائها ورواتها وشعرائها وفقهائها .. وكل من انتظم في ذلك العقد الفريد ، من هؤلاء الرجال العظام .. الذين مكنوا لكل ما هو عربي أصيل في هذه الأرض .

وهذا كله وإن أرهقني فترة طويلة عن تقاله إلا أنني تحت وسطه على فتلة ضوء أضاءت لي طريقة في الولوج إلى هذا العالم .. وهي أنه إذا كان جيل العمالقة قد حال دون وصول الضوء إلى من بعده فغيم عليهم .. إلا أن هذه الغيمة كانت واحة هادئة للذين أتوا معهم أو من بعدهم على اختلاف مشاربهم .. وقد تجلى كل ذلك في اعترافاتهم الصادقة .. فأنت عندما تقرأ السيرة الذاتية ليحيى حقي التي تصدرت أعماله الكاملة تجده يقول : «واثناء عملي بديوان وزارة الخارجية .. كانت الكتابة بالنسبة لي خاطرا غير تام الأدوات ، ولكن عندما توثقت صلتي بالمحقق المحلل الأستاذ محمود شاكر ، وقرأت معه عددا من أمهات كتب الأدب العربي القديم ودواوين شعره .. انفتح الطريق أمامي .. ومنذ ذلك الحين وأنا شديد الاهتمام باللغة العربية وأسرارها وبيانها وسحرها ..

وقال لي الأستاذ الشاعر محمود حسن إسماعيل «رحمه الله» يوم سألته عن تأثير شاكر عليه : لا أستطيع تحديد أبعاد ما جرته من عمالقي محمود شاكر

• طالبه الدكتور لويس عوض عندما اتهمه بالوثنية ضد كل جديد

منذ عام ٣٦ .. لقد رجع بي الى الشعر الجاهلي واملاني مع الشعر الأموي وطوح بي مع الشعر العباسي فاختلا بي لحم عنداء بالشعر كافة واستطيع القول انه من غير شاكر كان شعري هو النبع الهادي فجعله كالبحر المتلاطم ..

وهاتان الحقيقتان .. إن دلتا على ان هذا الرجل كان كالسور على كل ما هو صالح وأصيل .. إلا انهما تتباعدان مع حقيقتين أخريين .. لم يكن الرجل فيهما البقاء على كل وارد او معارض كما حدث في رده على لويس عوض بكتاب «أباطيل وأسمار» او اخيرا كتابه «برنامج طبقات فحول الشعراء» الذي كان أصله رسالة موجهة الى مجلة المورد التي تصدرها وزارة الثقافة العراقية ، تعقيبا على مقال نشر في نقد كتاب شاكر «طبقات فحول الشعراء» كتبه الدكتور علي جواد الطاهر ..

وهذا كله يدل أن هذا الرجل لم يفعل في حياته إلا البحث والاستكشاف فاذا حدث ووقفت عيناه على شائبة اندفع بالعصا الى استئصالها من بحر الرواق .. وفي الوقت نفسه اغنى المكتبة العربية كما قال الدكتور عبد العزيز كامل .. بكتابين مغريين ..

ولعله من الاحاطة بمكان أن نذكر أن لويس عوض عندما جمع مقالاته المنقودة من شاكر في كتاب «على هامش الغفران شيء من التاريخ» اعترف في مقدمته .. بأنه كان من الممكن أن يستفيد من ملاحظات شاكر لو انه كان اهدأ نبرة وأخف وطأة .. ولكنه عاد عام ٦٧ ووجد ان هذه الكلمات لم تشف غله من شاكر ورؤيته في امور الحياة المعاصرة ... فصوره في كتابه (المحاورات الجديدة) على انه مجاهد بن الشمخ ـ وهو اسم استلهمه الدكتور ولنس من قصيدة شاكر الملحمية «القوس العذراء» ـ وجعله العربي التقليدي الذي يهش في وجه كل جديد منهما إياه بالسماحة .. ويصيح في وجه كل وارد .. بأنه من أفعال المبشرين او انه مؤامرة صليبية : تذكروا ميرنطة ، هؤلاء هم اعداؤنا التقليديون قولوا معي فلتسقط صولون وأهل صولون ، او : إنني سلفي وافخر بأنني سلفي .



محمود شاكر يداعب ابنة ابنته فريدة فهر

وبذلك يكون الدكتور لويس قد فشل لأنه خلط في تصوير شاكر بين الاصالة التي يدعو اليها رجلنا وبين التقليد الذي يتصوره لويس عوض تجنيا ولا نعرف بعد إن مثل الدكتور علي جواد طاهر .. لأن كتاب شاكر معه قد نفد الشراء .. وإن كنا نعرف أنه ... عن الموضوع الذي ... في معرفتي بشاكر ولقائي الأول معه ..

لقد استمر بي الحال طويلا .. اتهيبه من خلال تقدير لا حد له ، وأحاول أن إعرف المزيد عنه ، لايعلمني بأن ذلك .. هو الخطوة ... الى اللقاء الذي أحلم به .. فعشت تحديه ومراجعته للدكتور عبد القادر مكاوي على صفحات مجلة «المجلة» حول مفهوم (جوته) للأدب العربي بوجل شديد ..

واخيرا وجدتني .. بكل الاعجاب والتهيب ، في الطريق اليه .. حيث بيته او مدرسته الفكرية على الأصح (شارع حسين المرصفي) بمصر الجديدة .. وكان اللقاء ، ورغم أن الصديقين محمد عودة والدكتور محمد يوسف قد صوبوا لي ما رسمه الخيال ، عندما تصورته معهما ، وانه يوما ما كان يطيل لحيته ـ وهو كذا الآن ـ إلا هيبته لم تفت تقري ، بقدر ما استحوذ علي بالفعل وللوهلة الأولى بساطته الواضحة وتواضعه الاصيل ..

وأخذ هو .. يزيح عني الخجل والدهشة ببشاشته .. وطفولته الكبيرة ، حيث حاولت اخفاءها .. بالتجوال بالنظر .. في تلك الكتب المتراصة التي تغطي جدران البيت كله ، والتي تضم كل ما يخطر او لا يخطر على البال من كتب الثقافة ..

وسألني عن لقبي «الشريف» فاعدت على مسامعه متلعثما ما كان يقصه على والدي من هذه الشجرة العائلية العربية ويستوضحني عن البلدة التي أتينا منها فقلت جرجا، وهنا تهلل وجهه .. يقول : قطعا نحن اقرباء .. فأنا أيضا من جرجا ، وأخذ يشرح للضيوف وجلساء الندوة .. انساب العائلات العربية التي نشأت في مصر ، في تمكن واقتدار ..

وعرفت .. بعد توالي الزيارات ، ان وداعته الأولى معي .. كانت من باب حسن الإستقبال والضيافة العربية ... فبعد أن أصبحت جزءا من مجلس «الجمعة» حيث يفد الاصدقاء القدامى ، والأصدقاء الذين كانوا تلامذة له .. عرفت عادة من أشهر عاداته ، إذ كان يصوب حتى السؤال الذي يطرح .. قبل أن يجيب عليه .. يوما سألته عن التراث العربي .. فقال لي : ليس هناك شيء بهذا الإسم .. لأن التراث يقال إذا كانت هناك حضارة اندثرت .. ونتكلم عنها الآن .. أما الحضارة العربية فهي متسلسلة وليست تراثا .. ثم تتعاظم نبرته وهو يشرح أدق التفاصيل ، ولا يرجع الى هدوئه بالانتهاء من التصويب ، وبيان أوجه الخطأ .. ورأي العرب في ذلك .. ويصبح اكثر وداعة ورقة .. عندما تظهر ابتسة

من مذكرات ناهدة ربيع شيران

(زافي) ـ وهي دقيقة التركيب وحادة الذكاء أيضا أو ابنه (فهر) .. ولا شك أن هذا الطبع يدل على ملمح في شخصيته ألا وهو أنه أخذ الفكر شوطا لنساء حتى الزواج إلا الخيرة .. ففهر في الخامسة عشرة من عمره وزافي في الحادية عشرة من عمرها ..

• (زافي) تعيدني دائما الى مقدمات كتبه التي يستهلها دوما بقوله «الحمد لله وحده لا شريك له ـ حمدا يقربنا الى رضوانه ، وصلاة الله على نبيه المصطفى من أبناء الرسولين الكريمين ، ابراهيم واسماعيل ، صلاة توفقنا الى جنته» .

وعندما رددت اسم (فهر) بلغتي بيني وبين نفسي ، أحاول تذكر مكانه بين أسماء العرب ، فقفز والده على تفكيري .. وكأنه كان يقرأ ما يدور بخلدي : «هو قرشي جد محمد صلى الله عليه وسلم» وهنا أيقنت أنه فضلا عن علمه الواسع الغزير .. يتمتع بفراسة قوية !

وعدنا أحاول أن أستأثر به ولو بعض الوقت ، من قصائده وشريديه لأستزيد من تلك الحياة العميقة ، لا سيما وقد قدمت بعية أجزاء حديث معه .. ويشعر صديقه الدكتور ناصر بموقفي .. فيسارع لإنقاذي .. والدكتور ناصر الأسد .. هو الوزير المفوض بالجامعة العربية .. يومها .. ومؤسس الجامعة الأردنية وأول مدير لها .. بدا معي ، بأنه تعرف على الأستاذ محمود شاكر عام ١٩٥٢ .. بعد انتهائه من اعداد رسالة الماجستير .. وبداية تحضيره للدكتوراه .. وكنت أعرف عنه الكثير ـ الكلام للدكتور ناصر ـ من خلال قراءة مجلة الرسالة ، ومن كتابه الذي أصدره عن المتنبي ، وكان بيته منذ زمن بعيد ، كعبة القصاد من العلماء والأدباء وطلبة العلم والمتأدبين .. والعجيب أنني من أول زيارة له ، شعرنا معا بهذه الرابطة الخفية التي تجمع النفوس والعقول .. حتى أنني قبيل مغادرتي لداره ، رن في مسمعي رغبته أن (تمتد) المودة بيننا .. وبالفعل فقد قامت بيننا صداقة استمرت كأعمق ما تكون الصداقة بين اثنين .. وقد أفدت من هذه المجالس .. ما لم أفده من مجلس علم آخر في جميع مراحل حياتي .. لا أستثني من ذلك مرحلة دراستي في الجامعة .. ولقد مرت على هذه الدار أوقات كانت تمتلئ فيها بطلاب العلم الذين يفدون الى القاهرة من مختلف البلاد العربية والإسلامية .

واذكر أننا في بعض تلك المجالس كنا نقرأ على الأستاذ شاكر كتبا من أمهات روائع أمتنا .. ولن أنسى طريقته الفذة في شرح (الأصمعيات) وهو مختارات من الشعر العربي ، وانني أستعمل كلمة شرح مجازا هنا ، لأنه لم يكن شرحا بالمعنى المتعارف عليه ، بل كان إحياء حقيقيا لهذه المختارات ، وكأن محمود شاكر هو الشاعر الذي انبثقت منه القصيدة ، فكان يغوص في أعماق وجدان الشعر ويستخرج كوامنه ، ويعيد تركيب أبيات القصيدة .. بحيث تحس نبض كل كلمة فيها وبالاطار العام للصورة الفنية والوجدانية التي كانت تختلج في نفس الشاعر [illegible] ما كان يقوله في تلك المجالس [illegible]

[illegible]

وقد تحققت من كلمات الدكتور ناصر ـ عندما وصلت الى الكويت حيث أعاد على مسمعي الدكاترة الأخوة يعقوب عبد الله ومرزوق الغنيم .. والأستاذ صالح العجمي مدير ادارة تعليم الكبار .. وجمعة ياسين أحد رجال التعليم الذي تحول الى السياسة والأستاذ جاسم المطوع ـ رئيس تحرير جريدة الوطن ـ نفس كلمات الدكتور ناصر وبنفس ترتيب الكلمات أيضا .. وإن كانوا أضافوا أن الأستاذ شاكر لم يكن يتحلى إلا بعد فترة من المداعبات الطويلة .

ولكل هذا نستطيع القول إن العطاء الفكري الأكبر لهذا الرجل ، لم يكن من خلال الكتابة ، بقدر ما كان من خلال تلاميذه المنتشرين على الأرض العربية ، وأصدقائه ، وعارفي فضله ومكانته .

وتحرص الذكريات الى صداقته العميقة (للرافعي) وتفنيده فيما بعد لكتاب (سعيد العريان) عنه .. ثم دفاعه عن الرافعي ضد أحد تلاميذ العقاد .. مما جعل العقاد يظل لمدة طويلة يعتقد في تعصبه للرافعي ، حيث اكتشف فيه بعد صداقتهما ـ حرية الرأي وموضوعيته العلمية التي جعلته أكثر إنصافا للعقاد من بعض تلاميذه ، وتوطدت صداقتهما واستمرت حتى غادر العقاد عالم الأحياء ..

وقد تأكدت لدي موضوعية شاكر ـ عندما أخذت أتصفح كتبه وأعرف طريقي اليها بسهولة .. فلمحت يوما إهداء المرحوم اسماعيل مظهر له .. فكشفت مدى المودة التي تربط بين رجلين أحدهما ـ محمد شاكر ـ متدين والآخر ـ اسماعيل مظهر ـ متحرر في فكره .. وليس ذلك بغريب عليه فهو يأنس الى الناس من مختلف الاتجاهات الفكرية ، ولا يخلط بين العلاقات الشخصية وتعارض الآراء ، ويحتفظ بتقديره الكامل للآخرين .. مهما كان خلافهم معه في الرأي .

قلت يوما للأستاذ شاكر : في طريق حضوري اليك صادفت الدكتور عبد الغفار مكاوي .. وعرضت عليه أن يحضر معي فقال : «أذهب لزيارة من جعلني أتلف الإمساك بالقلم لمدة سنتين» ، فقال شاكر : كان يجب أن يحضر معك فلا يفل الحديد إلا الحديد ! عندئذ لاح في خيالي صورة شرارة متناثرة من ارتطام محمود شاكر بالأستاذ عبد الله القصيمي الذي كتب كتاب «العرب ظاهرة صوتية» . فهمست بها لتلميذ شاكر الشاعر الحساني حسن عبد الله .. فنهاني عن إحداث مثل هذا اللقاء الذي لن يتم أصلا .. ولكنني عندما أوضحت بهذه الرغبة للأستاذ شاكر قال : ولماذا لا تصحبيه معك .. إنه رجل فاضل .. كتب أعظم كتاب عن الشيعة .

وإذا كنت أنا لم أحقق هذا المطلب لنفسي .. فقد حققت مطلبا آخر أكثر منه جدوى .. فقد اصطحبت له يوما الروائي .. عبد الرحمن منيف .. وعلى الفور .. فكان هذا المشهد ..

تكلمنا في موضوعات شتى .. ثلاثة أطراف متناقضة .. الثقافة والطبع والاهتمام .. وحدة وعلى غير ميعاد .. توقف الحديث عند جمال الدين الأفغاني .. وجدت ثلاثتهم يتساءلون في نفس واحد : إن دراسة شخصية هذا الرجل

غريبة .. واندفع شاكر يلقي بعض الغيوم على هويته ودوافعه مضيفاً الى هذه الغيوم : إن مذكرات ابن أخيه عنه ذكرت أن هناك شهرين من السنة كان يغيب فيهما الأفغاني عن خريطة الوجود المعروف لدى عارفيه والمتحلقين حوله .. ويتوه على أذهم : إن السلطان عبد الحميد - وكان شقاقه مع اليهود وهيرتزل على أشده - قد قتله بعد معرفته شخصيته !!

ودعاني الله الحديث الى استرجاع ما قرأته عنه وعن ميلاده غير المعروف .. قالوا مرة أنه ولد في إيران .. ومرة أخرى في العراق ولكن من أين أتى اسم الأفغاني .. مع أنه ليس منها .. أي من أفغان ؟

قادتني الصدفة بعد أيام الى زيارة الأستاذ محمد المويلحي حفيد المويلحي مؤلف (عيسى بن هشام) في حلوان .. لفت انتباهي أحد جدران الغرفة حيث بدا أن هناك صورة قد نزعت منه .. وعندما سألته قال لي أنها صورة جمال الدين الأفغاني .. ذلك الرجل الذي لحا يوماً الى بيتنا بينما كان يتعقبه بعضهم بالحجارة وأوبناه آنذاك .. وبعد اطلاعي على أسرار الأفغاني .. وتكشف أمره من خلال ما كتبه جوي قبل موته ندمت على ما قدمناه من معروف لذلك الرجل الذي لا يستحق .. فقمت بنزع صورته من على الجدران وقذفت بها بعيداً !!

وإذا بحثت أنا عن الحقيقة الشافية لشخصية الأفغاني .. فإني قد قرأت أخيراً .. مثل قوة الحركات للانسان إذا حالت دون رؤيته أفق الشمس الساطعة جبال شماء .. تستطيع لا أن تقذف الجبال لنفسها .. بل الشمس المشعة نفسها .. أي أن اجتماع شاكر وصدقي وأدهم لم يصل لقذف الجبل العملاقة من العقاد والمازني الى طه حسين والرافعي .. بل رمت قسائدهم الشيع أيضاً جمال الدين الأفغاني .

.. معاً الى بيت الله

وإذا استلفت محمود شاكر من بين هذه الرفقة وهذه القضايا .. لأكمل موضوعي عنه .. فإني أذكر أن ما حظيت برفقتي به .. بقومه كل ما ذكر وعرف عنه



محمود شاكر

ليس من زاوية العلم .. ولكن من ناحية إيمانه .. فقد صاحبته في رحلة الحج الى بيت الله .. فرأيت كيف يتحول العملاق الى طفل يرتجف من لقاء الله عز وجل .. لقد كان بكاؤه الطفلي يخرجني من أفكاري بالجو الأثيري الذي رسمته المناسك .. وخرجت منه بالفعل .. عندما جمع الأستاذ شاكر وهو في شدة بكائه الوجل .. أوراق التلبية من بين أصابعنا ليخرج من حقيبته غير الحقيبة فلما يشطب به كل تلبية زائدة عن الموجب .. قبل ذلك على أن الاتجاه الروحي لم يبعده عن الحقيقة لحظة .. وكان هذا الرجل يحب يقف القوس .. ويتصرف بعقل الطفل في أي بيوت .. وعرفت الاخرى الآخر .. عندما وصلنا الكويت .. تتعرف الى شكله .. سمعنا جثمته وأغنيته وورتيبة .. وحمايته وجوديا وشعود سيسيقة الشاعر العراقي الكبير .. محمود حسن إسماعيل الذي تقدم يحيى مسبق الخلافة الكبير ويستخلفه الا يترك موقعه .. متصدياً كعادته لأعداء ثقافتنا وعروبتنا وإسلامنا .. قال فيها :

وأراك أنت لك لتح موجها
والهادر المشبوب في شلالها
وأراك أنت عليمها وكليمها
والحاذر الشبهات في أسدالها

والشاعر هنا .. استطاع أن يرسم بمقدار الملامح الإنسانية في صورة صاحب عالمنا هذا .. محمود محمد شاكر .. الذي يعيش منذ شبابه صراعاً لا يزال يحتدم في نفسه ويملأ عالمه قلقاً متصلاً وكأنه بسبب علمه الواسع الغزير وتوهج فكره .. يلتقي بهذا العلم .. وبمعرفته التي حولها .. عن انتمائه للأمة العربية وتاريخها .. ويتمزق على طريقة !! يكاد يعطي الأمل في الخروج من هذا التمزق الفكري .. ولعله لم يجد مخرجاً من ذلك كله .. وقد عجز أن يشد بمفرده الازدهار القديم الى الحاضر .. أو يدفع بالحاضر

الى مستقبل يحلم به ويتمناه - إلا أن يحيا على بيئة من الأمر وحدهم .. وليس من سبيل أمامه سوى أن ينفض عظائم الفكري فوق كتبه فيشحن بروحه روح تلامذته وأصدقائه المنتشرين على الأرض العربية والإسلامية .

وهذا هو ما قاله في مقدمة قصيدته الملحمة «القوس العذراء» : يقول يصنعها رسول الله في زمنه يكاد ينهي كل شيء حياته .. ورسمت قلبه مدى لطريقة .. إذ قال : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .. وقال : إن الله كتب الإحسان على كل شيء .. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة .. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة .. وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته .

فقطر الى أي شيء الله فاراد أن يتقن الناس ما يصنعون وأحسنوا ما يعملون - كل هذا يؤكد لنا أن محمود شاكر ليس شخصاً عادياً .. وإنما هو طراز من المكونين لا يرى إلا الإحسان في كل شيء .. والحقيقة الخالصة في كل مكان وهذا يدعونا الى القول إن العلامة والشاعر المحقق محمود محمد شاكر .. كان صفوة سيكون اسمه أو أنه ولد في غير عصره .

وإذا قال قائل .. إنما يعاني الإنسان بعصره .. لأن لكل عصر ظروفه الخاصة .. فلو وجد أديب ما أو أحداً من عصر من العصور السابقة في عصر آخر بعده .. لم يصادف النجاح الذي صادفه بعصره .. لأن الحياة في تطور ما وجدليتها منطقة أخرى لا يحقق فيه ما كان حققه في السابق .. فنحن نوافقه على هذه الحقيقة النسبية .. ولكن نضيف اليها ظهور ما يخالفها .. لأن هناك عوامل تلعب دوراً خطيراً في حركة الشهرة .. والوصول اليها مثل وسائل النشر والإعلام والتحيز والانتساب الى حزب من الأحزاب .

وإذا كان - كما قلنا - قد تمثلت في صنع نسيج كعملاق لتجارب إنسانية .. فإنه قد تمثلت في صنع بعض أعماله ملامح شخصية سلطت عليها أضواء وألوان وأصباغ ومؤثرات صوتية وضوئية ... فانحصر همه في خلق انطباعات وليس في توليد قناعات .

عايدة الشريف

الهوسا

أكبر تجمع إسلامي في غرب أفريقيا



[illegible] من الإذاعة [illegible]

الناظر الى الخريطة الطبيعية لافريقية لايخطئه ان يرى بها حزاما مستعرضا من غرب الى شرق شمالي خط الاستواء . وهذا الحزام يشمل نطاقا شاسعا من القارة ويمتد من ساحل المحيط الاطلسي غربا الى ساحل البحر الاحمر شرقا ووسط رحاه من اسماء كثيرة اطلقت عليه قديما ، وحديثا . كانت اول معرفة باسم اطلق عليه في عصوره الاسلامية ، وفي كتابات علمائنا المسلمين من جغرافيين ومؤرخين هو اسم (السودان) هكذا بالاطلاق .

ثم اخذ يتحدد هذا الاطلاق تقصر دلالة اسم (السودان) على تلك المنطقة شبه الصحراوية والتي تغلغل فيها الاسلام وتعرف الآن باسم (غرب افريقية) وبقي هذا الاسم (السودان) سائدا حتى القرن الماضي . وكان يشمل مناطق النفوذ السياسي والاقتصادي لقبائل (الهوسا) وغيرها من (الفولاني والماندنجو) .

بلاد التكرور

وقد عرفت هذه المنطقة ايضا باسم آخر هام ومشهور هو (بلاد التكرور) . ومعاجمنا اللغوية ... وموسوعاتنا التاريخية - وهي تعرض لهذه المنطقة تطلق عليها اسم (بلاد التكرور) بالاضافة الى اسم (بلاد السودان) ، وقد يجعلونه اخص من اسم (السودان) ، وقد يذكرونه علما على مدينة ، ثم يعممونه على المنطقة ، أو على اهلها ، او بعضهم

فالقاموس يقول : التكرور بلد بالمغرب وزاد لبعضهم انه غير عن (كانو وكاتسنا) وما والاهما ببلاد السودان ، وغير عن (تنبكتو) وما والاها ببلاد التكرور ومعجم البلدان - مادة تكرور - يذكر انها بلاد تنسب الى قبيل من السودان في اقصى جنوب المغرب ، واهلها اشبه الناس بالزنوج ، ويذكر (العمري) - في مسالك الابصار - ان (التكرور) كانت جزءا من (مملكة مالي) التي عرفت واشتهرت (مملكة التكرور) وكانت حدودها من الاطلسي غربا الى برنو - تشاد حاليا - شرقا ، وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند اهل مصر بملك التكرور .

هذا ولازالت (بولاق التكرور) من اهم واقدم ضواحي القاهرة ومعروفة حتى الآن ، ويذكر (بوركهارت) في رحلاته ان اهل السودان يطلقون اسم (التكارنة) على مسلمي غرب افريقية .

وقد زار هذه المنطقة بعض الرحالة منهم (ابن بطوطة - القرن الثامن هـ - الرابع عشر م) ، ومنهم (الحسن الوزان - القرن العاشر هـ - السادس عشر م) ضمن زيارته لممالك وبلاد السودان ، وعد من ممالكها (غاديس - غوبر - كانو - كاتسنا - زجزج - زنفرا) وهذه الممالك هي قلب بلاد (الهوسا) .

* زار الرحالة العرب هذه المنطقة قبل الاستعمار فسجلوها في عصور عامة

ممالك الهوسا السبع وما لها من تاريخ حافل بالغرائب والعجائب



راعي يعزف على المزمار



أمام البيت المزخرف

الرخاء الاقتصادي

لقد ظلت هذه المنطقة خلال تاريخها تشتهر برخائها الاقتصادي نظرا لموقعها الجغرافي كمركز تجاري، ومحط للقوافل وبخاصة فيما بين القرن الخامس عشر م والقرن التاسع عشر م.

وقد تحدث عنها أحد أبنائها وأمرائها ومؤرخيها وهو الأمير (محمد بل) - القرن الثالث عشر هـ - التاسع عشر م - وأشار إلى بلاد الهوسا بممالكها (انظر انفاق الميسور لمحمد بل)وعلى هذه الرقعة انتشرت وعاشت ولا زالت قبائل الهوسا المسلمة في تجمع انساني كبير بل من أكبر التجمعات في أفريقية.

ممالك الهوسا

وفي هذا المواطن من غرب إفريقية - بين حوض السنغال، وحوض النيجر، وحوض تشاد، وحتى حوض النيل قامت للهوسا - في العصور الوسطى - سلسلة من الدول والامارات والممالك الصغيرة - ابتداء من القرن الثامن هـ - الرابع عشر م وانقسمت الى مجموعتين:

المجموعة الأولى: مجموعة أصلية وقد عرفت باسم (هوسا بالكواي) أي ممالك الهوسا السبع وهي:

١ - غوبر، وهي أحدثها لتطرفها في الشمال من أطراف الصحراء.

٢ - زكزك وتسمى الآن (زاريا) وهي أوسعها وتقع في الجنوب منها.

٣ - دورا، وكانت تعتبر المملكة الرئيسية، واعتبرتها الأخريات دائما أكثر ممالكهم أهمية.

٤ - كانو، وهي أبركها.

٥ - كاتسنا (كتسنا) وهي أوسطها. وكانت هي ومنافستها (كانو) أكثر بلاد الهوسا حضارة وأهمية.

٦ - جاران، خابا أو بيرام.

٧ - رانو.

وهذه الممالك السبع كما يقول الأمير (محمد بل) في انفاق الميسور: لها تاريخ فيه من العجائب والغرائب أمور كثيرة.

وتغطي كلها مساحة تقرب من مائتي ميل مربع، ورغم أن بلاد الهوسا قد وسعت حدودها كثيرا وانتشرت قبائلها - في غرب افريقية كله - إلا أن هذه الممالك السبع كانت بمثابة القلب منها.

المجموعة الثانية: مجموعة فرعية وهي في الجنوب من المجموعة الأصلية وأقرب إلى مجرى (نهر النيجر) ومندرجة في السبع الأصلية، وكانت تعرف باسم (بانزا بالكواي) أي السبع الفرعية، وهي مجموعة غير متجانسة، وتضم بعض الشعوب التي تتميز الآن عن الهوسا الأصليين وهذه المجموعة هي:

١ - زنفر، وهي في الغرب من بلاد الهوسا، وكانت تعد من المجموعة الفرعية لكنها فيما بعد عدت من العلاد

الهوسا

• مدلول كلمة الهوسا .. وهل هم عنصر واحد رغم تنوعهم المختلفة ؟



الهوسوية الأصلية :

٣ – كنو
٣ – زاريا – وقد أصبحت أكثر تحالفا وانسجاما مع الهوسا

٤ – غوبر – أو غوبر
٥ – دورا – أو الدورين
٦ – بورنو
٧ – كانو

وقد كان على كل مملكة من ممالك الحقيقيين أمير يلقب بالأمير .



من هم الهوسا ؟

أصل الكلمة : – تكتب الهوسا هكذا (حوسا) كما تكتب أيضا (هوسا) (هوسة) وفي المراجع العربية تكتب (هوسة) . وقيل أن أصل الكلمة غير معروف .

مدلول الكلمة

شعوب الهوسا يطلقون هذا الاسم (الهوسا) على بلادهم فيقولون (رهوسا بلادي) وينتسبون إليه فيقولون (الهوساوا – أو الهوساوي – أو الهوسا) ، ويطلقونه كذلك اسما للغتهم . وإن كانت الوحدة الشعبية لم تتم بينهم إلا في القرن الخامس عشر م .

فهو اسم يطلق ويراد منه : كافة شعوب السودان الأوسط والغربي التي تتكلم لغة (الهوسا) باعتبارها لغة قومية ، وعلى هذا فكلمة الهوسا تعطي مدلولا على :

أ – اللغة
ب – الناس المتحدثين بها
ج – الولايات التي يتركز فيها الشطر الأكبر من الشعوب الناطقة بتلك اللغة .



● وصلوا بهجراتهم إلى الجنوب واندمجوا مع السكان في إمارات مختلفة

● رأي يؤكد انحدارهم من الجزيرة العربية عبر السودان والواسطة الافريقية







٢ ـ وهناك رأي يذهب الى ان مدلولها الاصلي جغرافي، وانها اسم للضفة اليسرى لنهر النيجر، ثم صار لها دلالة لغوية اكثر منها عنصرية.

٣ ـ وفي لغة جيرانهم الطوارق تطلق كلمة الهوسا ويريد بها الناس المستقرين في البلاد شرقي وغربي نهر النيجر.

ولقد كان ينظر الى عهد قريب الى شعوب الهوسا على انها جنسا قائما بذاته، ولكن تبين ان (الهوسا) اصطلاح يعني (اللغة، والبلاد، والسكان)، وليس ثمة جنس يمكن ان يسمى (جنس الهوسا).

كما انه ليس من الصواب عدهم عنصرا واحدا، او مجموعة واحدة، او شعبا واحدا، فهم يمثلون خليطا من شعوب تنتمي الى اصول مختلفة، ولكن جمعتهم لغة واحدة، واجتمعوا على صعيد واحد فهم يتكلمون [illegible] اختلافا كبيرا في مميزاتها الجنسية، وان تقاربت دينا وثقافة، بحيث يشكلون بتقاربهم هذا اكبر مجموعة لغوية وحضارية في تلك المنطقة، بل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية يسودون تلك المنطقة.

الاصل والتطور

وقد تعددت اراء علماء الاجناس والاجتماع والتاريخ حول اصول الهوسا، والتماثل الجنسي، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ـ رأي يذهب الى انهم ينتمون ـ اصلا ـ الى الجنس الزنجي، ويعدون من مجموع زنوج (غرب افريقيا) استنادا الى بعض الخصائص الجنسية مثل غلبة السمرة على بشرتهم، لكنهم مع ذلك يتكلمون لغة (حامية)، وموقعهم [illegible]

[illegible] البيبرو الذي [illegible] من الهجرة [illegible] الجنوب، وبخاصة [illegible] (الهوائيين) و(ابو [illegible]) من الشمال [illegible] واختلطوا [illegible] (امير) وبخاصة الطوارق، [illegible] فكانت [illegible] مهاجر [illegible] بعد [illegible] امارات [illegible] وعاشوا مع السكان [illegible] الثقافي لشعب الهوسا.

ويمكن ان نحدد فترة القرن الحادي عشر م ـ لهذا الاختلاط الجنسي، [illegible] بين البربر والزنوج [illegible] كانت اللغة (الحامية) تنتشر وتتطور [illegible] بدات مدن وولايات الهوسا [illegible] (ممالك الهوسا) السبع الاصلية التي [illegible] في المناطق المجاورة التي [illegible]

ومناطق [illegible] في [illegible] ونتج عن ذلك [illegible] (الزنجية).

[illegible] الهوسا [illegible] من [illegible] السودان [illegible] [illegible]

والواقع الذي يمكن ان يطمأن اليه [illegible] ان شعب الهوسا ليس [illegible] تكون في [illegible] نتيجة امتزاج [illegible] وخاصة [illegible] ومختلفة [illegible] الزنوج والعرب [illegible] وتكون شعب [illegible] ويجمع [illegible] من لغة مشتركة [illegible] حضارة واحدة مشتركة.

لغة الهوسا

[illegible] اسم (الهوسا) [illegible] لغوية، [illegible] على جميع الشعوب التي تتكلم [illegible] [illegible] الهوسا [illegible] الا [illegible] دولة [illegible] (الاسلامية) في القرن التاسع عشر م [illegible] على نطاق واسع في غرب افريقية [illegible] (الاستعمارية [illegible]) في نهاية القرن

الهوســا

• لمـاذا أصبحـت لغـة الهوسـا هي لغـة المعـاملات التجـارية ؟

• كانت لغة الهوسا تكتب بأحرف عربية في مرحلة ما قبل الاستعمار

السادس عشر م . وتحول المحرى الرئيسي للحركة التجارية مع شمالي إفريقية شرقاً الى بلاد الهوسا ، إذ سرعان ما أصبح التجار الهوسويون يسيطرون على النشاط الاقتصادي في جميع أنحاء السودان الأوسط . فأصبحت بذلك اللغة الهوسوية لغة المعاملات التجارية وتضخمت جالياتهم في كل المراكز التجارية الهامة وانتشرت من (أم درمان) حتى (تنبكتو) ، ومن (طرابلس) الى (خليج غانه) ، فانتشرت لغتهم في التخاطب . فهم بذلك يعدون أكبر مجموعة لغوية ، وحضارية ، في المنطقة .

ولغتهم وإن سادت المنطقة فإن هذا لا يمنع من وجود ما يقرب من (٢٥٠) جماعة أو سلالة مختلفة تتكلم كل منها بلغتها أو بلهجتها الخاصة بها ، وهي موزعة في أركان المنطقة ويقسم هذا العدد الضخم الى عدة مجموعات تنتسب الى العائلات اللغوية الرئيسية .

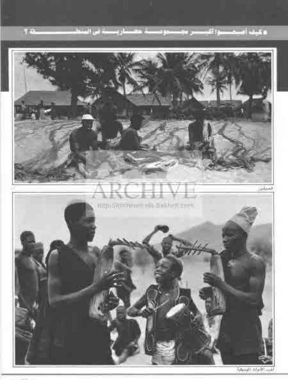
ويرجع علماء اللغات أصل لغة الهوسا الى (الحامية) ، فمنهم من ينسبها الى عائلة (تشاد) الحامية ، وهذه العائلة جزء من مجموعة اللغات الحامية ، ويعدون الهوسا أهم ممثل لها ومنهم من وصل الى أنها أقرب لغة الى (البربر) من أي لغة أخرى من لغات غرب افريقية ، ويرى فريق آخر أنها خليط من (الزغاوة) وغيرها ، وأنها مختلفة ومشوبة بالعربية ، وبفضل (جرينبرج) جعلها فرعاً من اللغات التي أطلق عليها اسم (افريقية آسيوية) .

وكانت تكتب وتدون بأحرف عربية قبل عهد الاستعمار ، إذ دونت بها مخطوطات كثيرة بأحرف عربية ، كما لاتزال تنشر بها بعض الكتب والصحف ، وهي تشتمل على ألفاظ عربية كثيرة



سوق القماش

وجه من الشمال



الصيادون

أغرب الأدوات الموسيقية

الهوسا

● رغم شجاعتهم النادرة خضعوا لسيطرة بعض القوى المجاورة







حضارة جزءاً لا يتجزأ منها . وقد قام المبشرون — في عهد الاستعمار — بتدوينها — ضمن ما دونوا من اللغات الإفريقية — بالأحرف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية ، وحذفوا منها الألفاظ العربية في كثير من الأحيان ، ووضعوا مكانها ألفاظاً إنجليزية أو فرنسية للقضاء على المؤثرات الثقافية العربية هناك بل وفي الإفريقية كلها وقد ترتب على ذلك أن حكومة (شمال نيجيريا) لم تعترف بمعاجم (الهوسا) التي وضعها هؤلاء المبشرون لهذه اللغة .

من خصائص الهوسا

ورغم أن الهوسا شعوب مختلطة جنسياً إلا أن هناك خصائص تميزهم فمن الناحية الجسمية : — يتميز الهوساوي ببشرة سوداء لماعة في لون أهل السودان الأوسط ، وبضرورة البيئة التي يعيش فيها ، كما يتميز باستطالة الرأس وبغلظ الأنف بروزاً وأنفه أقل غلظة ، وقامة أكثر طولاً ، وجسم أقل تكويناً في عضلاته — إلا أن الجماهير منهم لهم طاقة هائلة من القوة والاحتمال ومن الناحية النفسية — يعدون أكثر صرامة وأقل ارتكاناً من جيرانهم (الفولاني) كما أنهم أكثر مرحاً ، وأقوى بديهة في الفكاهة من جيرانهم (اليوربا) ، وجانب الشجاعة فيهم موفور ورغم الهدوء الذي يسود مظاهرهم عامة فقد أثبتوا في المعارك التي يخوضونها أنهم محاربون أشداء . ومع هذا فقد خضعوا في تاريخهم — عامة — إلى سيطرة بعض القوى المجاورة لهم ويبدو أن من أسباب هذا أن ولاياتهم كانت متساوية الحجم والقوة تقريباً ، ولهذا لم تستطع واحدة منها أن تفرض سيطرتها على الأخريات وأيضاً فإن طبيعة الشعب نفسه طيبة

● الزراعة هي مهنتهم العادي وهم تجار إلى حد المغامرة
● أغرب عاداتهم هي تلك التي تدعمهم للتعاون السلمي مع أعدائهم

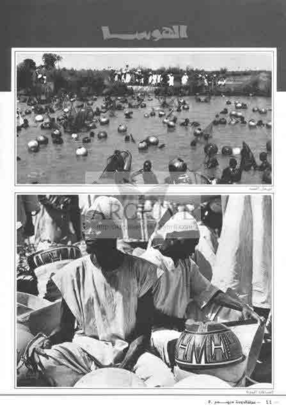
● عرفوا نظام الضرائب في تاريخ مبكر .. وانغمسوا في تجارة الرقيق



فرقة الفنون الشعبية

طبيعة مع قدرتهم على الحروب إذا استفزوا لها، أو أضروا عليها ومع ذلك فليسوا بالمحبين للقوة.

ومن الناحية الاقتصادية ـ فيقوم اعتمادهم في الزراعة والتجارة والصناعة أكثر مما يقدر في الكتب فهم بعامة من مهرة الزراع، ورعاة الماشية، ويحترفون التجارة التي يبذلون فيها نوسعهم ـ كما أن لهم السبق في الصناعات المحلية، فالزراعة هي العمل العادي لمعظم أفراد الهوسا لدرجة تفوقهم فيها على جيرانهم من (الفلاني)، والتجارة هم فيها نشطون إلى حد المغامرة، وذلك بحكم موقعهم على طريق القوافل والحج، وقد اخترقت قوافلهم الصحراء في اتجاه الشمال والشرق، وامتدوا بمراكزهم التجارية تجاه الجنوب حتى لا يكاد يخلو منهم مكان فيه، وعرفت لهم أحياء وقرى بأسمائهم، كما أن منطقة جنوب الغرب منهم بقيت بالنشاط التجاري الواسع حتى امتدت رحلاتهم من ساحل غانا إلى القاهرة، وسادت مفاهيمهم الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، وبرزت مدن منهم كمراكز تجارية وأسواق كبيرة في السودان كله مثل (كانو وكاتسينا) ... ويشتهرون في تجارتهم بالجلود والإبل، وقد ساعدهم ذلك على التعاون السلمي مع القوى المعادية لهم، واحتفاظهم بشخصيتهم ومدنهم كمراكز تجارية وثقافية، ولم يسلم التوسع في النشاط التجاري من الانغماس في تجارة الرقيق الذي كان يجلب بالإغارة على الجهات المجاورة وبخاصة في الجنوب كما كان في (زاريا)، وقد عرفوا نظام (الضرائب) في تاريخ مبكر مثلما كان مفروضا في (كانو) من ضريبة الأرض في القرن الثالث عشر، وضريبة الذكر من القرن السابع عشر، ومن الناحية الصناعية ـ فلهم مهارة







راعي الجمال

وفن في الصناعات المحلية مثل صناعة الجلود ، والحدادة ، والحصر والنسيج . وقد حملوا مصنوعاتهم الى البلاد المجاورة كما جذبوا التجار اليهم . ورغم عدم وجود عملة سائدة فيهم قديما فقد بدأوا التعامل بالأصداف في بداية القرن الثامن عشر م وصارت هي العملة السائدة فترة حتى تطورت أخيرا الى ما هي عليه اليوم كنظائرها في بقية دول العالم .

المجتمع الهوسوي

تقوم الوحدة الاجتماعية في بلاد الهوسا على الأساس الإقليمي اكثر من قيامها على الأساس القبلي ، والخلية الأساسية للحياة الاجتماعية هي القرية ويرتبط كل مجموعة من القرى وفق نظام اجتماعي يحكمهم كبير الأسرة ويدينون بالولاء المشترك لرئيس عام . وهذه المجموعة من القرى قد تمثل قبيلة او جزءا من قبيلة ، والراجح انه اذا وجد في مثل هذا النوع من المجتمعات حافز يدعو الى وحدة مشتركة فانما ينبعث في العادة من شعور افرادها بصلة القرابة وما يتبع ذلك من اتخاذ ديانة مشتركة ، ويزيد تلك الروابط تماسكا وجود الخطر المشترك ومع ما تعرض لهم مجتمعهم من سيادة اجنبية فانه يظل يباشر حياته من الزراعة والتجارة ... ويعتبر ... شعوب المنطقة ... الاجتماعي ... وقد ... بالثقافة الإسلامية . كما حسن الى حد كبير نظم حكومته عن طريق وزارة الموظفين الذين ما زالوا يحتفظون بألقابهم .

مدن الهوسا

وقد عرف (الهوسا) باقامة المدن ذات الاسوار ، وغالبا ما تكون هذه الاسوار مكونة من اجزاء متضامة . وسور (كانو) على سبيل المثال كان قطره لا يقل عن ثلاثة عشر ميلا .

ويمكن تصور طبيعة مجتمعهم الذي ظهر وتطور في بلادهم بأن الولايات كانت تحكم بواسطة رؤساء من قديم الزمان ، وكل رئيس مظهر للآخر ، وله سلطة مطلقة كثيرا ما تكون بعيدة عن السلط الغاشم ، وطوال سيطرته فهو قوي ، واذا فقدت الثقة به فكثيرا ما يتعرض للعزل وبسهولة .

وفي القرن الرابع عشر بدأ النمط الذي تشكل على اسسه مستقبل ولاياتهم فظهرت (كانو وكاتسنا) كمحور لبلادهم ، وغلبت على الأولى شهرتها التجارية ، وعلى الثانية شهرتها الثقافية ثم وجدت في الشمال (غوبير) التي اشتهرت بمحاربيها الأشداء ، وفي الجنوب (زاريا) التي كانت تعد مصدرا رئيسا للرقيق وتوالت نمو ولاياتهم الأصلية والفرعية ، ويمثل القرنان (الرابع عشر والخامس عشر م) مرحلة ذات أهمية بالنسبة لتاريخ بلادهم ، وانفتاحها على العالم الخارجي وانشاء صلات متعددة : دينية ، وتعليمية ، وتجارية ، وقد اخذها الاسلام من شرق وغرب واعتنق بعض حكامهم وشعبهم الاسلام في حين ظل البعض ولفترة طويلة على الوثنية حتى اكتسح راية الاسلام بجهاد دولة الفولاني في مطلع القرن الثاني عشر هـ - التاسع عشر م .

ومادامت كل ولاية لجيشها الاقليمي الخاص فان الحروب المحلية كانت كثيرة بين الولايات بعضها مع بعض ، وبعضها مع جيرانها ، وكان جزاء النصر الغنائم والأسرى ، وكان مصير هؤلاء الأسرى الرق غالبا ، وكانت خسارة الحرب تعني خسارة الحياة والحرية والممتلكات .

وللحماية من هذه الأخطار والإغارات بنيت الأسوار الطينية العالية حول المدن وحفرت الخنادق كما حصنت القرى بالاسوار الخشبية المدببة ، تلك صفحة من الماضي لشعب الهوسا الذي يعد من اكبر الكتل الإسلامية في افريقية بعامة وفي غربها بخاصة .

د. حسن عيسى عبد الظاهر

د . عماد الدين خليل

شيء عن الأخـــــلاق والحضـــارة

فاطعني بعصبية وهو يقول : ولكن أية أخلاق هذه التي ترفع وتضع في ساحات الصراع الحضاري ؟ الا ترى ان الغربيين ، وقد تخلوا عن كل قيمة خلقية ، بلغوا القمة في سلم الحضارة ، والشرقيين الذين لايزالون يتشبثون بالاخلاق قد انحدروا الى الحضيض ؟ أية أخلاق هذه التي تتحدث عن ضرورة تواجدها في قلب التجارب الاجتماعية ؟

اجبته وانا احاول ان اهدىء من انفعاله الذي سعى الى امتصاص جانب منه بالقيام ببعض الحركات الجسدية دون جدوى : على رسلك يا هذا ، ولنتمعن قليلا في الأمر فلعل فيه جانبا من الصواب ، وهو مهما قل وضؤل فلابد ان في العثور عليه ثمة فائدة ما ..

شبح التدهور

قال وهو ينتزع ابتسامة مبتسرة اكتسحت شيئا من ملامح الغضب على وجهه .. هيا ، وارني جانب الصواب في المسألة ، فلا اعتقد ان المنطق يقف الى جانبك .. فان الغرب الا اخلاقي يكاد يكتسحنا بحضارته .. نحن الشرقيين ذوي الأخلاق الحميدة ، من الجذور ..

قلت لا يخفى عليك ان الإسلام يرمي الى تكوين الخلقية خاصة بالجماعة المؤمنة تنبثق في أعماق الفرد لكي ما تلبث ان تعطي لونها للعلاقات الاجتماعية كلها ، وقد أكد مرارا على الخلقية التعبير الذاتي ، وهي جهد نفسي ارادي دائم لحماية قيم المجتمع المسلم وتنميتها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..) (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..) .. تلك القيم التي تمثل مراكز الثقل في حضارات الامم وشحنات الدفع في مسيراتها ، وتكاد علاقتها الضرورية للنمو الحضاري تبدو طردية باستمرار على مستويين الكيف والكم ، وهو ما اختلفت معك بصدده .. فكلما التزمت جماعة ما بمزيد من القيم الاخلاقية ، وكلما سعت الى صقل هذه القيم وتأصيلها في أعماق البنية الاجتماعية ، كلما تمكنت من حماية وحدتها ومن مد عمرها الحضاري وإبعاد شبح التدهور والسقوط بالتالي .. وكلما بدأت جماعة ما بالتخلي عن هذه الالتزامات ، واطراحها جانبا ، وعدم السعي لبلورتها وتعميقها في الممارسة الجماعية ، كلما عرضت وحدتها للتفتت ، وآلت تشكلها ومعطياتها الحضارية [illegible]

القيمة الاخلاقية

[illegible] ملامح عدم الاكتفاء بادية على وجهه [illegible]

أجبت .. إننا نرى اليوم بأم أعيننا كيف ارتقايا القيم الاخلاقية التي يتميز بها رجل (العالم المتقدم) ومجتمعه .. من صدق وامانة وتحمل للمسؤولية وشجاعة واخلاص وصبر وتضحية .. ومن رفض للكذب والغش والخيانة والتهرب والجبن والجزع والأثرة .. هي التي تلعب دورها الواضح على المستوى الدرامي (البراجماتي) .. الى جانب عوامل أخرى .. في تفوق هذا الرجل وذلك المجتمع ، في عالم لم يعد يعترف .. على المستوى النظري .. بالاخلاقيات ، مما يشير الى مدى الثقل الواقعي لهذه القيم وارتباطها العضوي بأية ممارسة حضارية .

ان القرآن الكريم يطرح سلما من القيم الاخلاقية ، كثير الدرجات ، بعيد الامتداد من خلال مئات الآيات المبثة هنا وهناك ، والتي تجيء في معظم الاحيان ملامسة لواقعة تاريخية قريبة او بعيدة ، معلقة عليها ، مستمدة منها قيما جديدة .. وذلك من اجل ان ترتبط (القيمة الخلقية) ارتباطا شرطيا في ذهن المسلم ونفسه وتزداد توغلا في أصالته وتأصيلا في علاقاته مع المجتمع الذي

● لماذا نسرع في السلم المتقدم : الصدق والأمانة وتحمل المسؤولية ؟

● الحضارة الاسلامية وما تطرحه من شعارات منبثقة من قيم الحق والعدل

● روح الالتزام هي التي تحمي وجود المجتمع المسلم وتعزز وحدته

نتحرك فيه ..

سألني : وما الذي يفرق الاخلاق الاسلامية عن غيرها .

اجبته : لا جدال في ان القيم الخلقية المنبثقة عن الرؤية الايمانية والحس الديني ، تكتسب موضوعية في ميدان العلاقات وعمقا في ميدان الذات لا تجد نظير معشيرها في الاخلاقيات الوضعية المبنية على الموقف المصلحي والتبرير البراغماتي (الذرائعي) .. انها افتقدت سواء افقد موضوعيتها وشموليتها وتقع في اسر التحيز والنسبية ، فتحور وتزيف حينا (من اجل ان تلائم مصلحة ما او منفعة معينة ، وتلغى او تستبعد حينا اخر ، لانها لا تنسجم ابتدا ومتطلبات الموقف النسبي .. هذا الى ان هذه القيم ستفقد بعدها العمقي ، وتغدو اكثر قلقا وتهتزازا ، الامر الذي يفقدها قوتها الالزامية وثباتها وديمومتها .. واننا بمجرد القاء نظرة عجلى على التاريخ البشري ، ستتبين بوضوح هذا الفرق الحاسم بين قيم اخلاقية دينية موضوعية شاملة متاصلة ، وبين قيم اخلاقية وضعية نسبية محدودة متلاحقة قلقة .. ولقد ما لعب هذا التقابل الاخلاقي دوره في التاريخ وغطى مساحات واسعة لا تبرزها مائة خال النظرة المادية الضيقة او النظرة المصلحية ..

الشعارات الانسانية

وإذا رأيته يلحظ بنوع من الاهتمام واصلت حديثي قائلا : ان مقياس التفوق الحضاري لا يكمن في حجم الانتاج الكمي بقدر ما يكمن في مدى (اخلاقية) الجماعة المتحضرة وسعيها لخدمة الاهداف الانسانية الشاملة .. واننا بمجرد ان نلقي نظرة سريعة على حضارتنا الاسلامية في عصور تالقها ، ونقارن ذلك بمعطيات الحضارة المعاصرة ، على المستوى الانساني ، سنضع ايدينا على قيمة هذا (المقياس) والمدينة القصوى .. إن الحضارة المعاصرة لا تتجاوز ، حتى على مستوى الفكر والفلسفة ، حدود الموضوعية الشاملة ، وتهبط كثيرا عن اخلاقية الانسان ، بما هو انسان ، فتحصر اهدافها ومعطياتها في نطاق دولة او عرق معين كما هو الحال عند هيغل ، او طبقة معينة ، كما هو الحال عند ماركس وانجلز ورفاقهما ، او - على احسن تقدير - في نطاق حضارة معينة ، كما هو الحال عند توينبي .. هذا بينما تطرح الحضارة الاسلامية وحدها شعاراتها الانسانية الشاملة الرفيعة المنبثقة عن قيم الحق والعدل التي صاغها القرآن (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى) (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) .

قال : اود ان اعرف بعضا من القيم التي اكدها الاسلام ودعا اليها ..

قلت : الصدق ، الامانة ، تحمل المسؤولية ، الشجاعة ، الصبر ، الاخلاص ، التضحية ، الايثار ، مقاومة اغراءات الشهوة ، التجرد ، الصمود ، التزام الحق والعدل بمقاييسهما الموضوعية لا المنفعية ... الى آخره - ويطرح القرآن والسنة - بالمقابل - النقائض السلبية لهذه الاخلاقيات كالكذب والغش والتزوير والتهرب والجبن والجزع والاثرة والانسياق وراء اغراءات الشهوة ، والمنفعة .. الى آخره ، ويدعوان المسلمين ، افرادا وجماعات ، الى مكافحتها دون هوادة ، والى استئصالها من اعماق نفوسهم وامتداد علاقاتهم الاجتماعية وبربطانها بمسألة الصراع الدائم الذي لا يكف بين الانسان والشيطان .. بين الخير والشر .. من اجل ان يمنحا الانسان المسلم قاعدة واسعة لتصور الموقف ، وايمانا عميقا بضرورة المقاومة ، واستجاشة لكل طاقاته من اجل الانتصار ، الذي مهما كان جزئيا ، فانه في النهاية سيضيف قوة الى الرصيد الاكبر في صراع الخير ضد الشر ، والانسان ضد الشيطان .

خطوات على الطريق

إن القضية في المجتمع المسلم ، او في اي مجتمع تكاد تبدو اشبه بمعادلة رياضية واضحة ، كلما تجاوز الانسان والمجتمع في حضارة ما درجة اكثر في سلم القيم الخلقية ، كلما تقدم خطوات الى الامام وامتلك مزيدا من ضمانات الديمومة والتطور .. وبالعكس يجيء الرجوع او السكون ، او التفتت والانهيار بالانسلاخ عن هذه القيم واسقاطها في ميدان الذات والمجتمع واحدة بعد اخرى .. لقد كان خليفة المسلمين الاول ، ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، واضح الرؤية عندما خاطب منتخبيه في كلمته الاولى لهم : إنه ما شاعت الفاحشة في قوم قط إلا ضربهم الله بالذل ... ..

اننا لننظر الى تاريخنا نحن فنرى في الموقف من الالتزام الاخلاقي مصداق تلك المعادلة .. فحينما سادت روح الالتزام مجتمعا اسلاميا ما ، تعكس من حماية وجوده وتعزيز وحدته وضمان ديمومته العقائدية وابداعه الحضاري واتساع ميادين نشاطه في العالم .. وحينما افتقد الالتزام الاخلاقي في مجتمع آخر حينما تمزقت وحدته وتباطأت اندفاعيته واضمحلت منجزاته الحضارية وتقلص دوره في العالم وآل امره الى التدهور والسقوط .. وان تاريخنا المعاصر ليقدم لنا عشرات الامثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة ..

لم يجبني بشيء ، ولم استطع ان اعرف إن كان قد اقتنع بكلامي ام لا .. ولكنني كنت اشعر بانه قد اخذ يشك في مسلمته السابقة وبدا يفكر .. فقلت في نفسي : ها قد وضع خطواته على الطريق ..

د. عماد الدين خليل

بقلم : أم كلثوم



نسيت ان احمل مظلتي معي .. كان الجو ممطرا .. رذاذه يصافح وجهي كلمة حانية .. نسيت ان اخفي جسدي الناحل في معطفي الصوفي .. كان الجو باردا .. آه نسيت .. نسيت .. بقايا شتاء .. بقايا مطر .. وعيناي غيمتا حزن اجهضت امطارها .. هواء بارد يصفع وجهي .. وسقف يقذر بشعري المهمل .. آه .. خصلاتك جداول انتشاء .. ويداي تحتميان بجيب البنطال الداكن .. لون حبات الزيتون كحمامة بيضاء تلوذ بعشها .. الزمن ما بعد السادسة ..

العربات تهرول .. الوجوه ايضا تهرول .. تحتمي بمظلات الواجهات .. الانوار الخافقة ترتعش على جسد الرصيف الندي .. وهواجسي تستل بهجة المساء .. كلما داهمني الحزن اتكىء على كتفك .. أشعر بذراعك قوية تحضنني اليك .. فابكي كالصغار .. اواصل تشردي .. المطر يهمي .. الطريق نفسها .. وستائر الدانتيلا البيضاء تتخايل من خلف النوافذ نفسها .. اصص الزهور .. والوجوه الاليفة نفسها .. جوانا بائعة الزهور .. الرجل الضخم الملتحي الواقف

خلف بارة .. وابتسامته الطيبة التي يبادرني بها كلما مررت به في طريقي الى منزلي .. الاسيوي النحيل بائع الحلوى .. و .. صاحب المقهى .. نعم يا سيدي انا بحاجة لفنجان قهوة دافىء .. ارجوك .. لا تحدق فيّ بعينيك الزرقاوين .. انهما سماء ووطني .. وانا أرغب ان امشي .. لا، لا احتاج حنانك الدافىء .. هذا المساء .. لا احتاجه .. ارجوك .. سيدي .. ابعد لون عينيك عني .. انه البحر الذي يحتضن مسيرتي بصدره الواسع .. وانا ارغب ان امشي .. ارجوك .. نعم ..



فنجان قهوة دافئة فقط .. سيروق تحكمنا .. إن عمك ايضا علاء في امريكا بعد ان انهى دراسته .. نحن جميعا في انتظارك لنلم زوجكما .. التوقيع .. والدك المحب والملتاع ..

المطر يهطل على نافذة المقهى الزجاجية .. الأشجار المعانقة للنافذة جليلة في صمتها .. وموائد المطر الصغيرة على السقف المائل تتكلم الحركة سريعة .. هممت لمعرفتي فيها .. فاتجها .. ولما جئتك في إحدى دور السينما مسحت صرخة كانت تكاد تفر من صدري كالعصفور لترى وأنا أراقب قسوة وجه القراد ويزيده وهو ينتظر عكستها الى صخلة جفلا مرفقة شفقة .. انتقمت بدون انتباه وانت تهمس لي تسكتين لعلمي الا تخافي .. بعد لم أتعلم كيف لا تخاف .. آه .. الذي يهمني يا صديقي .. بكائنا فيتدد .. وهذا مطر .. هذا .. عرفت كيف أخلق الألوان .. أنطقها .. كيف أخلق من الشجر شواهد حزن أو فرح .. آه .. ما يدريني من أين يأتي الخوف .. حقيقتي مملة .. قطعة نقود معدنية .. أسمعها مكانها .. ابتاع جريدة المساء .. ما يهمني من المساء .. ما يهمني من الأخبار .. وديني أقرأ .. بصيت الفنان .. إنه الشاعر .. وأرقطه الكتب قضبان من حديد .. أمس الكلمة تعجز النظر استهلكت الكتب عينيه .. ترى ما ثمن ضوء عينيه .. ما قيمة سنوات عمري التي تركتها على هذا المقعد الشاغر .. ما قيمتها وأنا بعد لم أتعلم كيف أنزلق الصمت في صراخي .. بعد لا أعرف من أين يأتي الخوف .. كتب .. كتب .. عشرات الكتب تخرج المقاهي .. تسكن مثل ((الغجر كل خميس في مدينتي التي تقفو على ذراع البحر .. انتظر بلهفة وعطش بائع الصحف يأتيني على دراجته محملا بأكوام من الصحف والمجلات وبعض الكتب .. أتعلقها .. أبحث عن عزيز مفقود .. لا شيء .. سوى ليلى والذئب .. مسترسلة والأقزام السبعة))

لوحة كبيرة .. عشرات الأوراق ثبتت عليها .. مطلوب مربية .. غرفة للإيجار .. مطلوب شقة .. زهور طازجة للبيع ..

مطلوب سكرتيرة .. سيارة للبيع .. آه .. مرقت ورقة من مفكرتي الصغيرة .. ألصقتها .. مطلوب من يعرف من أين يأتي الخوف الى نفسي ..

عفوك يا صديقي .. فأنا متعبة .. والقمر في مدينتي ظل يراقبنا ويتجول كل ليلة .. وأنا أريدك فتسألني هذا المساء .. لعلك تدلني على منبع الخوف في نفسي .. لم أنس موعدي معك .. لكنني ضعيفة هذا المساء .. وضباب مشبعة الانتظار وفوق .. مازالت تعبث بالورقة المشدودة بين يديه .. هذا .. ؟ انتظر منها أن تكف

لامست الكتف وضوحة من سطورها .. وخوفك شاحب .. أحبه كثيرا .. ما العمل .. تقول لا أحد يمنحني القوة على الصراع سوى نفسي .. لا أحد يحميني من ترددي سوى نفسي .. آه .. يا صديقي .. لو كانت أملك بشكله ما أتيت إليك لترهب حزني .. ما أقرب عينيك هذه الليلة منتظر ستكبرين .. تعلمي الا تخافي .. كيف يكبر الصغار يا صديقي .. ما العمل حولي .. تركت باب منزلك خلفي مفتوحة .. لعلك تأتي .. تأخذني الى صدرك .. وتمسح أيامي كالمستقبل حتى يزول خوفي .. لكنك لم تفعل .. المرة الأولى التي تتركني فيها وحيدة .. تربكني كبيرة .. كيف يكبر الصغار .. أواصل تشردي .. السماء تمطر .. يصرخ الباب خلفي .. أطوح بحقيبتي الملتزقة ملقاة على الأريكة .. أشعل المدفأة .. أرتمي على الأرض والوسادة الصغيرة مبعثرة عليها .. أحتضن إحداها .. وأنفجر باكية .. بيد وحيدتي .. أعود أو لا أعود .. ومضت الحزن شوقا الى صدري ..

كيف يكبر الصغار .. كيف يكبر الصغار .. ؟

أمامي حقيبة السفر .. فتح فمها واسعا .. جشعا .. كخوفة تركان .. أقذف بالملابس في جوفها .. سوفي تهطل .. وخزانة الثياب فاتحة صدرها .. على الرف الثاني .. لا بل الرابع .. بل الأول .. قطعة قماش سوداء .. مزروعة .. معدودة .. الغبار يسكنها .. مددت يدي بحذر .. ما الدافع ربما تختبيء فيها خطرة .. تعلمي الا تخافي .. آه من أين يأتي الخوف .. بحذر مددت يدي .. سحبتها التي بها أرشا .. عباءتي السوداء .. وضعتها على الرف الأول منذ سنوات .. يوم حضوري لهذه المدينة .. كيف يكبر الصغار يا صديقي .. ما أعظم حزني .. أعود أو لا أعود .. وبقسوة وحنين القيت بالعباءة أرضا .. تبقت الثياب منها حلقا جامدة .. التحفت بالعباءة .. كان الجو باردا .. تكومت أمام المرآة .. كان وجهي مبللا .. وكانت النافذة مبللة .. والسماء تعرف ..

أم أكتم




الهجـــرة وحركــة الزمـــان

من النظريات التي يكاد أن يجمع عليها علماء الفلك ، مع اختلافات في بعض التفصيلات ، أن أصل الأجرام السماوية ، كتلة من مادة ثقيلة جداً ، تناها أمر الله منذ بلايين الأعوام ، فانفجرت وتمزقت أشلاء بددا .. ومن تلك الأشلاء والمزق ، تكونت النجوم بأنواعها والتي منها شمسنا ، تلك (الدنيا) التي تبعد عن كوكب الأرض بنحو ثلاثة وتسعين مليون ميل ، ويستغرق ضوؤها زهاء ثماني دقائق للوصول إلينا عبر الفضاء ، بسرعة تزيد على (١٨٦) ألف ميل في الثانية الواحدة !! وحول النجوم (الشموس) خلق الله الكواكب ، وحول الكواكب أقمارها ... ومن مجموعات النظم الشمسية تكونت ، بأمر الله ، المجرات ، وتبلغ المجرة من الاتساع بحيث إنك لو أرسلت برقية (بسرعة الضوء) من طرف إلى طرف لجاءك الرد بعد مائة وخمسين ألف سنة من سنين الأرض ، بكمال والتمام .. ومن المجرات كان الكون ، الذي لا يدرك أبعاده إلا الله وحده ، إذا علمنا أن ما تحسبه أجهزتنا اليوم يتجاوز مائتي بليون (بالمليار المنقوطة من سطحها) مجموعة شمسية في المجرة الواحدة ، وأن ما يحرفه بأحدث أجهزة الرصد (البصرية واللاسلكية) يزيد اليوم عن بليون (بالمليار أيضا) مجرة وما خفي لا شك أعظم ، فسبحان من أقسم بمواقع النجوم ... ومن حركة المجرات ، ومعها السدم والمذنبات والمناطق السوداء والمادة المضادة ، وحركة النجوم والكواكب والأقمار ، كان الزمان ، فلا زمان بلا حركة ، ولا معنى للمكان بلا زمان ، فالحركة هي الناموس الخالد في خلق الله ، الكهيربات الصغيرة الدقيقة في حركة دائبة سرمدية حول نويات الذرات والذرات في الجزيئات الكيماوية ، ما عظم منها وما صغر ، في حركة ، والجينات والكروموزمات في الخلية الحية تعبر عن الحياة بالحركة ، والأقمار في حركة حول محاورها وحول كواكبها ، والكواكب في حركة حول شموسها والمجموعات الشمسية في حركة حول مراكز مجراتها ، والمجرات في حركة دائمة ، كل يجري لأجل مسمى ، بتقدير العزيز العليم ، الذي جعل للحركة نواميس ، وقوانين ، وقواعد ، ومعادلات وتقديرات منضبطة ، لولاها لكانت أي حركة نوعا من الفوضى والجموح والانفلات ، نحو الاضطراب ، والتصادم ، والفناء ولولا الحركة ، لدب في الكون الجمود ، والتحجر ، والانغلاق ، ولأصبح لتاريخ الإنسان على هذه الأرض بلا معنى .. ومن مراقبة (حركة) الكواكب والنجوم ، هدى الله الإنسان ، عبر القرون ، لمعرفة الثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والأعوام والقرون ، بعد صراع طويل مرير مع الخرافات ، والأباطيل ، والأوهام ، والجاهليات ، التي بعث الله أنبياءه ورسله ، عليهم جميعا السلام ، على فترات قدرها بعلمه ، لانتشال الناس منها ، وإخراجهم من ظلماتها إلى أنوار المعرفة

واليقين ... ولئن تساوت وتشابهت ، مقادير الزمان المعبرة عن الحركة في كل مكونات هذا الكون ، من حيث (الكم) فإنها في تاريخ الإنسان تتمايز وتختلف من حيث (الكيف) فرب (يوم) في تاريخ أمة من الأمم يكون مقداره المعنوي وقدره الكيفي فوق القرون والأحقاب ... ومن تلك الأيام باعتراف كل (العقلاء) من مختلف الملل والنحل ، يوم هجرة الرسول الأعظم من مكة إلى المدينة منذ أربعة عشر قرنا خلت ... فيه تعلمت هذه الأمة معنى الحركة في المكان لتصنع زمانا في التاريخ تدين به الناس وترفع لواءها على المعمور من الأرض في أقل من قرن ثم تظلله بالهداية والمعرفة زهاء قرون ثمانية أو تزيد ، حتى إذا ما نسيت معنى (الحركة) في الطاقة الفكرية والمكان اللذين انصرم القرن الرابع عشر من تاريخها ، وهي في سلول الجمود ، لابتعادها عن الناموس المقلم الخالي من (الفوضى والارتجال والدروشة) الذي بنيت عليه (حركة الهجرة) معنويا وحسيا ، واستكانتها إلى الدعة والخمول والاستسلام ، حتى تكالبت عليها حثالات أمم الأرض ، على الرغم من أن تعدادها يصل إلى ألف مليون مسلم !!!

فهل نستطيع في مطلع قرننا هذا الخامس عشر الهجري ، مستقبل عهد جديد (متحرك) نتداوى به ، بعلم صحيح وعقلانية وإيمان صادق (نهاجر) من واقعنا المرير المحزن ، من الكسل إلى النشاط ، ومن التبعية إلى الاستقلال الحقيقي ، ومن الجهالات إلى العلم ، ومن التنابذ إلى الأخوة ، ومن الفرقة المزرية إلى الوحدة الشريفة ، ومن الهزل إلى الجد ، ومن الكذب على أنفسنا إلى الصدق الطاهر معها ، ومن الأنانيات بمختلف صورها وأشكالها ومشتقاتها إلى الإيثار والتضحية ، ومن مجاملة الظلمة والقتلة واللصوص إلى إعلان كلمة الحق بيضاء ناصعة ، وبالجملة نهاجر من كل حال سيئة تخيم علينا إلى نقيضها ؟؟ هذا ممكن إذا قررنا أن نصدق مع الله ومع أنفسنا في العودة إلى (محبة) صاحب الهجرة الأعظم الذي عانى ما عاناه وتجشم من المشقة والمتاعب ، وبذل من الجهد والفكر والتخطيط كل ما ألهمه الله عليه ، لكي تصلنا عبر أربعة عشر قرنا ، شهادة ألا إله إلا الله وحده ، له كل الحاكمية في شتى (حركات) هذا الكون ، لعلنا في هذه الحقبة من تاريخ الناس ، كل الناس ، أن نعيد (حركة) الهجرة لتأخذ من جديد بيد خلق الله بمختلف أقطارهم وألوانهم ومعتقداتهم ، نحو عالم أفضل يشيع فيه العلم ، والعدل والمحبة ، والسلام ، ويصل فيه الحق لصاحبه أينما كان ، وتقمع فيه كل الضلالات والأوهام وصور الغش والنفاق؟ لعل الله أن يهدينا سواء السبيل ...

درويش مصطفى الفار



صلاح عبد الصبور



جماعة الضحك القديم

مشارف الخمسين

أول من قدمني إلى عالم الضحك العقلي الصافي هو : إبراهيم الترزوجي

لعلني لم أضحك ضحكة صافية منذ أن وهن الجبل بيني وبين مدينة «الزقازيق» مسقط رأسي ، وملهى صباي ، فقد عرفت في حياتي بعدها عديدا من لحظات السعادة وفي ظني أن السعادة بمعناها المألوف من حيث احتوائه على هدوء البال وسكون النفس ، ليست رغبة بلحظة ما تلبث أن تنقضي ، وإن

هذه اللحظات السعيدة شأنها مثل لحظات الوحي أو العشق مثل تلمع كالجواهر في ملاحة النفس الكابية وأكثرها جواهر ما تكنت أو تختفي ، ويستحيل على ... استرجاعها أو استعادة تكرارها مثل ما ... لحظة ... في ...

على بعض لحظات من السعادة كانت في عزائي عن زمن مغموم ، ولكني في لياليّ الأولى كنت أعرف الضحك الصافي الذي لا نسأل الله بعده خيرا .. توجسا لحزن قدم ما يلبث أن يفد لسحق هدية الزمان ، وندما على أننا أسقطنا مكركز وقد نسينا أن الهم لنا بالمرصاد





نيتشه



شوبنهاور



مرسي جميل عزيز

ولم يكن هذا الضحك ضحكا ستلحا آمله ، بل كان ضحكا عميقا ينبع من إدراك مفارقات الوجود والاطلال علينا بالعين الساخرة والقلب الدافيء ، وأنا الآن أذكر صحاب الصبا فيذهم على من شداهد عطر يملأ أرجاء الغرفة ، وقد فصلت بيني وبينهم بيداء لا يسري بها نجم ولا يشقها ضوء ، بيداء شاططئها الحياة والموت .

السعي لدكانه

كان أول من قصني الى عالم الضحك العقلي الصافي هو ابراهيم السروجي عليه ألف رحمة وسلام ، وربما قل لا يعرف السروجي حق المعرفة إلا أنا ، وعديد من الموتى ، وقليل من الأحياء . كان ابراهيم السروجي أحد أعلام المدينة بخفة ظله ، وحيلته التي تختلط قولها بجدها . أما نحن فقد عرفناه كما كان ينبغي له أن يعرف .

كانت في الخمسة عشرة من عمري وكان مسعاي اليه في دكانه حيث كان يعمل في صناعة السروج لحمير سادة الريف والحصنة عربات الحنطور التي كانت هي « تاكسيات » ذلك الزمان ، وكانت النكتة الأثيرة لإبراهيم حين يهل عليه أحدنا هي أن يقول له :

« هو لاخذ مقاسك واصنع لك حاشتك »

كان ابراهيم السروجي لا يعمل في دكانه إلا ساعة لم يمضي ساعة ثم ما يلبث أن يدركه الملل ، فيمد يده الى كتاب مطوي تحت إحدى صناديقه من الجلد والخشب ، ويقرأ فيه حتى يطل عليه واحد من الباعة ، وفي دكان ابراهيم السروجي سمعت لأول مرة أسماء شتانه ولوستيك وجورج . . . وفي دكان السروجي ، وفي مكتبتنا في مقهاه . . . أسماء السقراط . . . صمته .

أحزان ما بعد اللقاء

ذهبت أول مرة الى دكان السروجي متعلما ، فأنا طالب في نهاية المرحلة الثانوية ، ونحن نعلم أنه لم يحصل من الشهادات إلا شهادتي الميلاد والتوحيد ولكني ما لبثت أن فتنت بهذا السقراط الريفي ، ووجدتني أناديه بيا أستاذ ، وقد كان حريصا على هذا اللقب لا يدري أن الزمان سيجعله أهون على الناس من القش والحصى ، وحين توثقت صداقتنا كنت أناديه بأن أناديه بأوسطى أو معلم (بكسر الميم) فكان يغضب ، ويتهلل على منصة بمنالق فيها الذكاء والمرح .

كانت كلمة « أستاذ » حين تطلق في مجتمعنا الضاحك لا تنصرف إلا اليه ، وكان كتابه الذي كتبه في شبابه الأول عنوانه « ضياء الفجر » على ما أذكر يتأنى فيه بكتاب نيتشه العظيم « هكذا تكلم زارادشت » ومن السخرية أن ابراهيم حين شرع في طبعه تخيل أن المصريين بما لديهم من عادة التغريب أو الاستغراب لن يقرأوا إلا لمؤلف أوروبي فطبعه لا تحت اسمه ، بل تحت اسم مستعار هو « جون برانشمي » .

كان ابراهيم قارئه فلسفة ، سبيله اليها ترجمات عبد الرحمن البدوي المبكرة ، وقد حلل بذهنه أن يكون « عقادا » جديدا ، وكان له ما يؤهله لذلك ، فقد كان طويل القامة شأن العقاد ، جهير الصوت مثله ، وأذكر أنه سعى يوما الى العقاد في بيته ليتلقف يلتقي الأستاذ بالأستاذ ، ولكن العقاد جبهه بالرد الخليقة ، فعاد الى مدينتنا الصغيرة خائبا ما كان في هذا اللقاء إلا من الأصحاب الخلص ، وذلك حين يطول الليل ويحلو السمر وتتكشف النفوس عن مكنونها .

البقعة المهملة

وأنا أشهد الله الآن ، أن عقل ابراهيم كان في ناحية عقل العقاد ، ولكن العقاد قد وهب التنظيم والصرامة في القراءة والانتاج ، بينما كانت حياة ابراهيم فوضى تختلط بالفوضى ، كان يمشي بقامته الطويلة تتأرجح كشراع مركب تدفعها الريح ، وهو موزع بين الدكان والمقهى وسمر الليل ، لا تحتوي يمينه المال إلا ريثما تحرقه بخانة أزرق .

ما ذكرت ابراهيم الآن إلا وقفت في ذهني أبيات توماس جراي المشهورة في قصيدته المرثية في مقبرة ريفية .

ربما يرقد في هذه البقعة المهملة ، قلب تأججت فيه النار السماوية ذات يوم .

أو ايد كانت تستطيع التلويح بصولجان الملك .

أو بعث النشوة في أوتار القيثارة الحية .

ولكن المعرفة لم تبسط لهم ابدا ، صفحتها العريضة ، الثرية بما غنمت من الزمن .

فالعسر المدقع قد كبت حمية نبلهم ، وجمد مجرى العبقرية في نفوسهم .

واذكر عندئذ منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، حين حدثني احد اصحاب الضحك تليفونيا في بيتي بالقاهرة قائلا إن ابراهيم يرقد الآن في احد المستشفيات مريضا بمرض عضال ، وزرته لاجد ان المرض قد التهم حنجرته ، واسكت صوته وهو اعظم ما فيه ، ثم ما لبث ان مات ابراهيم ، لقد سكت صوته الذي صدح بالحكمة والفكاهة ، فما جدوى التنفس إذن ؟

نفس المرض

زرت ابراهيم أول مرة مع صديقي احمد هيكل — الدكتور احمد هيكل عميد كلية دار العلوم الآن ، اطال الله عمره ، فهو بعض القليل الباقي من الكثير الذاهب ، والدتنا جلسة القهوة معه لغرفة مرسي جميل عزيز ، رحمه الله .

كان مرسي عندئذ جملة رجال في رجل فهو يتجر في بعض مخلفات الجيش الانجليزي وفي الفاكهة ، وعنده هواية تستهلك وقته وبعض ماله وهي التصوير فوتوجرافي ، ثم هو الى ذلك اول من شق منا طريقا الى القاهرة باغانيه التي كان يغنيها مطربو ذلك الزمان .

كان مرسي شديد القلق طموحا ، ذكيا ذكاء لايحاول ان يخفيه ، بل هو يستعرضه حين تسنح له الفرصة ، او يخلقها هو ، ومرت السنوات وانا اعود الى الزقازيق في كل اجازة صيف ، واحيانا في عطلة نهاية الاسبوع ، فاسمع من مرسي ماكتب من اغاني لاعلام المطربين ، واسمعه ما كتبت من شعر سينشر في مجموعة او يتفرق في المجلات الادبية ، فلا انا راض عن اغانيه كل الرضا ، ولا هو راض عن شعري كل الرضا وذكاء مرسي مشحوذ دائما لكي يفتش عما لايعجبه ، وملكته الجدلية ناهضة عنه بما يعوزه من حجة ، ولكننا رغم ذلك نضحك حتى التعب مع رفاق الضحك .

وتمر سنوات اخرى ، واذا مرسي في القاهرة اكثر مما هو في الزقازيق فقد لاذت له ام كلثوم كما غنى له كبار المطربين ، واذا مرسي يعود الى الشعر الفصيح بين حين وآخر ، واذا بآرائنا تتقارب ، او يكون لقاؤنا على الاعجاب اكثر من افتراقنا ، ثم يهجر مرسي القاهرة والزقازيق معا الى الاسكندرية ، ومازلت اذكر ليلة منذ سنوات اربع او خمس دعيت فيها الى الاسكندرية لاحاضر في كلية آدابها ، وفي المساء سعيت الى مرسي ، والتقيته في احد مقاهي الشاطيء ، وكان معي الصحافي المعروف الذي هو صاحب من نحب ابراهيم طلعت والشاعر السكندري عبد المنعم الانصاري ، واقنعنا في تلك الليلة صاحب المقهى ان يترك لنا المقهى في اخريات المساء ، وبالتي لاستلامه منا في اول الصباح .

واصاب نفس المرض الذي صرع ابراهيم اخي واخاه مرسي ، في حنجرته وصدره هذه المرة ، وسافر الى امريكا للعلاج ، فعاد وقد استشرى المرض ، ومكث ان القى تحية الوداع .

لون من العبث

واحمد مخيمر العظيم النقي النفس ، احد ابناء مدرسة ابوللو المحلقين ، ما ذكرته إلا ذكرت دورة «الافلاك بالمصادر» لقيته اول مرة عام ١٩٤٦ ، وكنت عندئذ طالبا بالثانوي ، وكان هو شاعرا معروفا ، فلقد وفدت الى الزقازيق ثلة من جمعية ادباء العروبة التي كان يرعاها الدسوقي باشا اباظة لكي تلقي شعرا في حفل لها .

ميل جون ستيوارت

وكان من بين هؤلاء الوافدين ابراهيم ناجي ومحمود غنيم وطاهر ابو فاشا والعوضي الوكيل واحمد مخيمر .

سري نبأ هذا الحفل في اوساطنا نحن الطلاب من هداة الشعر ومحاوليه ، ثم قيل لنا ان رعاة الحفل سيختارون طالبا او طالبين لكي يلقوا بقصائدهم فتقدمنا بقصائدنا ، ثم ما لبث رعاة الحفل ان عدلوا عن ذلك كله ، واختاروا من المدينة قصيدة لاحد مدرسي اللغة العربية بها .

وحضرنا الحفل ، وكان من اجمل ماقيل قصيدتا مخيمر وابو فاشا ، وبعد الحفل سعيت انا واحد زملائي الطلاب للقاء مخيمر ، فوجدناه على محطة القطار يستعد للسفر الى القاهرة .

كان في مخيمر لون من العبث الحبيب فهو اذا سألته عن شيء ما يقول لك ما يخطر في باله ، وقد حلا له عندئذ حين رأى صبيين غريرين يسألانه بلهجة هي اقرب الى الاجلال ان يعبث بهما ... سألناه عن اولاده فقال لنا لديه خمسة وثلاثين ولدا من تسع نساء ، وعن عمله في القاهرة فقال لنا إنه طيار مدني ، وكان وجهه حين يلقي بهذه المعابثات ساكنا نقيا كانه ينطق بالصدق الصادق وحزنا في امره ، فتركناه على رصيف المحطة ونحن لا ندري مقطع الجد في امره .

وتمضي ستة وبعض شهور واذا بمخيمر قعيد مجلسنا في المقهى وسمرنا الليلي الضاحك بعد ذلك ، واذا بي القت عنه وشاهدت منه فنونا ، تبهج القلب الحزين ، ثم تمضي سنوات اخرى ،

ويشق كل منا طريقه فاذا انا اعمل فى الصحافة ، لانتقل منها هابطا فوق الرءوس الى عمل سياسى فى وزارة الثقافة ، واذا بمخيمر احد معاونى ، هذا الشاعر الفحل الذى يكبرنى بعشرين عاما ، والذى تقدمت اليه منذ بضع سنوات قليلة لن يحدثنى بشىء من امره وشعره .. الم اقل إنها دورة الافلاك !!

لكم ضحكنا عندئذ ، وكان اشد ضحكنا حين ارى مخيمر يتلطف فى الحديث إلى امام الزملاء ، ثم ما يلبث ان يعتذر لى عن احترامه اذا خلا لنا المجلس .

وداهم مرض القلب مخيمر ، ومات وهو حول الستين .. سنة قبلها او بعدها .. لا اذكر ، وبقيت لنا ذكرى لا تموت وشعر سيتالق ويبضه يوما ما حين تعتدل الموازين .

عندما يكتب

اخذت ذات مرة يد صديق عرفته على مقهى الطلبة بالزقازيق وكان يكبرنى بعامين ، وقد اتم دراسته فى معهد موسيقى ، والآن ينتظر تعيينه مدرسا للموسيقى ، اخذته من مقهى الطلبة بعد ان توثقت بيننا صلة الصداقة لاقدمه الى مرسى جميل عزيز فى مقهى جماعة الادباء الضاحكة .

وهكذا عقدت الصلة بين عبد الحليم شبانة الذى سمى نفسه فيما بعد بعبد الحليم حافظ ، وبين مرسى جميل عزيز ، ولكن مرسى تماطأ فى الكتابة لعبد الحليم ، وفى دفعه الى ساحة الشهرة ، ودخل عبد الحليم الغناء معتمدا على كلماتى التى لم اكرر مثلها ، وعلى الحان كمال الطويل ، صديقنا فى ذلك الزمان فى الضاحكة القاهرية .

لا اريد فى هذا المقام ان اتطفل على ذكرى مطرب احبه الملايين ، ونادم الملوك والامراء ، وتسنم اوج الشهرة ، ولكنى أذكر انتى فوجئت بنعى عبد الحليم وانا فى اليمن فلم املك إلا ان ابكى ولم يفد تخاطرى ان المشوير علنا الاخيرة ... وسنة ... مصلاتنا ... السلام ... ولكن ما ... اتفقنا سنوات ثلاثة او اربعة لا ... الا على موعد وننشق طريقنا فى الحياة جاهدين مجهدين .

الجوهرة المتيمة

ماذا ذكرنى برفاق الضحك القديم ... لعله الحنين الى زمن لا يستعاد ، ولعله ان احدهم ، واحبهم الى نفسى قد اعطانى ديوانه بالامس لاقرا فيه ، وارى فيه رايا او ادفع به الى المطبعة ... حصاد عمر باكمله ، لم ينشر او يعن بنشر شىء منه .

هذا هو الصديق الحبيب ابراهيم شاهين ، اسم لا يعرفه إلا انا ، وشاعر لو انصف الزمان وانصف هو نفسه من الزمان لتالق كالجوهرة اليتيمة ... سقطت الان اسنان ابراهيم وتقاعد ... يقول لى احيانا ضاحكا :

سارثيك رثاء حارا كما رثيت مرسى ، فاقول له :

يا ابراهيم .. نحن نمشى بالدور والترتيب .. لقد مضى ابراهيم السروجى اكبرنا سنا وتبعه احمد مخيمر الذى يليه فى العمر وتبعه مرسى الذى كان اكبر منى بشهور ثم عليك الدور ، وبينى وبينك عشر سنوات .. !!

الم اقل لك منا جماعة الضحك القديم ... نضحك حتى فى الموت !!

صلاح عبد الصبور

المسلمون وصناعة الورق

كان المسلمون حتى اوائل القرن الثالث للهجرة يكتبون على الورق او البردى ، وقد روى ان بعض الطروس التى نهبت اثناء الحرب الاهلية بين الامين والمأمون محيت الكتابة عنها ، وبيعت ثانية لتستعمل من جديد .

وبعد القرن الثالث اخذ الورق الصينى يرد الى العراق ، الا ان صناعة الورق ما لبثت ان اتقنها اهل البلاد انفسهم ، ولقد ادخل الاسرى الصينيون الى البلاد الاسلامية سنة ٧٥١م فن صناعة الورق من القنب والكتان والياف الحشائش ، ولعل اسم الورق العربى القديم «كاغد» هو لفظ صينى الاصل جاء عن طريق الفارسية .

ومن سمرقند دخلت هذه الصناعة الى العراق ، وكان أول من ادخل صناعة الورق الى بغداد الفضل بن يحيى البرمكى الذى كان عامل خراسان سنة ٧٩٤م ثم قام اخوه جعفر فاستعمل الورق بدل الرقاق فى دواوين الحكومة .

وسلكت من اخرى سبيل بغداد فانشات مصانع الورق على الاصول المتبعة فى سمرقند ، وبلغت معمل فى نهاية لصنع الورق من الياف الحشائش وكان ورق سمرقند فى زمن المقدسى افضل مايصنع ، ولكن فى القرن التالى — الحادى عشر الميلاد — ظهرت انواع من الورق الفاخر كانت تصنعها مدن سورية كطرابلس مثلا .

وقد انتقلت هذه الصناعة فى اواخر القرن التاسع من غرب اسيا الى الدلتا فى مصر ، حيث كان بعض مدنها تصنع البردى الى البلدان اليونانية ويستعمل للكتابة باسم قراطيس ، ولم يات اخر القرن العاشر حتى حل الورق محل البردى والرقوق فى جميع انحاء العالم الاسلامى .

نظيمة حورانى
سوريا



عبد العزيز ناصر

اتهامات ظالمة لهذا الفن الجميل!

هؤلاء العلماء المسلمون .. واهتمامهم بالموسيقى

لماذا انحدرت الموسيقى في زماننا إلى هذا الحد ؟

لكل علم من العلوم سلاح ذو حدين

كانت الموسيقى ، عند علماء المسلمين منذ أكثر من ستة قرون ، علما من العلوم يجرون عليها أبحاثهم ويتناولها الفلاسفة والمفكرون بالدراسة والتحليل ويعقدون علاقة بينها وبين العلوم الأخرى كعلم الرياضيات والطب وعلم الفلك ، فلذا بها في القرن العشرين ، وهذا هو مثار دهشتي ، تصبح عارا على دارسها والمشتغلين بها .

ستة قرون أو تزيد ومع ذلك فنحن مازلنا متخلفين عن القرن السابع للهجرة تخلفا لا مبرر له سوى جهلنا بحقيقة الأمة الإسلامية .

ولنلقي نظرة سريعة حول بعض علماء المسلمين الذين تناولوا الموسيقى كعلم في كتاباتهم وأبحاثهم من القرن السابع إلى العاشر الهجري :

● الخليل بن أحمد (٧١٨ ـ ٧٩١ م) وهو غني عن التعريف خاصة عند المهتمين بشئون اللغة العربية فهو أول من استخرج مسائل النحو العربية وأول من وضع علم العروض ، ولقد اهتم في أبحاثه بالموسيقى فكتب كتابين فيها هما كتاب النغم و كتاب الإيقاع .

● الكندي :

وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي ولد في البصرة (٧٩٠ ـ ٨٧٤ م) نال حظوة أيام المأمون والمعتصم ، وفي عهد المتوكل الذي اتخذ مطالع العودة إلى التشدد منطلقا الذين يشيعون ... ويحدونها إلى ... العرق ... أغار ... وهو ... الموسيقى ، ومن أبرز كتبه في الموسيقى :

ـ كتاب رسالة الخبر في التأليف .

ـ وكتاب رسالة في المدخل إلى صناعة الموسيقى .

ـ ورسالة في ترتيب النغم .

ـ ورسالة في الإيقاع .

ـ ومختصر الموسيقى في تأليف النغم وصناعة العود .

● الفارابي :

ـ وهو أبو نصر بن طرخان (٨٧٠ ـ ٩٥٠ م)

ولد بفاراب من أعمال تركستان ـ أجاد العزف على آلة العود وكان له أكبر الأثر على الحضارة الأوروبية ويسمى في الغرب الفارابيوس ، وقد كتب الفارابي في المنطق وفي الأخلاق وفي السياسة وفي الرياضيات والكيمياء والفلسفة وكذلك الموسيقى ... ومن كتبه في الموسيقى : «الموسيقى الكبير» و «كلام في الموسيقى» و «كتاب في إحصاء الإيقاع» .

● الرازي :

ـ وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (توفي سنة ٩٢٢ م) .

درس العلوم ـ وكان يعزف على العود في صباه ـ أصبح كبيرا لأطباء مرستان ـ بغداد ، وتعتبر كتبه في الطب مرجعا لأطباء أوروبا لقرون عدة ... ينسب إليه كتاب في جمل الموسيقى .

● ابن الهيثم : وهو أبو علي الحسن بن الهيثم (٩٦٥ ـ ١٠٣٩ م) ولد في البصرة وهو من ألمع الرياضيين والأطباء ومن كتبه في الموسيقى : «رسالة في تأثيرات اللحوية الموسيقية في النفوس الحيوانية» .

● ابن سينا :

ـ وهو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) ولد في افشنا قرب بخارى نبغ في الطب فألف كتابه الشهير «القانون في الطب» ويعتبر هذا الكتاب مرجعا لكل العالم المتمدين ، كان مطربا في صباه ، ومن كتبه «الشفاء» ويحتوي على فصل في علم الموسيقى ، وكذلك كتاب «النجاة» الذي أشار في مقدمته عن وجود قسم خاص بالموسيقى داخله ، ورغم ذلك اتضح أنه غير موجود في داخل الكتاب ، ويوجد مخطوطا قائما بذاته في رسالتين بالمكتبة البودلية .

ويقول ابن أصيبعه بأن لابن سينا أيضا كتاب في الموسيقى بعنوان «المدخل إلى صناعة الموسيقى» .





هذه نظرة سريعة على بعض علماء المسلمين في القرن السابع الهجري الى العاشر الهجري الذين اولوا الموسيقى اهتماما بالغا في دراساتهم وابحاثهم وتناولوها كعلم من العلوم بعيدا عن نظرة البعض اليوم للموسيقى على انها مفسدة للاخلاق والقيم .

فما الذي حدث في عجلة الزمن لتعود بنا الى ما وراء القرن الاول للهجرة حينما كان الناس في العصر الجاهلي يتخذون من الموسيقى وسيلة للهو والترفيه فقط لا وسيلة للتعبير والتهذيب والتأثير والتغيير . ومهما التمست العذر للعلماء اليوم كان القول ان سبب الانحدار هذا يرجع الى المهتمين بشئون الموسيقى والقائمين عليها الذين استخدموها في غير موضعها واهملوها بعد ان كانت كريمة . وفي هذا الكثير من الصحة ، اقول مهما كانت الاسباب الا انها لا تبيح للبعض لعن الموسيقى وابعادها عن العلوم الاخرى في التناول والبحث واعتبارها عاهرة تستحق الرجم والقتل ، مع ان لكل علم من العلوم سلاحا ذا حدين ، سوء استخدام علم الطب من قبل بعض الاطباء في الاضرار بالناس مثلا لا يبيح لنا منع الناس من تعلم الطب ولا يجعلنا نصب جميع اللعنات على هذا العلم .. بل الاولى بنا ان ننقذ هذا العلم فما بلي به على يد بعض مستخدميه .. وهذا يثير قضية الحق في مادة التربية الموسيقية في المراحل الدراسية حيث النهضة ... لتوظيف ... هذا السلاح الخطير وحيث الارشاد والتوعية والفكر .

● ولنا اليوم خير ما اعد الغرب من رجال العلم والمعرفة ، ونحن في القرن العشرين ، في ادخال مادة التربية الموسيقية كمادة دراسية في المراحل الدراسية العامة .. اذا لقد ساهم الرجال القائمون على شئون التعليم في فصل الموسيقى عن بقية العلوم مما ساعد على ظهور الموسيقى بصورة غير مشرفة استغلها المتطفلون بجذب النفوس الانسانية ، الضعيفة والمتعطشة لهذا الفن الجميل الى اماكن الرذيلة ليتعلم الموسيقى هناك من يريد وحيث يقضي الانسان وقته ويقضي على حياته بين الكاس وموائد القمار وما الى ذلك من امور الفساد .

إن من يضع مسئولية استخدام هذا السلاح الخطير في الشر على عاتق الفنانين الموسيقيين وحدهم مخطىء فالذي يلقي بالمسئولية على عاتق وزارة واحدة دون بقية الوزارات ..

إنها في اعتقادي مسئولية مشتركة ولا يمكن اصلاح حال الموسيقى إلا عن طريق ان يتحمل كل مسئول تبعات مسئوليته كاملة . إن التشكك في اهمية مادة التربية الموسيقية في المراحل الدراسية والتشكيك في امرها ، خطأ نرتكبه في حق اجيال لا تعلم الان عن الموسيقى إلا انها اداة للتسلية والترفيه ناهيك عما يتصوره البعض بانها في عداد المحرمات ..

اقول هذه الكلمات ومازالت في ذهني صورة للفارابي وابن سينا والرازي والكندي وابن الهيثم والخليل بن احمد وغيرهم من الذين امنوا بالموسيقى كعلم له ارتباط وثيق بالعلوم الاخرى كعلم الرياضيات والطب الخ ... وبحثوا في تأثيرها على النفوس وقدرتها على التعبير عما يعجز اللسان التعبير عنه ، وما لها من قدرة على تهذيب الوجدان والارتقاء به نحو السمو الانساني وشعروا واحسوا بسيطرة النغم والايقاع على حياة الانسان وعلى الكون كله فتحيروا بابداع المبدع .. فهذا يهز بتفاؤل الى عالم فسيح له اسراره الغريبة وتأثيره السحري العجيب .. الى عالم الجمال الذي يدعو الى التأمل والتفكر والتدبر فلم يجدوا انفسهم إلا وتردد :

سبحان الله .. سبحان الله .

عبد العزيز ناصر



اللورد مونتباتن
يتذكر أحداث السويس .. ولكن!

إعداد: بشير محمد صالح



اخفاء الحقائق عن الشعوب وفرض الرقابة بغرض إعطاء صورة وردية زاهية تخفي وراءها الحقائق المرة واستغلال اجهزة الاعلام لاخفاء الحقائق لا لنشرها «ممارسات عرفت فيها انظمة الحكم في اغلب بلدان العالم الثالث مستغلة مختلف الشعارات ولكن الشيء الذي لا يعرفه الناس كلهم أن الديموقراطيات الغربية لا تستنكف من اللجوء الى هذا الأسلوب اذا ما تعلق الامر بالعالم الثالث او خدم مصالح بعض جهات الضغط وبخاصة اجهزة الضغط الصهيوني.

ولعل ابرز مثال لذلك ما كشف عنه النقاب كاتب صحيفة التايمز المعروف برنارد ليفن «كاتب يهودي» في تعليقه على المسلسل الاسبوعي الذي يعرضه هذه الايام تلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية بعنوان «مونتباتن يتذكر» وهو برنامج يحكي سيرة حياته كما سجلها عنه المستر جون ترين بعد ان جلس اليه الساعات الطوال ثم اعاد تركيبها وصياغتها في فيلم وثائقي مقسم الى حلقات يمثل دور الراوية فيه المستر لودفيك كندي.

وكان اللورد مونتباتن قد اشترط الا تعرض مادة الفيلم على الجمهور إلا بعد وفاته، ربما لانه احس انه كان صريحاً غاية الصراحة وهو يروي الاحداث ويعلق على الشخصيات، وما كان يريد وهو الرجل المهذب ان تتسبب بعض تعليقاته في حرج من عرف من السياسيين والزملاء من الضباط، لو ان

ما حذف من الفيلم هو الجزء الخاص بالعدوان البريطاني الفرنسي

الاسرائيلي الفاشل على قناة السويس وفيه معارضة اللورد لهذا الاعتداء

تعتبر قدحا في ذاتهم أو إساءة في حقهم.

ولقد بدأ عرض الحلقة الأولى من الفيلم في الاسبوع الأخير من شهر أكتوبر الماضي . وبالرغم من إصرار اللورد مونتباتن على منتجي الفيلم على ألا تطمس الحقائق بأية حجة وتبرير كما تقول مجلة «راديو تايمز» إلا أن هذه الرغبة لم تحقق له بكل أسف . ولقد حاول منتجو الفيلم أن يظهروا للصحافة وأجهزة الاعلام أن خمسة برامج فقط مدة كل واحد منها ثلاثون دقيقة هو كل ما أمكن استخلاصه من المادة المتوفرة لديهم وليس هذا صحيحا ، بل إن هناك في الواقع ستة برامج أعدت فعلا ولكن رؤي طمس واحد منها .. وعندما اتضحت هذه الحقيقة أخذ المشرفون على الفيلم يبدون أسبابا واهية ومتناقضة .

فقد ذكر المستر كندي لمجلة «المستمع» أن سبب إلغاء الحلقة يعود الى اعتراض مجلس الوزراء بسبب الاشارة الى بعض الشخصيات السياسية . وكان أصحاب الفيلم قد قبلوا شرطا مسبقا من هيئة أمناء «محفوظات برودلاندز» بألا يتم عرض الفيلم إلا بعد موافقة مجلس الوزراء . ولفائدة القارىء العربي لابد أن نوضح هنا أن الجزء الذي حذف هو المتعلق بالاعتداء البريطاني الفرنسي الاسرائيلي الفاشل على قناة السويس في سنة ١٩٥٦ وفيه يتحدث اللورد منتباتن وقد كان شديد المعارضة لهذا الإعتداء ..

يتحدث عن سلوك بعض السياسيين والعسكريين تجاه تلك العملية الاجرامية . والغريب في الأمر أن السيد روبرت ارمسترونج سكرتير مجلس الوزراء الذي طلب تأجيل عرض هذا الجزء قد أعطى سببا غير منطقي وغير معقول فقد احتج بأن الموقف في العالم العربي حرج جدا وهي حجة مرفوضة لأن اللورد مونتباتن في البرنامج المرفوض قد سجل معارضته الشديدة لحملة السويس التآمرية الفاشلة وهو أمر يسر العرب ولا يغضبهم .

وعندما وضحت تفاهة هذا الاعتراض جاء السير روبرت باعتراض آخر مؤداه أن تعليقات اللورد مونتباتن في هذا البرنامج تعتبر من قبيل خرق العلاقات السرية، معتمدا في ذلك على التقرير الذي أعده مجلس شورى الملك حول السيرة الذاتية للشخصيات الوزارية .

وهي حجة مرفوضة أيضا لأن كل الاشارات الشخصية التي اعترض عليها السير روبرت قد ألغيت فعلا . ومن ناحية أخرى فإن التقرير المشار اليه يسقط الحذر عن تناول سيرة الأفراد الأحياء بتقادم الزمن وقد حدد لذلك خمسة عشر عاما . وقد كانت تعليقات مونتباتن تنصب في الغالب على مستر إيدن وزملائه — موليه وبن جوريون — أما السيد ... وهيلشام فقد ... وعليه سقط كل الأسباب التي اعتمد عليها ممثل مجلس الوزراء في رفض عرض هذا الجزء الهام من الفيلم .

• •

وربما كان على هيئة الاذاعة البريطانية أن ترفض عرض الفيلم كله اذا استثني منه هذا الجزء ، لكن هذا القرار كان عسيرا عليها بعد أن صرفت على الفيلم مبالغ طائلة في وقت تعاني منه ضائقة مالية .

ولقد أورد الكاتب برنارد ليفن في تعليقه الرائع على هذا الموقف بعض الفقرات المأخوذة من الجزء المحذوف من الفيلم .

يقول اللورد مونتباتن عن إيدن :

«لقد انتظر المسكين سنوات وسنوات لكي يخلف الرجل العجوز ونستون تشرشل ولكن الرجل ظل متشبثا بالحياة. ولقد أصابته هذه الرغبة المحمومة بالهوس ، حتى لقد تغير الرجل في أخلاقه فأصبح حاد المزاج ميالا الى العنف والسطوة وفرض إرادته بصورة مخيفة لزملائه ..»

وفي موضع آخر يحكي مونتباتن قصة الاجتماع الذي عقد في مقر مجلس الوزراء في داوننج ستريت في ليلة السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦ حيث استدعى إيدن الوزراء ورؤساء الأركان ليحدثهم في عصبية وانفعال عن تأميم عبد الناصر للقنال ..

يروي مونتباتن :

«لقد قال إيدن : هذه هي النهاية ! لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك، اذا استمر على هذه الوتيرة فسيكون في وضع يمكنه من تهديدنا وابتزازنا ، يستطيع أن يرفع رسوم عبور القناة ويديرها بصورة رديئة للغاية تؤدي بتجارتنا الى الاختناق الشديد .. وهذا وضع يستحيل قبوله . إن الموقف يتطلب منا عملا حاسما وقويا .. أريد أن أستولي على القنال بالقوة وأعيده كما كان تحت سيطرتنا ..»

وفي ذلك الاجتماع تمت مناقشة الجوانب العسكرية للحملة المزمعة ويواصل اللورد مونتباتن سرد الحكاية :

«أذكر أن أحد المستشارين القانونيين للدولة قد واجه إيدن معترضا بقوله : «يا رئيس الوزراء : أنت تعلم بأن عبد الناصر لم يرتكب أي عمل غير شرعي بتأميمه للقنال» . فكان رد إيدن «أنا لا يهمني اذا كان عمله شرعيا أم لا ، لن نسمح له بتأميم القنال ولابد من معاقبته على هذه الفعلة».

ويصف مونتباتن كيف أن إيدن قد تحول الى انسان شرس جدا مصدرا أوامره لرؤساء الأركان ليواصلوا اجتماعاتهم طول الليل لوضع خطة عسكرية للاستيلاء على قناة السويس . وقد حدد الساعة الحادية عشرة من اليوم التالي لمواصلة النقاش . ويحدثنا مونتباتن كيف أنه التقى باللورد هيلشام في اليوم الثالث من سبتمبر وكان الأخير قد أصبح لتوه اللورد الأول للبحرية .

يقول مونتباتن :

«لقد كان مونكتون قد حذرني من قبل

اللورد مونتباتن

يتذكر أحداث السويس.. ولكن؟

بأن اللورد هيلشام من أولئك المحافظين المتطرفين الداعين لاستعمال العنف وتنبأ بأنني سأجد عنتا في التعامل معه. ولكنني بعد أن تعرفت عليه وجدت على النقيض من ذلك أنه من الرجال الذين يسهل التعامل معهم. وقد قلت له في ذلك اللقاء هل تعلم ما تنطوي عليه هذه الخطة؟ ألا تعلم بأن سلاح البحرية سوف يستخدم لضرب الأبرياء من النساء والأطفال وسفك دمائهم في عملية خاسرة؟ أهذا شيء تستهويه عملك كرئيس للبحرية؟». ولم ترعجه كلامي هذا وأصبح يتمتم في قلق وذهول:

«يا إلهي.. يا إلهي لم أكن أدرك أننا وضعنا أنفسنا في هذا الوضع».

ويذكر مونتباتن كيف أنه وضح في الاجتماع المشترك مع رئيس الوزراء «أن النزول على الأرض سيتم في أرض آهلة بالمباني والسكان وأنه لكي يتم ذلك في سلام لحماية المهاجمين لابد أن يسبقه قصف مسبق مركز بواسطة مدفعية السفن الثقيلة التي ستنفجر بحكم مداها وسط المدينة. فكروا في الفوضى والدمار الذي سوف تحدثه هذه القذائف القوية المندفعة من مدفعية السفن والبوارج الفرنسية. فكروا في الضحايا والمآسي. سوف يلتقط المصريون صور ضحاياهم وينشرونها في العالم كله دليلا دامغا سفاكون وقتلة للأطفال والنساء. إنها فكرة بشعة».

• •

ويصف اللورد مونتباتن لقاءه بلورد مونكتون الذي كان وزيرا للدفاع:

«تحدثنا وحثثته على الاستقالة وتوضيح موقفه للأمة. وقد ذهب بعد ذلك وقابل رئيس الوزراء وقدم استقالته ثم عاد وأخبرني بذلك. فسألته إذا كان سيتحدث إلى الشعب موضحا أسباب استقالته فقال: «لا أستطيع لأنه أجبرني على قبول منصب المراقب العام للمالية». فقلت له «لماذا قبلت بحق السماء؟» فقال:



«إنه لا يريدني أن أترك الوزارة. لقد أخبرني بأنني إذا استقلت الآن فسوف تتصدع الحكومة وتسقط.. إنها حكومة صالحة فيما عدا هذا العبث الذي يدور الآن. وأنا لا أرغب في أن أكون السبب في انهيارها». إنني أشعر أنني بتعقلي في الحكومة أستطيع كبح جماح الرؤوس الساخنة». فقلت له: «أي رؤوس ساخنة وأنت تعلم تماما أنه ما من رأس ساخن مثل رئيس الوزراء نفسه ولن تستطيع إيقافه إلا إذا توجهت إلى الأمة ووضحت موقفك بصراحة ووضوح». فرد عليّ بقوله: «لقد قررت وانتهيت، ولقد كان الاختيار صعبا بما فيه الكفاية. فلا تجعله أكثر صعوبة».

ويكشف اللورد مونتباتن عن قصة خطاب هام وصله من الأدميرال بور الذي كان مرؤوسه حين كان مونتباتن قائدا لقوات البحر الأبيض المتوسط. يقول مونتباتن: لقد كان واحدا من أعظم ضباط الغواصات شهامة وجسارة. إنه رجل شجاع بمعنى الكلمة، ومحارب عظيم، وقد كتب في رسالته: «لقد دُرّب ملاحونا للحرب وليس للقتل الجماعي العشوائي. إنهم بالطبع سوف يمتثلون للأوامر ويقومون بما يطلب منهم مهما كان ذلك بغيضا إلى أنفسهم. لكني أود أن أقرر بقوة ووضوح بأنني لا أعتقد أنه من الصواب أو العدل أن يستغلوا بهذه الطريقة التي لن تجلب لهم سوى كراهية شعبنا واحتقار العالم بأسره».

• •

تتابعت الأحداث بعد ذلك بسرعة فائقة. وحيكت المؤامرة بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وأصبح قرار غزو السويس نافذا بعد أسابيع قليلة. حينئذ بدا لمونتباتن أن الوقت قد حان لمواجهة ايدن بصراحة:

«قلت له: ما هي الحكمة في الشروع في عمل لن تستطيع إكماله؟ إنني أشعر بما تفعله الآن بالتضامن مع إسرائيل. إن العالم كله سيعرف الحقيقة ويدرك التآمر. إن العالم كله يشاهدك وأنت تجمع الأساطيل وتستعد للغزو بإعداد قوة حربية عظيمة، ولن يصدقك حين تأتي بعد أيام حين يهجم الإسرائيليون لتدعي بأنك إنما تدخل لفصل المتحاربين. إنها خدعة لن تنطلي على أحد. فأرجوك إكراما لنفسك وللوطن أن تكف عن هذه الخطة المحكوم عليها بالفشل».

وحين انتهيت شكرني ايدن بحرارة وقال إنه سعيد أن يكون له صديق ناصح مثلي يبدي وجهة نظره بصراحة.

● لماذا تتابعت الأحداث بسرعة فائقة ، حيث حبكت المؤامرة بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ليصبح قرار غزو السويس نافذا بعد أسبوع ؟

ومع ذلك تمت العملية العسكرية كما هو معروف،وانفجر العالم محتجا على الدول المتآمرة ، وأوقف الغزو بطريقة مهينة ، وهنا يتساءل اللورد مونتباتن ما اذا كان الضغط الامريكى ، او احتجاج الامم المتحدة او انهيار الجنيه الاسترلينى هو الذى كبح جماح إيدن ؟ ويخلص مونتباتن الى أن انهيار الجنيه الاسترلينى هو العامل الفعال فى إيقاف الغزو .

ويصف لنا الحوار الذى دار بينه وبين ماكميلان فى الحفل الدبلوماسى السنوى للملكة :

ماكميلان : هل صحيح انهم سدوا القنال ؟

مونتباتن : نعم هذا صحيح .

ماكميلان : يا إلهى إنه امر فظيع كيف يفعلون شيئا كهذا ؟ إننا لن نتحمل أن تظل القناة مغلقة فى وجه تجارتنا .. ولماذا لم يخبرونى بذلك ؟

مونتباتن : لماذا لم يخبروك ؟ منذ الثلاثين من يوليو وقد بح صوتى وانا اتحدث فى كل مناسبة ممكنة بان هذا بالضبط ما سيفعلونه فلا يمكن ان تتظاهر بانك لا تعلم .

ماكميلان : ولماذا لم تتخذ اية خطوات ؟

مونتباتن : لم يطلب إلىّ إتخاذ اية خطوات ، ولكن اتخذتها بنفسى،فقد قمت بعد ان رايتكم سادرين فى تنفيذ العملية بوضع موارد الانقاذ فى البحرية فى حالة استعداد . وهم جاهزون الان للابحار فى البحر الابيض المتوسط ومستعدون لفتح القنال .

ماكميلان : اه .. شكرا لله !

مونتباتن : لا تقل بالله ! إنهم لن يسمحوا لنا بدخول القنال .

ماكميلان : ماذا تقصد ؟

مونتباتن : إن الامم المتحدة لن تسمح لنا بدخول القنال بحجة تنظيفها . خاصة وقد تسببنا نحن فى ذلك ، انهم سيصرون على القيام بذلك بانفسهم وهذا سيعطل الامور .

حادث إخفاء هذا الجزء الهام من الفيلم يؤكد أن قدرة بعض الجهات على إخفاء الحقائق لا حدود لها !

ماكميلان : إننا لن نستطيع تحمل اى تعطيل ولا يمكن ان تظل القناة مغلقة .

مونتباتن : كان عليكم ان تفكروا فى ذلك قبل ان تقدموا على خطتكم ، لقد كنت انت بالذات من الاوائل الذين علموا بالخطة منذ البداية وساندت رئيس الوزراء . ولهذا فانت مذنب مثله ، لقد جلبتم هذه المصيبة على انفسكم ولا دخل لرؤساء الاركان بها .

وفيما يتعلق بحقيقة التآمر بين الدول الثلاث المشتركة فى الغزو والتى لا تحتاج الى برهان ، يورد مونتباتن حادثة تؤكدها ، يقول :

فى اليوم السابع من شهر يناير عام ١٩٧٧ طلب منى الجنرال كيجتلى ان اطلع على التقرير الذى قدمه الادميرال ونورد سلبتر . وقد لاحظت ان التواريخ التى امر فيها بالتحرك متقدمة على التاريخ الذى كان من المفروض ان تقوم فيه اسرائيل بهجومها مما يؤكد حقيقة التآمر . لهذا فقد حملت هذه الصفحات لرئيس البحرية لورد سلكرك وطلبت منه توجيها سياسيا بما يجب عمله تجاهها . وبعد التشاور مع زملائه قال لى ان هذه الصفحات يجب ان تعاد صياغتها بحيث تخفى وجود تآمر وان يحرق الاصل . وهذا ما فعلناه .

وبعد : إن حادث إخفاء هذا الجزء الهام من الفيلم يؤكد حقيقة خطيرة للغاية وهى ان قدرة بعض الجهات على اخفاء الحقائق هى قدرة لا حدود لها . فالشخص المعنى ليس رجلا سهلا عاديا من عامة الناس يمكن الوقوف بينه وبين الحقيقة،ولكنه كان من امبز الموظفين والقادة العسكريين الذين انجبتهم بريطانيا،والى جانب إنتمائه الى الاسرة الحاكمة البريطانية ، فقد كان رجلا محبوبا لدى عامة الناس . ومع ذلك تملك قوى الضغط فى بريطانيا قوة حجر ارائه فى اخطر احداث عصره . وإذا كان الامر كذلك فاية حماية للرجل العادى الذى يقال إن الدولة تتحدث باسمه وتوجد من اجله ؟!

إعداد : بشير محمد صبيح





صدر العدد الأول
في غرة المحرم
١٤٠١
مطلع القرن
الخامس عشر
الهجري



اقرأها
في مطلع
كل شهر عربي

- مجلة المسلمين في جميع أنحاء العالم
- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة
- تحقيقات علمية ، واستطلاعات مصورة
- رصد مظاهر النشاط الإسلامي في العالم
- كشف الحركات المعادية ، والنشاطات التنصيرية
- إلقاء الأضواء على أهداف اليهودية ومخططاتها
- إلى جانب العديد من الأبواب الثابتة التي تتناول قضايا الشباب والمرأة ، وشؤون المسلمين ، والقصص الهادفة



عاصرت حربين ..
وتزوجت مرتين ..
واختفت بطريقة بوليسية

أجاثا كريستي
السيدة الأولى للجريمة

جمال الكناني

فى أعقاب الإضراب العام الذى اجتاح انجلترا ، ظهر فى يوم ٢٧ مايو ١٩٢٦ كتاب لاجاثا كريستى بعنوان «مقتل روجر اكرويد» هللت له الصحف وكبرت وأشاد به النقاد ، وأطلق الناس على صاحبته لقب «ملكة الجريمة» أو «السيدة الأولى للجريمة» ... وكان فى الغموض الذى لف فيه هذه القصة والمهارة التى تمكن بها رجل البوليس السرى «هركيل بوارو» من حل الغازها ما امتع القراء والنقاد وأهل الأدب جميعا ، لان اجاثا كريستى تمكنت من وضع «الغموض» فى اطار «سوداء» فزاد الغموض اثرا وإبهاما وزادت الالغاز تعقيدا .

وفى هذه الموجة الكاسحة اختفت اجاثا كريستى ، فاذا برمة الغموض تصبح موضوع الغموض وسلالته ، واذا بصاحبة الالغاز تصبح هى اللغز الذى حير الشرطة وشغل الصحافة

كان الكولونيل كريستى ، زوج اجاثا الأول ، قد اتخذ لنفسه خليلة ، وقرر ان يقضى معها عطلة نهاية اسبوع .. وضاقت اجاثا صدرا وبرمت بهذا الموقف فركبت سيارتها وتركت دارها ... ولاكت الألسن موضوع اختفائها واكتنفه الغموض لما عثر بعضهم على سيارتها مقلوبة فى مكان مهجور .. وأعلنت الصحف عن جائزة ١٠٠ جنيه لمن يعثر عليها وعرض زوجها ٥٠٠ جنيه لمن يدل على مكانها ... وبدأ العرافون ينشرون على الناس نبوءاتهم عنها والتى أخذ الصيدلة للبوليس بأقواله مؤكدا أن اجاثا كثيرا ما ناقشته فى موضوع السموم ووسائل الانتحار وطرقه وانتهى الامر بأن صرح الكولونيل كريستى للبوليس بأن زوجته كثيرا ما اكدت له أنها اذا قررت أن تختفى فان الشرطة تعجز تماما عن العثور عليها .

وانتهت القصة وهدأت العاصفة فجأة بأن أعلن موظف أحد الفنادق أن اجاثا كريستى واحدة من نزلاء فندقهم ، تنشد الهدوء والراحة ، فلا اختفاء ولا غموض ... الصحف هى التى هولت وجسمت الموضوع وأثارت زوبعة فى فنجان فشغلت الشرطة .. فاستحالت الحبة الى قبة ..

اجاثا كريستى

واخذ دعاة السوء والحاقدون ينادون بأن اجاثا لجأت الى الاختفاء كحيلة ووسيلة للدعاية عن كتبها ولو علموا أن العدد الذى بيع من كتب اجاثا يزيد عما بيع من كتب أى مؤلف آخر فيما عدا شكسبير والكتاب المقدس ، ولو علموا أن مؤلفاتها ترجمت الى عدد من اللغات يزيد عما ترجمت اليه اعمال شكسبير ، لما تطاولوا على ربة الجريمة بمثل هذا اللغو .

حياة عامرة بالاثارة

يقال عادة ان كتاب المؤلفات المثيرة قل ان ينعموا بحياة مثيرة .. ولكن يصعب تطبيق هذا القول على كاتبة مثل اجاثا كريستى ، عاشت خمسة وثمانين عاما ، تخللها حربان عالميتان ، وزيجتان ورحلات الى اقطار الشرق الاوسط وصحاريها .. وحملات تنقيب عن الآثار ، مثل هذه الحياة لابد لها من نصيب من المآسى والكوميديا والرومانس .

ولدت اجاثا مارى كلاريسا ميللر ، التى نعرفها باسم اجاثا كريستى ، فى ١٥ سبتمبر ١٨٩٠ ، بالقرب من مدينة «توركى» بمقاطعة ديفون ، فى جنوب انجلترا ، لأب امريكى موسر وأم انجليزية مثقفة قامت على أمر تعليم ابنتها اجاثا ، يساعدها فى ذلك عدد من المربيات ومعلمة موسيقى ... فنشأت اجاثا مرهفة الحس فى جو يشجع على القراءة والبحث ثم الكتابة ...

ولم يقبل الناشرون على كتب اجاثا كريستى أول الامر ، وبعد أربع سنوات



وستة من الناشرين، ظهرت في ١٩٢٠ أولى رواياتها البوليسية بعنوان «مشكلة غامضة في ستايلز».. ولقيت القصة عند القراء قبولاً ولم يتردد الناس في شرائها .. واحمرت وجوه ستة من الناشرين وعضوا أصابع الندم لأن صيداً ثميناً مثل أجاثا أفلت من فخاخهم.

تطوعت أجاثا كريستي أثناء الحرب الكونية الأولى للعمل كممرضة في أحد المراكز الطبية وعيادة من عيادات الصليب الأحمر وفيها درست وعرفت الكثير عن استعمالات السموم وآثارها واهتمت في تلك الفترة كذلك بدراسة النواحي النفسية من الطبيعة البشرية والدوافع الى الجريمة ونفسية الاجرام والمجرمين.

قوة خارقة على الملاحظة

وتقول أجاثا في معرض الحديث عن عملها إن أفكار المشاكل التي تنسج منها عقد رواياتها تطوف بخاطرها عادة وهي تقرض التفاح أثناء الاستحمام.. على أن المنبع الأصلي لهذه الأفكار هو ما تملك الكاتبة من قوة خارقة على الملاحظة تبلغ من الحدة درجة غير عادية.

عقد روايات أجاثا، أساسها في أغلب الأحيان، حقيقة أو ملابسة بسيطة، تتولى هي تطويرها ولفها في نسيج من الغموض ... فعقدة أولى رواياتها «ستايلز» مثلاً تقوم على فكرة أن القانون البريطاني يقضي بأنه اذا حكمت المحكمة بعدم إدانة متهم بارتكاب جريمة معينة فإنه لا تجوز محاكمته على نفس التهمة مرة ثانية اذا ثبت بعد حكم المحكمة أنه مذنب. وفي استغلال هذه الحقيقة المبسطة، كما استغلتها أجاثا في «ستايلز»، ما يمكن مجرماً بالذات من ارتكاب جريمة معينة اذا استطاع أن يرتب لنفسه دليلاً موقتاً على براءته.. فاذا أخلت المحكمة سبيله وظهرت إدانته بعد ذلك عجزت النيابة عن تقديمه للمحاكمة مرة أخرى.

ولعلنا نذكر في هذا الصدد أن مجرماً مشهوراً ارتكب في انجلترا جريمة على غرار ما شرحت أجاثا في احدى رواياتها البوليسية، وذلك بعد نشر الرواية بعشر سنوات .. وجرى ذلك في نفس الكاتبة ولكن الذي خفف من ألمها أن البوليس وجد في بيت المجرم كتاباً عمدة تعالج استعمالات السم الذي استعمله المجرم في ارتكاب جريمته وبذا عرفت أن روايتها لم تكن المصدر الأوحد الذي استمد المجرم منه معرفته بالسم.

وقلما تستعين أجاثا كريستي بنفس العقدة أو ... في أكثر من رواية ... رواياتها ... الشائع ... هذا ... في ... ملووان ... الذي كان يهتم بصفة خاصة بآثار الآشوريين والمصريين القدماء، وبحثت عنها في أرض ما بين النهرين ووادي النيل.

مهارة في ابتكار المواقف

وتعتمد مكانة أجاثا كريستي كمؤلفة في طليعة كتاب الرواية البوليسية في العالم، على أصالة بنائها للعقد والألغاز والظروف الغامضة، ففي ذلك تكمن مهارتها الفائقة التي تتجلى في «مقتل روجر أكرويد»، «أبجدية جرائم القتل»، «عشرة زنوج صغار».. ويمكن أن نضيف الى هذه في غير استحياء «جريمة قتل على إكسبريس الشرق».

وعلى الرغم من هذه المهارة الفائقة في ابتكار المعضلات والمواقف الغامضة والألغاز وتعقيد كل ذلك بحيث يستعصي على القارىء حلها، فإننا نجد أن أسلوب الكاتبة نفسه، رغم جمال والتقان ما فيه من حوار، لا يعتبر أسلوباً من النوع الرصين، فمفتاح نجاحها هو بساطة أسلوبها فعلى الرغم مما في عقد الروايات من صعوبة وتعقيد إلا أن طريقة عرضها على القارىء طريقة بسيطة غاية البساطة، سهلة كل السهولة .. لا تستعمل فيها إلا المألوف من الكلمات تسوقها في جمل قصيرة تكون منها فقرات غير طويلة .. وفي هذه البساطة ما يسر مهمة ترجمة كتبها الى أكثر لغات العالم .. فكتبها من النوع الذي يقرأه أستاذ المنطق وهو في طريقه الى الجامعة، ويتسلى المريض في فراشه، ويمتع التلميذ في مدرسته .. واذا نحن تصورنا مثلاً أن في مستشفيات أمريكا ٣ مليون مريض في لحظة معينة وأن في أمريكا من كبار السن المتقاعدين ٢٠ مليون مثلاً، فيمكن أن نقطع بأن مليوناً من المرضى وعشرة ملايين من كبار السن يصرفون جل وقتهم في قراءة ما كتبت أجاثا كريستي، فاذا أتم أحدهم قراءة الثمانين رواية التي كتبتها، عاد يعيد قراءة ما تعجبه منها .. والذي يعجب القارىء من كتابات أجاثا كثير وكثير.

صورة المجتمع في أعمالها

لقد خلقت أجاثا كريستي بأسلوبها السهل فناً شعبياً يتميز بالقدرة على أداء المعاني التي تريد التعبير عنها في سهولة ويسر وإيضاح.. وهي تؤلف كتباً تمتعك قراءتها، وتحتفظ بهذا الامتاع عاماً بعد عام وفي هذا ما يفسر العدد الضخم الذي يباع من كتبها في أنحاء العالم .. فالناس على اختلاف نحلهم ومشاربهم يحبون القصص .. وأجاثا كريستي قصاصة بارعة ممتعة بالفطرة والسليقة .. هي ملكة الألغاز وسيدة حلولها .. وكل حل تقدمه لأحد ألغازها رائعة من الروائع ... واذا كانت أجاثا تستعين في رواياتها بخلفيات انجليزية، فإن الدعابة التي تقدمها من النوع الدولي الذي يستسيغه الناس جميعاً .. ولسنا نعني بذلك أنها كاتبة مضحكة ... فالدعابة التي تستعين بها دعابة هدفها التخفيف من حدة موقف أو شد في الأعصاب.

أهم من ذلك أنها كاتبة تؤرخ دون تاريخ، وتعلم دون تعمد الإعلام .. والذي يحصله القارىء من كتبها من معلومات عن الأحوال الاجتماعية والظروف الاقتصادية في انجلترا بعد

الحرب العالمية الأولى يزيد كثيراً عن كل ما نشرته جريدة «التايمز» الإنجليزية في هذا الموضوع، وما تقدم احاثا للناس من تفاصيل عن الأحوال المحلية يفضل ما يرد في مجلدات كتبت عن التاريخ الاجتماعي لتلك الحقبة من الزمن.

بوليس سرى فريد

والحديث عن شخصيات اجاثا كريستي لا يكتمل بغير الشارة الى الشخصية الممتعة التي خلقتها لتكون وسيلتها في حل المعضلات والكشف عن الجرائم، ونعني بذلك شخصية البوليس السري «هركيل بوارو»... ولن يدهشنا اذا كتب لهذه الشخصية من الخلود ما كتب لشخصيات لير وهاملت وشيلوك وميكوبر وغيرها من الشخصيات الخالدة... فلى حسابنا ان شخصية «بوارو» ليست كما يقال شخصية بلجيكية او فرنسية، ولكنها مخلوق انجليزي تتمثل فيه فكرة الانجليز عن الأوروبيين، ولذا كان من السهل على القراء ان يتعرفوا عليه، وان يحظى عندهم بالقبول فوراً.

وبوارو، بوصفه شرطياً او بوليساً سرياً، يكرس حياته لمقاومة الجريمة وحماية الحقوق والدفاع عن كيان المجتمع.. ولقد راق القراء ومرهم ان رجل البوليس الجديد ليس على شاكلة من سبقوه او عاصروه من رجال الشرطة الذين يتميزون بضخامة الجثة والشدة والصرامة.. فهو في حجمه الصغير، ورأسه التي على شكل بيضة الدجاجة، أشبه ما يكون بالعلماء والفلاسفة...

وتشارك اجاثا جماهيرها في لهوهم ودعابتهم فتقول ان العلاقات كثيراً ما تفتر بينها وبين بوارو، ولهذا خلقت له منافسة «الس ماربل» وهي شخصية امرأة عجوز يتراوح عمرها بين الخمسين والستين.. تعتبر في مجال الأعمال البوليسية اقل الفة من «بوارو» واقل منه غموضاً وهي على نقيضه تماماً او تكاد، فهي جمة التواضع، تثق في قدراتها العادية، وهي مثل بوارو تحتفظ بسر حلول المشاكل حتى النهاية ولكنها تختلف عنه في انها تتعاون احياناً مع رجال الشرطة ولا تجد حرجاً، في بعض الأحيان، في كتابة اسم المجرم على قصاصة من ورق تدسها في يد مفتش البوليس...

وفي كتاب اجاثا كريستي بعنوان



«ستار» الذي نشر في عام ١٩٧٥ ماتت بوارو ولكنه نجح بموته نجاحاً منقطع النظير إذ نعته الصحف البريطانية والصحف الأمريكية فنشرت عدداً من المراثي الصورية تحن فيها مناقب تلك الشخصية الخيالية الفذة وتمتدح خالقتها اجاثا كريستي.



من هي ماري وستماكوت ؟



هنك نعلم الآن - وبعد... - يختبئ اسم... وستماكوت... جوجا كريستي نفسها ان... شخصية «ماري وستماكوت» وهو الاسم المستعار الذي اتخذته اجاثا في عام ١٩٢٠، فقد ارادت ان تكتب قصة طويلة من نوع لا تكتبه اجاثا كريستي... انه نوع غاب عنه بوليس ...موضوعه... العار.. وكانت القصة بعنوان «خبز العمالقة»... فلما نشرت القصة لم تحرك في الناس ساكناً - وحاولت «ماري وستماكوت» ثانية بعد اربعة اعوام فكتبت قصة طويلة ثالثة بعنوان «صورة لم تكتمل» كان نصيبها من الفشل نصيب الأولى.

واختفت «ماري وستماكوت» من عالم الكتابة والأدب لعدة عشر سنوات بعد ذلك حتى عام ١٩٤٤، واضطرت الى الظهور ثانية لان قصة كانت تجيش في صدرها، تطلب من يقصها على الناس، وكانت من النوع الذي لا تستطيع اجاثا كريستي ان تقصه.. عنوانها «غائب في الربيع» وكانت زبدة هذه المجموعة الصغيرة من الروايات.. ولكن كان كل ما في القصة من جمال وعاطفة، كحليب رائق صب على ارض قاحلة جرداء، فاتبعت القصة بقصة اخرى بعنوان «الوردة وشجرة الطقسوس» ولكن نصيبها نصيب ما سبقها.

مضت خمس سنوات اخرى قبل ان تحاول ماري وستماكوت ان تكتب شيئاً..

وفي عام ١٩٥٢ كتبت رواية طويلة بعنوان «الابنة هي الابنة» ونشرت في عام ١٩٥٦ رواية اخرى بعنوان «الحمل» لم تستقبل بأية حماسة.. وانتهت بذلك حياة ماري وستماكوت الأدبية، ودفنت في طيات التاريخ لم يسمع بها إلا قلة من الناس.

ومن حق القارىء ان يسأل عن السبب في فشل هذه الكتب الستة.. والجواب الذي نرتضيه هو انها لم تقدم للقراء بطريقة مجدية.. اهمل الناشر واجبه فاهدرت جهود الكاتبة وراحت هباء ولو ان الذي تولى نشرها كان يفهم مهمة الناشر لكان لماري وستماكوت شأن آخر في عالم الأدب.

مصيدة الفئران

لم تقتصر كتابات اجاثا كريستي على الروايات البوليسية فقط بل تعدتها الى غيرها من مختلف انواع النثر والشعر.. ولكن الذي يتسع له المقام هنا، هو كلمة عابرة عن مسرحياتها الرائعة ونشير بالذات الى مسرحيتها «مصيدة الفئران» فلها قصة لا تخلو من طرافة.

كانت الملكة ماري ملكة انجلترا من اشد المعجبات باجاثا كريستي، فاستدعتها ذات يوم في عام ١٩٤٧ وطلبت منها ان تكتب تمثيلية إذاعية.. وطلبات الملوك اوامر مطاعة.. واعدت اجاثا تمثيلية إذاعية طولها ٤٥ دقيقة، تم اخراجها واذاعتها واعجبت بها الملكة - وقررت اجاثا ان تحول التمثيلية الإذاعية الى تمثيلية مسرحية.. ونجحت في ذلك واسمت المسرحية «مصيدة الفئران».. وظهرت على المسرح لأول مرة في عام ١٩٥٢، ولعل القارىء يصدق انها مازالت تعرض على المسرح باستمرار من ذلك التاريخ حتى يومنا هذا.

واستمرت حياة اجاثا رتيبة خصبة تنتج فيها كتاباً جديداً يصدر قبيل عيد الميلاد من كل عام وتزوجت ابنتها «روزاليند» ورزقت غلاماً واصبحت اجاثا جدة.. وتزوج الغلام واعقب خلفاً فكان لها اولاد حفيد.. ووافتها المنية يوم ١٢ يناير ١٩٧٦ - وماتت بموتها سيدة انجليزية اصيلة.. والسيدة الأولى لأدب الجريمة وملكة تبوأت عرش القصة البوليسية.

جمال الكاشف



فنون من الغرب

كاميل بيسارو الفنان والأب

محمد أبو طالب

● .. أما حين تتوقف حياة الفنان العربى .. فإنه يسقط من ذاكرة الحياة والأحياء !

● البحث الدائم عن الموضوع الجديد والأسلوب الحديث المبتكر

● الفلاحون الكادحون .. تعبيرا عن ضياع الوقار الانسانى بين الطبقات

يجب علينا أن نعترف بأن الفنان العربى محاصر بالسدود الكثيرة التى تلازمه طوال رحلة حياته فى محاولة غير مفهومة للقضاء عليه . لكن الله سبحانه وتعالى وهب الفنان قدرات قد لا تتوفر لغيره من الناس ، تؤهله لأداء رسالته السامية ، مثلما تمكنه من مقاومة تلك السدود ، كى يظل قادرا على التعبير ، واستشراف المستقبل ، فى إطار رسالته ، وطالما بقى به شريان ينبض . أما حين تتوقف حياة الفنان العربى .. حين تموت معه مقاومته .. فإن السدود تنجح فى الاجهاز عليه وعلى أعماله وتاريخه وكأنه حكم عليه بالزوال . فلا معرض يقام له تكريما ، ولا كتاب يصدر عنه تعريفا ، وهكذا يسقط من ذاكرة الحياة والأحياء !!

ليس هذا هو موضوع حديثنا هذا الشهر ، ولكنها الحقيقة المؤلمة التى لم أستطع تجاهلها أثناء متابعتى للمعارض المتوالية التى تقام فى الغرب لفنانيه الذين رحلوا منذ عشرات السنين تتكرر المعارض وتتجدد الرؤيا مع اكتشافات جديدة وتحليلات مستحدثة فى إطار دراسات جادة ومستمرة لحياة وأعمال هؤلاء الفنانين العظام الذين يزيد من عظمتهم اهتمام أممهم وشعوبهم بتراثهم كأنه جزء حى من تراث الأمة .

المعرض الحالى

من أبرز هذه المعارض الكثيرة معرض الفنان الفرنسى «كاميل بيسارو» (١٨٣٠ – ١٩٠٣) المقام حاليا وحتى ١٨ يناير القادم فى بريطانيا .

ورغم مرور أكثر من ثلاثة أرباع القرن على وفاة الفنان إلا أن النقاد كتبوا الكثير بخصوص هذا المعرض واحتل حيزا كبيرا فى الصحافة الفنية خلال الشهر الماضى . وقد كان هذا المعرض مناسبة طيبة استغلها النقاد فى تحليل أعمال «بيسارو» فى ضوء علاقته غير المنتهية برواد المدرسة التأثيرية فى القرن الماضى ، موضحين نقاط التشابه والاختلاف بين أعماله وأعمال هؤلاء الفنانين وعلى وجه الخصوص «سيزان ، جوجان ، رينوار ، سوراه وسينياك» ، مما أعطى هذا المعرض أهمية خاصة واهتماما بالغا لمعرفة من أخذ ومن أعطى خلال تلك المرحلة الهامة ذات الانعطافة الهائلة فى مسيرة الفن التشكيلى التى مازال تأثيرها واضحا ومستمرا حتى اليوم .

ومن الواضح اهتمام المسئولين عن هذا المعرض حيث احتوى أعمالا مثلت معظم مراحله الفنية المتعددة وأساليبه المختلفة . فلم يكن «بيسارو» من ذلك النوع القانع الساكن بل اتخذ لنفسه طريقا فنيا طويلا من أجل البحث عن الخلود ، ولم يكن مكتفيا بأسلوب معين ، بل كانت تحركه طاقته الهائلة للعمل والبحث الدائم عن الموضوع الجديد والأسلوب الحديث المبتكر فكان انتاجه غزيرا متنوع الأساليب .

أعماله والآخرين

وفضلا عن رهافة الحس التى يدركها المشاهد لأعماله ، فإنه يلمس بوضوح وجه التقارب الشديد فى بعض الأعمال بينه وبين «كورو» الذى وقع تحت تأثيره لفترة طويلة فى بداية حياته الفنية واعتبر نفسه فى تلك المرحلة تلميذا مخلصا لذلك الفنان الفرنسى الذى اعتمد فى أسلوبه على الملاحظة الدقيقة للأشكال والنظر إليها بعين محددة لمساحات الظل والنور مستخدما ألوانا سميكة تتراوح درجاتها بين الفاتح والداكن من خلال الضوء . يتضح ذلك جليا فى منظر «بونتوار» حيث استخدم «بيسارو» مجموعة الأخضر الفضى مثلما كان يفعل كورو .

أما سقوف القرية فهى التى نجدها فى



أعلى منظر من بونتواز رسمه بيسارو وجانب سيزان الذي رسم اللوحة على اليسار - لاحظ التشابه والاختلاف بين اللوحتين

فلاحة رسمها بيسارو عام ١٨٨١





كاميل بيسارو
الفنان والأب

أعمال سيزان . وهذا طبيعى حيث اصبح سيزان تلميذا لبيسارو عندما بدأ الرسم فى «بونتواز» ولم ينكر ذلك بل وقع فى آخر عام من حياته «بول سيزان تلميذ بيسارو» .

ومن خلال مجموعة التأثيريين كان «بيسارو» هو الشخص الوحيد الذى شعر «سيزان» بأنه يستطيع أن يكون أمينا مخلصا فى مساعدته للبحث عن طريق يرشده الى رسم المناظر الطبيعية . ولم يكن «بيسارو» فقط اكبر منه سنا بحوالى ٩ سنوات واكثر خبرة ، وإنما ولد مدرسا ذا حاسة نقدية ثاقبة ، كل ذلك جعل «سيزان» يعتبره بمثابة الأب كما جاء على لسانه فى الحديث عنه .

عمل «سيزان» مع «بيسارو» منذ عام ١٨٧٢ ولمدة عامين ونصف محاولا الإستفادة من «بيسارو» بقدر ما يستطيع كما حاول «بيسارو» ان يساعده مثل طاقاته الانسانية والفنية . وقد رسم سيزان فى هذه الفترة بالالوان الزيتية والمائية والباستيل كما نسخ رسوما لبيسارو ليتعرف ويفهم جيدا أسلوب وألوان ذلك الفنان الذى يكبره ولديه الخبرة التى كان يفتقدها «سيزان» وقت الحين .

وحول العلاقة بين أعماله وأعمال «سيزان» قال «بيسارو» :

«لقد كنا دوما متلازمين وكنا نختار نفس المنظر ولكن كل منا يرسم بإحساسه الشخصى ...» ويبدو ذلك واضحا بمقارنة لوحتين لسيزان وبيسارو لنفس المنظر فى «بونتواز» ، فبينما نجد الجاذبية فى لوحة بيسارو نجد القوة عند سيزان . أما أوجه التشابه والاختلاف بين العملين فتتضح بالمقارنة حيث نجد فى كلا اللوحتين اللمسات اللونية القوية تبرز فى جرأة أوضح من الخطوط المحددة لأشكال الأشجار والزهور وشبابيك المنازل ، كما أن الظلال المختلفة على أسطح وحوائط المنازل استخدم فى إبرازها اللون الأزرق الصريح .



ادوار مانيه



كلود مونيه

هذا من ناحية التشابه أما الإختلاف فيبدو بوضوح فى اهتمام سيزان بالعناصر المعمارية فى المنظر اكثر من بيسارو حيث أعاد صياغة الطبيعة فى كتل معمارية محددة بخطوط قوية .

● الشخوص والمناظر

وعند مقارنة قطار بيسارو من خلال محطة «نورد شب» عام ١٨٧٢ مع لوحة الفنان الانجليزى «تيرنر» أو مع لوحة «محطة سانت لازار» للفنان الفرنسى «كلود مونيه» نجد أن «بيسارو» قد تجنب ضبابية وغموض «تيرنر» كما تجنب أيضا الأجواء الخاصة بمونيه وجاء قطاره ليشق طريقه بين منحدرين ، ويبدو كما لو كان لن يكمل ابدا رحلته الى مقدمة اللوحة . ويجدر بنا الاشارة الى تأثر بيسارو بفنانى المناظر الانجليز وعلى وجه الخصوص «كونستابل» و «تيرنر» وذلك عندما لجأ الى انجلترا هو و «كلود مونيه» اثناء الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠ .

أما رسومه الأولى التى عرضت فى هذا المعرض فقد أوضحت للنقاد السبب فى أن شخوصه لم تصل ابدا الى مستوى مناظره ، فرغم أن شخوصه بها حيوية المناظر إلا أن الفنان عندما وجد نفسه بين الزرع الراقصين الطويلة فى فيرويلا حيث عمل فى كلراكلس لم يتمكن من متابعة حركات أقدامهم فجاءت خطوطه عميقة فاشلة فى تحديد الحركة بينما ظهرت الوجوه وعليها ذلك العبوس الذى يستخدمه كثيرا لابراز التعبير .

وفى محاولة لاعطاء شخوصه ثقلا أو تعبيرا مثيرا للمشاعر تنقل بيسارو من كوربيه الى رينوار ، ومن سوراه الى ميليه .

وبالنظرة الأولى للفلاحين الشاحبين اثناء العمل ، أولئك الذين ظل يرسمهم حتى نهاية الثمانينات من القرن الماضى .



بيير اوجست رينوار

● تضحيات كالأرض والحجارة والماء والمبانى .. صلبة وجامدة

● فى عام ١٨٩٢ : مائة لوحة ومعرض لرجل واحد !

نجد فيهم ذلك الخلود الذى كان يبحث عنه الفنان ذاته . وكان ذلك صدى لتأثره بالفنان «ميليه» الذى شاركه عميق الحب للأرض والاقتناع بضياع الوفاق الانسانى بين الطبقات الاجتماعية ولولا حبه وايمانه بهذا الموضوع لما ظل متمسكا برسم هؤلاء الفلاحين رغم الصعوبات التى كانت تواجهه اثناء محاولة التعبير عن الاجهاد والتى لاحظ النقاد انه كان يبذل جهودا مضنية للوصول الى الحركة المعبرة عن الموضوع . ولكن النقاد من خلال هذا العرض ايضا عدوا الى مناظرة حيث انها اسلس تمييزه ، ومن خلالها تتضح قدراته على العطاء والتعبير الى تخومه بأى مقياس ظل دون مستوى مناظره شأنه فى ذلك شأن «كورو» الذى تأثر به فى بداية حياته الفنية حيث انه ايضا اثناء بحثه عن اسلوب جديد تحول الى رسم الاشخاص وعالجها بنفس الطريقة التى كان يرسم بها الأرض والحجارة والماء والمبانى فجاءت تخومه صلبة جامدة .



«بيسارو» واقفا الى اليمين و «سيزان» جالسا ويرى بينهما ابنه «لوشيان»

«بيسارو» الأب

ويتزامن هذا العرض مع صدور الطبعة الجديدة من رسائل «بيسارو» الى ابنه «لوشيان» وهو فنان ايضا استقر فى انجلترا حتى مات عام ١٩٤٤ .

واهمية هذه الرسائل تأتى من كونها مرآة حقيقية تعكس صورة فائقة لذلك الأب الحكيم الذى احتل عن جدارة مكانة الأب فى الفن الفرنسى وكان انسانا الى ابعد الحدود ، ومعلما حنونا لكل فنانى المرحلة التأثيرية مما جعل له تأثيرا غير متوقع عادة حتى بالنسبة للفنانين الذين امتلكوا مقدرة اكبر منه .

وعندما يقول سيزان انه كان بمثابة أب له فهو محق لما لاقاه من ابوة ورعاية خالية من الانانية والاحقاد تصل الى الدرجة التى يوبخ فيها بيسارو الناقد الفنى «هويسمانز» عندما انتقد كتابه عن الفنانين المعاصرين عام ١٨٨٣ لانه كان مقصرا فى ذكر «سيزان» الذى اعتبره «بيسارو» ذا تأثير عظيم على الفن الحديث .

لقد قال «جوجان» فى نهاية حياته انه كان واحدا من اساتذته ولا يستطيع انكاره وهذا حق فقد كان صديقا له كما انه هو الذى قدمه الى الجماعة التأثيرية .

اما الفنانة الامريكية «مارى كاسات» تلميذة «ديجا» فقالت انه كان بمثابة المدرس لدرجة انه كان يستطيع ان يعلم الحجر الرسم السليم .

وبالتعرف على حياته نجد ان هذا

المصور الفرنسي ولد عام ١٨٣٠ في جزيرة «سان توماس» من جزر الهند الغربية ، ودخل مدرسة الفنون الجميلة في باريس عام ١٨٥٥ حيث وقع تحت تاثير «كورو» ، ثم التقى في الاكاديمية السويسرية بالفنان «كلود مونيه» الذي صحبه حينذاك الى مقهى «جيربوا» حيث كان يتجمع عدد كبير من الفنانين المتمردين تحت قيادة «مانيه» رغم ان «بيسارو» كان اكبر منه بخامس لكنه لم يبدا الرسم بجدية حتى العشرينات من عمره ، واصبح عضوا في جماعة التاثيريين وعرض في معارضهم الثمانية من عام ١٨٧٤ حتى عام ١٨٨٦ .

وقبلت له اول لوحة في صالون باريس عام ١٨٥٩ حيث واظب على العرض بعد ذلك سنويا ما عدا عام ١٨٦٧ ، كما عرض ثلاث مناظر في صالون المرفوضين عام ١٨٦٣ .

عندما اعلنت فرنسا الحرب على بروسيا عام ١٨٧٠ لجا الى انجلترا مع «كلود مونيه» حيث وجدا الهاما في ضباب وامطار شمال اوربا كما تعرفا على مدرسة المناظر الانجليزية وخصوصا اعمال «كونستابل» و«تيرنر» .

عاد عام ١٨٧٢ الى فرنسا ليستقر في «بونتواز» حيث عمل مع «سيزان» .

ومنذ عام ١٨٨٤ عاش في «ايراني» حيث قابل «سينياك» وتعرف على «سوارة» واعجب باسلوبه المعتمد على النقط اللونية واتبع هذا الاتجاه لعدة سنوات خلال الثمانينات ولكنه عاد الى اسلوبه الاصلي بعد ذلك عندما شعر برغبة في التجديد ، وكتب « .. انني احاول دائما البحث عن وسيلة اخرى للرسم بغير تلك النقط .. ولقد كان ارتباطه بالفنان «سوارة» اكثر من اي فنان اخر من المدرسة التنقيطية حيث شارك الفنان الاصغر طموحه في الوصول الى وسيلة لاحتواء وتثبيت السطح التاثيري .


لوحة للفنانة كاسات ١٨٨٠

عرض عام ١٨٩٢ مائة لوحة من اعماله من خلال معرض نظمه تاجر اللوحات «ديوراند رول» تحت اسم «معرض رجل واحد» كان واحدا من احسن عرضين خلال ذلك العام .

مثل بثمانية لوحات في المعرض العالمي الكبير عام ١٩٠٠ .

وعندما بدا بصره في الزوال عام ١٨٩٦ اصبح مجبرا على الرسم داخل جدران منزله ، حتى ان اخر اعماله كانت لوحة رسمها من خلال النظر الى الطريق عبر النافذة عام ١٩٠٣ .

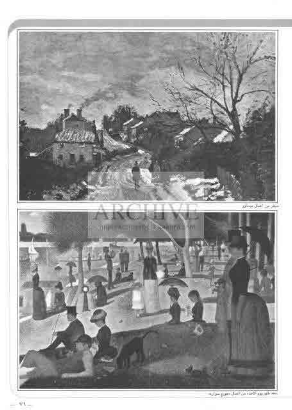
محمد ابو طالب


محطة سان لازار للفنان كلود مونيه


ترعة لبيسارو ويبدو فيها عمال بالمطر - سيسلي

المطر والبخار والسرعة للفنان تيرنر


منظر للفنان بول سينياك



منظر من أعمال بيسارو

بعد ظهر يوم الأحد، من أعمال جورج سوراه

حسني شحادة

أبو سلمى

الجذع الذي نبتت عليه أغانينا

مع مأساة فلسطين ، استكبرت شكوى الإنسان العربي ، ونزف جرحه باستمرار مأساوي مرعب ، مبيولا من الكلمات المتمردة ، وكان ماضيه الذي يمتزج بشيح الأرض العذراء ، بموسيق أغنية للأرض الأم ، لينسج ملحمة ، يتفتح من خلالها ، إيقاع التشكل المصيري العربي.

في هذا الجو انطلق الشاعر عبد الكريم الكرمي «أبو سلمى» ، كالفنان تجذبه ظلال الشوق ، في البيد سراب ، والصمت والأشباح والقلق ، يطاردونه في مفاوز السهوب ، انطلق «أبو سلمى» كشراع يرف عرض اليموم ، يحكي لنا حكاية الضياع في بحر العدم ، فاتخذ لنفسه شعار ، «شاعر الأمة المشرد» ومذ هتف بالشعر ، اتخذ القافية المجنحة إداة للنضال الحر ، ووسيلة للتحرير والعودة ، ونادى بالكفاح المسلح طريقا للعودة ، يقول في أول ديوان له «المشرد» المطبوع سنة ١٩٤٩ :

هل للمالين النجم عن داري \
وأين أحبابي وسماري \
جار عليها مدع بالهوى \
جور عدو في الحمى ضاري \
فان في الكون شظايا ، على \
هام الثرى ، تدعو الى الثار \
كيف يلوح الفجر بعد الدجى \
إن لم تلح رايات ثوار

مغني فلسطين في كل مناخ

زادت كارثة انشاء اسرائيل ، واقتلاع الجذور الأصيلة من التربة العربية في فلسطين ، أبا سلمى مضاء ، وتصميما على شجب العدوان والتشهير بالطغيان وشرح قضية شعبه العادلة فأقبل على الشعر فواحا بزفرات الأنين ، وسرحات الحنين ، يصور هول المأساة ، ويروى ما صب المغتصب الغشوم ، من صنوف الترويع والتفجيع ، فغلى مرجل حقده وفاضت شاعريته حمما ، يقول :

يا أخي أنت معي في كل درب \
فاحمل الجرح وسر جنبا الى جنب \
الوشاحات تعري زهرها \
بعد ما كانت موشاة بتحبيب \
وشيوخ حملوا أعوامهم \
مثقلات بنطايا كل خطب \
هم ضحايا الظلم ، هل تعرفهم \
إنهم أهلي على الدهر وصحبي \
نحن إن لم نحترق ، كيف السنى ؟ \
يملأ الدنيا ، ويهدي كل ركب ؟

أغنيات من بلادي

لم يتجه إيقاع الغربة في هذا الديوان نحو الحنين المتكلس كالحنين الى حقول البرتقال الكئيبة ومزارع البنفسج الباكي واطلال القدس ، ولكنه اتجه الى تحد ، وصيرورة فعالية ايجابية شاملة ، الى دعوة جديدة للوقوف من خلال التمزق والضياع .

لنسمعه وهو ينشد :

فلسطين الحبيبة كيف أغفو \
وفي عيني أطياف العذاب \
ويسألني الصحاب ألا لقاء ؟ \
وهل من عودة بعد الغياب \
أجل ستعود الاف الضحايا \
ضحايا الظلم ، تفتح كل باب \
ويكن اللاجئون بكل أرض \
ستصهر بالمنافي نير الرقاب

من فلسطين ريشتي

كتب مقدمة هذا الديوان الشاعر «بدوي الجبل» بكلمة منها :

«لا أريد أن أتحدث عن شعرك ، إن شعرك كالعطر ، أرجه يدل عليه ، ويهدي اليه ، ولكني أريد أن أتحدث عن حزن شعرك على فلسطين ، إنه حزن هادىء ووجيع ، فجمال شعرك في حزنه ، إنه لا يلطم الصدور ، ولا يبالغ في الصراخ ، بل هو حزن هادىء ، لأنه نابع من ضمير ، سلمت العبقرية التي ينبع منها شعرك ، ولا أقول سلمت الأحزان التي يعبق فيها سحرك» .

ويعتبر أبو سلمى من أقدر شعراء فلسطين على إثارة القوة في عزائم الناس ، بشعر رقيق عذب ، سلس ناعم ، تمطئن به القلوب ، وتستجيب له النفوس ، يمثل الطموح الوطني ، وفي ديوانه هذا تعبير عن هذا المعنى ببناء تصويري رائع فيقول :

من فلسطين ريشتي وبياني \
فعلى الخلد والهوى يدرجان

ويشتفي في مدادهـا الدم والدمـــع
وراء الســـــطور يمتزجـــــان

شاعر ذو تلاوين

ابو سلمى شاعر ذو تلاوين ، نصنفه في مصاف ابرز المجددين وتجد في كل لون من تلاوينه ، انك امام صليع فني بديع، ولئن كانت ريشة ابي سلمى من فلسطين ، فمن فلسطين احب ، وعشق وعنى ، ولئن سموه الشاعر المشرد فاشر تسميه العاشق المشرد كما سماه الشاعر «محمود درويش» ، لأن العشق لولا والشعر ثانيا ومن لا يعشق لا يحسن الغناء ، ومن لا يعشق لا يحسن القتال ، إن للشاعر قصائد غنائية ، ذات الفاظ موسيقية منتقاه ، فقد غنت له «فيروز» قصيدة «ابنة بلادي» التي منها :

اين الشذى والحلــم المزهــــر
اهكــــذا حسنك يا أســـــمر

• • •

وتظهر لابي سلمى شخصية فنية اخرى في قصائده الغزلية ، التي تشبه باقة متشابكة من الالوان والظلال والطيب والعطور ، والازهار والورود يديرها في شعره ، ويوشي بها ابيات قصائده ، فيحلق القارىء او السامع مع الشاعر في اجواء بيانه .

فهذه الكلمات الراقصة : الضياء والسنى والشعاع ، والشذى والطيب والعبق والعبير ، والزنبق والياسمين والسوسن والاقاحي ، والنسيم والفجر والغسق ، والشاطىء والسفح والوهاد والتلال والمروج .. وغيرها .. وغيرها ... يرددها الشاعر بموسيقى لفظية خلابة ، تضفي على القصيدة اجواء جمالية بديعة .

• • •

اغاني الاطفال

المكتبة العربية في حاجة ماسة الى اغاني الاطفال ، تكون عذبة الالفاظ ، خفيفة الاوزان ، موسيقية الاداء ، تحمل الافكار الوطنية ، وتخدم الاهداف التربوية ، فخاض الشاعر هذا الميدان ، لتكون الرؤية الشعرية باعثة لهم ، مثيرة أشواقهم الى اكتناه الحقائق ، ومنمية في صميم ذواتهم عاطفة الحب الكبير ، الذي يمتد عبر الحياة وما في الكون ليبلغوا الرقي الانساني الذي تطمح اليه النفوس ، وتسعى سعيا دءوبا لنيل سعادة الظفر به ، لتغرس حب الوطن :

العندليــــب بـــــــلادي
هــــذا ربيــــع بــــلادي
يا مرحبـــــــا بالربيــــع
على طريـــق الشـــهدا
ترفـــرف المنـــــــــوه
شمعهـــا على المـــدى
انشـــودة الخلــــــود

• • •

المسرح الشعرى

نظم ابو سلمى إبان الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٩ ، مسرحية شعرية بعنوان «الثورة» ، وقد بعث بها الى صديقه الاستاذ الاديب ابراهيم «المازني» ، لتعرف رأيه فيها ، [illegible] [illegible] [illegible] الفنية في شعر ابي سلمى عامة والمسرحية خاصة ، وقد نشر الدكتور ناصر الدين الاسد في كتابه محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن اجزاء من الرسالة ، نورد بعضها :

«لا اطيل عليك ، فما ينقصك الذكاء ولا العلم ، بأنك شاعر هذه البلاد العربية خير مدافع» .

«.. لقد شكرت لك انك امتعت اخاك بهذه النفحة الطيبة ، وسرني وغرني - ايضا والله - انك جعلتني احد اثنين اختصصتهما بذلك - والثاني هو الاستاذ خير الدين الزركلي» .

إن هذا يدل على امرين :

اولهما : ما كان بين ابي سلمى وكبار الادباء من علاقات الود ، وصلات الادب .
وثانيهما : شهرة الشاعر ورأي كبار الادباء في شعره وشاعريته .

من اثار الشاعر

شارك ابو سلمى في حركة النقد الادبي ، فكتب عن شعر احمد شوقي وعرض لناحية الحياة الطبيعية والمرأة .

كما اصدر كتاب «كفاح عرب فلسطين» الذي طبع عام ١٩٦٤ ، تعرض فيه لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية كشاهد ومعارس .

كما كتب سيرة والده الشيخ سعيد الكرمي الذي كان معتمدا لحزب اللامركزية في قضاء بني صعب ، وحكم عليه الاتراك بالسجن المؤبد ، وعند انتهاء الحرب عاد الى بلده طولكرم ، وعين سنة ١٩٢٢ قاضيا للقضاة ووكيلا للشئون الشرعية في شرق الاردن .

كما ارخ سيرة اخيه احمد شاكر سعيد الكرمي الاديب الناقد ونشر كتابه هذا عام ١٩٦٤ .

مكانته الأدبية

ابو سلمى شاعر فلسطين ، ورفيق جرحها القديم ، لم يكف عن التغريد ، فهو مرة يحن ، ومرة يحرض ، ومرة يؤرخ وابدا تعطر معالم شعره الدافىء جسد ارضنا المغتربة ، حتى امطر البيلطي راسه ، وقضى شهيدا في سبيل الله .

وكان يوم العاشر من كانون الاول ١٩٧٨ قد شهد مهرجانا ادبيا في قاعة جمال عبد الناصر بجامعة بيروت العربية ، بناء على دعوة الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين لتكريم ابي سلمى ، وكان التكريم رائعا ومؤثرا عندما وقف رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام يلقي كلمته متوجها الى ابي سلمى يقول له :

«اخي واستاذي ومعلمي ! ... لقد تزاوجت في الثورة الفلسطينية الكلمة والبندقية لاننا ندرك أن البندقية بلا كلمة وفكر هي قاطعة طريق .. وانت يا ابا سلمى الكلمة والفكر» .

وكانت بادرة التكريم الثانية عندما انتخب ابو سلمى رئيسا عاما لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بالاجماع .

لقد كرمت ابا سلمى عدد من الدول العربية ، وحصل اخيرا على جائزة اللوتس لاتحاد كتاب اسيا وافريقيا ، التي عبر بها احرار العالم عن تقديرهم للشاعر الفلسطيني الراحل .

حسني شحادة

عبد الله علي ابراهيم
رسوم : جمال قطب

الحبوبة

غروب شمس مؤسسة ثقافية



لا مناص من التقدم . وهذه حقيقة مزعجة نوعا ما . وربما كان افتتان الناس بالطيب صالح راجعا الى تجويده بناء شخوصه الروائية اجادة تجعلهم بمثابة التحفظات المتماسكة على مطلق التقدم .

كنا نحضر حفل ختان ، وتشعب الحديث لينتهي عند مبلغ استهانة اللصوص بالامن والناس بدليل اعتداء احدهم على امرأة عند اول الحي اول المساء . وتساءل احدهم : كان يمكن ان تصرخ . فقال الطهار :

ـ من يغيث واهل المروءة في شغل بالمسلسلات . صيحة في واد !

استرجعت بكلمات «الطهار» بعض ما ترتب على صدور كتاب ومسلسل «الجذور» للامريكي اليكس هيلي . فقد قيل وقتئذ ان «الجذور» تذكرة بمركز الحبوبة في حياتنا بعامة وحياة النشء خاصة . فقد بدا مبحثه الفذ عن منشأ اسرته بنذر الخبر سمعها عن حبوبته ولم يكد «هيلي» يبدأ المبحث حتى اخرجت مستودعات التاريخ ذخائرها .. جداول حركة السفن .. مانفيستات الشحن .. مكتبة الكونغرس .. لتقود «كونتا كنتي» على قدمي حفيده المؤلف الى مرابع الصبا وحمى الاسلاف في افريقيا وقد تأخر عن الموعد المضروب قرابة القرنين . وكان تلك الذخائر كانت بانتظار دفع «هيلي» وشغفه لتنتظم اوراقها المتكابسة في معنى قديم تشتاقه . ربما لم تأت «جذور» هيلي بجديد في قصة الصبا الافريقي الرائق



بين الطقوس الخفية . ومؤكد انه لم يضف جديدا الى قصة شقاء الزنوج الامريكيين .

عائرة «هيلي» انه الحم شجرة نسب عائلته بين قارتين وعبر قرنين فافرج بضربة واحدة عن احتمالات التاريخ المثيرة .

ولا يخفى على الناظر تضعضع مركز الحبوبة فى الاسرة السودانية الدينية وفي طبقاتها المتوسطة والمتعلمة . فقد تضاءلت «الدادات» . «والطقريون» على

الحجبوبة

القسام مساهمتها المخصوصة ليبقى لها - ويشمع تبعا لذلك - دور التسخط والارعاج .

وهذا الدور هو بعض مادة الكوميديين عندنا . فالحجوبة في فكاهات جعفر عز الدين وفي ثياب «ست قسيم» للفاضل سعيد محرفة حرفا هو مزيج من الشره والبله والتطفل والادعاء .

والتخلص بالهزء من الحجوبة قرين بالتخلص بالفعل . فالاصل في خطتنا الاسكانية وتوزيع منازل الحكومة والمؤسسات هو الاسرة الحديثة (في مقابل التقليدية) وهي المكونة من الاب والام وذريتهما . فالخطة الاسكانية تعطي خمس درجات لكل من الام والطفل الاول بينما تعطي الكفالات - وهي خالة الحجوبة - درجة واحدة . وليس بنظر في توزيع منازل الحكومة والمؤسسات في الذي اعرف عن جامعة الخرطوم الى فئة الام او غيرها - خطتنا الإسكانية - بما في ذلك التصور المعماري - تنظر الى العائلة الاوربية بوصفها الكلمة النهائية في الذي ستكون عليه العائلة باطلاق . والمعلوم ان العائلة الاوربية بنت ظروف وملابسات لا يصح علميا تعميمها ، علاوة على ان كارثة تلك العائلة الآن موضوع مباحث مختلفة تحاول استدراك العناصر التي فقدتها في صراع البقاء في شرط الرأسمالية الفج . والحال كهذا فنحن في الامر الاخرى بحاجة الى قدر صحيح من ريبة العيافي في حضارة الغرب التي لم تلد يوما والحوائت جمة حتى لضعيف، والحجبوبات قبيل في الضعفاء .

راج اعتقاد بان احاجي الحجبوبات خرافات ، وترافق هذا الاعتقاد مع استعادتنا لارادتنا الوطنية بالاستقلال الشيء الذي جعل لمامتعتقده خطرا .

قال القائل ان سعالي الأحاجي وغولها وسحاحيرها مما ينشيء النشء على الخوف ويطبعهم عليه ، واصبح الإنقطاع عن احاجي الحجبوبات دليلا على التربية الحديثة، واصابت الاطفال مسغبة روحية . فمكتبة الطفل العربي والسوداني معا لم تزهر على ركامها المتراكم كلمة سلبية منذ كامل كيلاني ودار النشر التربوي في طورها الاول ، واصبح الطفل السوداني والعربي غرضا يرمى وصيدا لصائد . فهو يقرأ ويتفرج على الشياء ايسر ما يقال في رداءتها انها تخلفتنا كلنا - اباء ومربين ووطنا - وخاطبت طفلنا مباشرة ، وخرج على اطفالنا جبابرة مثل «استيف اوستن» وعالم غرائبه الذي يقعد به الشعر دون بلوغ عالم غرائب الاحاجي ، الذي تكون الرغبة فيه صنوا للفعل . كما خرجت على اطفالنا حيوانات مثل «كنج كونج» الذي شيدتها خبرة طويلة في الرعب المحض .

لقد اردنا باطراحنا الاحاجي التحضر . واملنا ان يزين التحضر عقل اطفالنا بسنتارته ويطبعهم بعقلانيته . ولم يكن العالم المتحضر عند حسن الظن كما راينا . ووجدنا بضاعتنا (موضوعات احاجينا) ترد الينا وقد اعادت انتاجها مؤسسات غربية انتاجا لا يخلو من الميل والزيغ . وصح القول اننا باستعجالنا التحضر بلا هدى اسقطنا الفن العالمي المؤكد الذي بيدنا .. الاحاجي . فحاجي العالم قاطبة تقوم في تجريدها على موضوعات مرصودة مثل «الذئب والصغار» و «الحصان المعاون» و «قاتل الاخطبوط» و «الاكول» . وهي موضوعات تتفرع بها القوميات والجماعات وتطلق فيها خصوصية خيالها وتبتكر فيها ما شاءت وقد اذاع الدكتور سيد حامد حريز في كتابه «قصص الجعليين الشعبي» فرضية حسنة التأسيس في علم



الفولكلور مؤداها أن الحكاية الشعبية عند الجعليين ابداع بلغ الغاية فى التوفيق بين عناصر قصصية عربية واسلامية وعناصر قصصية افريقية وهذه ابداعية منضبطة فى استجابتها للمعطيات من حولها وحرفيتها متقنة ، وهى مما يعتد به فى اهلية أية جماعة للتطور السديد .

وهكذا منحتنا عن الاحاجى شاهد آخر على بؤس مسعانا الراهن المتحضر الذى نلهث فيه للحاق العالم ونقدس سنة التطور، ونخلع ذاتنا على عتباتها المقدسة .

ليس يخفى التشرد الروحى المخيم على شبابنا . انظر اليهم عند دسكو اركان العمارات الركيكة يظهرون طربا كالادمان . يستحثهم الطلب والاستهلاك لبضاعة الاشرطة لا التذوق المدروس . يعتلون على قصاصاتهم عن اشياء مذهلة مثل اساطير البحار الامريكية المنوط بها تأديب كل منا فى الوقت المناسب . إن حاجتنا الى مجالس المتحلقات فى الاحاجى ماسة . اعطت العجوز للشقى شوكة سدر وشوكة طلح ودراية وطبنة وقالت له اذا انتزعت فتاتك من الغول لاحقك . فارم بهذه الاشياء واحدة اثر واحدة . وفعل . رمى شوكة السدر فانشقت الارض عن غابة السدر . رمى شوكة الطلح . فانشقت الارض عن غابة طلح . واستحالت الدراية غابة جدران . واستحالت الطبنة بحرا . وما يكاد الغول يجتاز عقبة حتى تنهض بوجهه عقبة . فلما بلغ البحر شرب ليجففه فانفلق . وهذا من امن العناصر . وهو تحديدا ما تحتاجه لدرء الاشباح التى تمسك بخناقنا .

قال محمد المهدى مجذوب فى جوهر شعره انعقد من مرويات جدتيه ، الحافظة المعنمة السيدة الحاجة مريم والسيدة البرة أم الاضياف الوهابية بنت وهب والحال ، فانك لن تجد مبحثا عميقا فى الروح فى مقام شعر المجذوب خلوا من بصمة الحبوبة ، حارثة الغول ومستودع سفرة المعارف الاساسية . وامتنان المجذوب لجدتيه مما يرد الاعتبار للحبوبة فى زمن كاد ان يلغيها بمزاعم شتى .

عبد الله على ابراهيم

رسالة غير عادية

إلى قنبلة النيوترون

بقلم : معروف رفيق



سيعكس لا بالنسبة للموقف، وقد أود ألا أطيل عليك يا قنبلة النيوترون .. فقتنى الادب خجلا وتلاشى الثنا .. لانتى فاذدك لقب السيدة .. ولكن اصطلاح السيادة الحقيقى .. لا يلتى فى هذا المجال من اعتبارات المجاملة والتأدب .. لانه مفروض على الكاتب ، من اعتبار السيادة والقهر .. وهل فى ادوات الدمار ، ما هو اشد منك فتكا وتدميرا ؟ ...

لماذا يا سيدتى هذا التسلط اللاانسانى ضد الانسانية ؟ لماذا يا سيدتى تحملين الف الف جناح للموت القسرى ، لمئات الالاف من البشر الابرياء ؟ ..

ولكن مهلا يا سيدتى .. فلابد ان اشكر لك هذا اللطف المتناهى فى ترك عجلات المصانع تدور ، وثمرات الاشجار بلا ويل ولا ثبور ..

اشكر لك انك تمنعين الاذى والدمار ، عن الآلات والعمارات والاشجار ... وفقط .. تقتلين الانسان !

لماذا هذه الرحمة الزائدة ؟ .. لماذا تقتلين البشر .. وتبقين على العمائر والشجر ؟ .. الست اكبر نص عرفته البشرية .. تقبضين الارواح ، وتثخنين الجراح ، وتقيمين مآدب الافراح ايتها الوقاح ..

من هو ذلك العالم الذى تفنن فى صناعتك ؟ لماذا نسى اخلاق العلماء وتلبس باطمار المجرمين والاشقياء ؟

مداد العلماء .. يعد عند الله دماء الشهداء .. اجل .. فهم علماء الاخلاق والانسانية .. لا الشقياء الجهالة والانانية ..

افلا يتذكر ذلك العالم .. انه قوى بالله ضعيف بدون الله ؟ .. أوليس عندما تتخلى عنه العناية الالهية ، اوهن من خيوط العنكبوت .. واضعف من جناح البعوضة .. والموت اقرب من حبل الوريد ومع ذلك ، يصنع ادوات الموت .. يصنع قنبلة النيوترون .. ولا يدرى هل سيكون من ضمن ضحاياها .. هو ، او زوجته .. أو ولده او اقرباؤه .. ؟ ..

من قبل اليوم ، عجب المتنبى من الانسان فقال :

كلمــا انبت الزمــان قنــاة
ركــب المــرء فى القناة سنانـا

سيدتى ...

انت ظالمة .. وصانعوك ظلمة .. وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ...

معروف رفيق

الحزن والضباب

أقصوصة بقلم: لولوة المسند



لم اكن اتوقع ان اشعر بالبرد .. في الدوحة ! .. في سبتمبر !؟

صحيح ان الغرفة خالية من اي شيء سوى هذا الصندوق الذي تبرعت امي بلم حاجاتي ورميها في جوفه .. ولكن خلو الغرفة لا يبرر هذا الصقيع الذي يدب في اطرافي . إنها قشعريرة خوف .. بل جوع .. لا بل مزيج من هذا وذاك .. ترى بعد كل ما حدث هل وجدت ذاتي التي ابحث عنها إن كان لي بقايا من ذات فقد جمدت واصبحت كهذا الجدار المقابل .. انا اليوم انسانة اخرى .. زوجة هذا الرجل .. بل ام لطفله الذي سيرى النور بعد اشهر .

ويدخل وهو يحمل رغيفين من الخبز ، وكيسا بني اللون شقت زواياه بسبب الزيت المتقاطر منه ويضع تحت إبطه زجاجة ماء غازية .. هذا هو زوجي .. غريب كل ما حدث كان كالحلم .. كان خاطفا كالحلم .. وكان غريبا كالحلم .. في عصر ذات يوم افتح باب غرفتي في بيتنا الكبير واسير عبر الحوش واتسلل عبر كوة الباب .. واسير لهذا الرجل الذي يبيع في دكان مقابل .. ثم ادخل هذه الغرفة وافرغ رغيفي كلها بين هذه الجدران . شيء غريب فعلا ان يزوجني اهلي هذا الرجل متناسين بذلك شروط العرف .. توقعت ان اقتل بعدها وينتهي كل شيء بسعادة بعد ذلك .. فتاة تجلب العار لاسرتها فتقتل ويحفظ شرف العائلة واحصل انا على النهاية السريعة التي كنت اتمناها دوما ، ولكن لا احرؤ على تنفيذها . اما ان يزوجوني هذا الرجل فهذه هي المشكلة التي لا حل لها .. ماذا افعل الان ؟

– هه ماذا تريد ؟ .. لا اريد ان اكل شيئا ارجوك .. ستكبر انت لقد كنت مثال محظظي .. قلت لك لا اريد .. كل انت .. والان ماذا ستفعل يا هذا ؟! .. ماذا تقول زوجتك في بلادك ؟ ستنحرك بالسكين لو عرفت انك تزوجت .. ايها المعتوه وهل تحسب انك ستري بلادك ثانية ؟ لقد اخذ ابي جواز سفرك وجواز سفري حيث سنظل دائما تحت رقابة هؤلاء الناس وسنظل دائما لا ننتمي اليهم سنظل نكرة . كنت دائما اقول عن نفسي نكرة . اما اليوم فليس لي في هذا المجتمع محل من الإعراب ... لو ان الاخرين تركوني لحالي لو انهم لم يقولوا نعم او لا في حياتي لو ان سلطة القرار كانت لي وحدي ..

لاحببت كل البشر لتمنيت أن أرشق الورد في وجه كل انسان وأرسل قبلة لكل وليد ولما فكرت أن أخنق حياتي وهي سجينة الآخرين .

عندما انهيت دراستي الابتدائية كان على ابي أن يقول نعم لأكمل دراستي وأن تقول امي نعم وخالي وعمي وأخي .. قال أخي عندها : عندما تتعلم الفتاة تصبح إنسانا والفتاة هنا انثى وانثى فقط ..

قال يومها : هذا جهاز تلفاز وفيديو سأجلب لك كل يوم المزيد من الأفلام .. تستطيعين بهذا أن تشغلي فراغك مادمت تسكنين الفراغ .. ولكنك تحمل لي مخدرا جديدا ينعش غرائزي ويوقظ الأنثى في داخلي كل يوم .. واخرجت زفيرا حارا لم اغمضت عينيها .. تقفز في الهواء تجري .. تجري والهواء يصفق خديها .. كم تحب اندفاعتها في الهواء . إنه يزيل الحزن الضبابي في داخلها ويلقيه خلفها .. هذا الحلم .. إنه يأتيها لحظات الإنقباض ثم يختفي ثم يأتي حتى المحسن له نفحة ربانية تخمد كل ضجيج الواقع .

فتحت عينيها على الرجل الجالس أمامها .. يفرك عينيه المحمرتين ويسوي ربطة إزاره ويشير لها كالأركد مغادرا المكان فتيات ... ؟ من الفن ... «إنهن حداتك جئن يرتضن بتلوين العجوز المصاحبة لهن .

ـ حذرات أنا لا أعرفكن .. اخرجن من عندي .. حتى الهرجة يا ابنتها الدمى .. أنا افضل كثيرا لقد اصبحت ... الفرح اخيرا لقد بدرت اخيرا بالفعل وكان على الآخرين أن يقوموا بردود الأفعال هل تملك ايكن أن تفعل هذا !

«انت ... زوجة المسئول الكبير سمعت تملك .. وأنت تصحين كالبالون يكاد ينفجر كلما رأيتك وادارت ظهرها تسحب ذراعتها الواسعة وتشير بيديها تكلم نفسها بهدوء «امي دائما تصر على أن الآخرين شيء كبير . تصر على أن يكون كلامي معهم على نحو آخر . وجلستي معهم على نحو آخر . لم تكن امي تخاف على إحساسي بقدر ما خافت على احاسيس الآخرين او خافت منهم ...

والتفتت بصرخة نحو اخرى تقول :

«وانت اتيتنا من آخر الدنيا بشهادتك ترددين لنا انتصاراتك في آخر الدنيا وكيف أن للمرأة حقوقا هناك وما كان منك إلا أن تجتري الذكريات .. وكيف أن للمرأة حقوقا هناك وكيف انك قلت في احد المحافل لابد أن تقوم المرأة بدور طليعي لتحرير العالم الثالث .. هه إن شهادتك لا تساوي شيئا . انت لم تحركي ساكنا من اجل إنقاذ المرأة بل لم تحركي ساكنا من اجل إنقاذي . واضطررت بعد كل المعارك الكلامية التي خضتيها أن تكوني لنلي خوفا من أن تكوني شيئا آخر يلفظه المجتمع وتسحب منه كل حقوق العضوية ...

«وانت ... وانت .. اخرجن ايتها الدمى .

كن يتراكضن مندفعات نحو الباب خوفا من حقيقة تعاظمها .. وصفقت الباب خلفهن عادت تجر ذراعتها الواسعة .. نحو الفلاة .. تقفز في الهواء كفرس هائج تجري .. تجري والهواء يصفق خديها .. كم تحب اندفاعتها في الهواء انه يزيل الحزن الضبابي من داخلها ويلقيه خلفها .

ثلاثية الاستفهام

شعر : تيسراب التريف أحمد



(١)

مابال هذي اللغة القديمة
تتساقط مفرداتها
واحدة فواحدة ؟
هلا ـ ترى ـ يلزمها
كي تستعيد القاعدة ؟

(٢)

اي طيف تراءى لنا فنحار ؟
غسق في انحسار ،
أم بقايا نهار ؟
هل ترى غيمة مدبرة ،
أم ترى نجمة تتأهب للانفجار ؟
صخرة تتشبث بالقمة
تأبى التدحرج والانحدار ؟
علة . ربما حزمة من شعاع
تفضل الموت على الانكسار .

(٣)

أو ما تزال تنحر في
محاريب الخطر
أو ما تزال ،
عينك البرق
وفؤادك المطر ؟

لاحببت كل الدنيا لتمنيت أن أرشق الورد في وجه كل انسان وارسل قبلة لكل وليد ولما فكرت أن اخنق حياتي وهي سجينة الآخرين .

عندما انهيت دراستي الابتدائية كان على ابي أن يقول نعم لأكمل دراستي وأن تقول امي نعم وخالي وعمي وأخي .. قال أخي عندها : عندما تتعلم الفتاة تصبح إنسانا والفتاة هنا انثى وانثى فقط .....

قال يوما : هذا جهاز تلفاز وفيديو سأجلب لك كل يوم المزيد من الافلام .. تستطيعين بهذا أن تشغلي فراغك مادمت تشكين الفراغ .. ولكنك تحمل لي مخدرا جديدا ينعش غرائزي ويوقظ الانثى في داخلي كل يوم .. واخرجت زفيرة حارا لم اغمضت عينيها .. تقفز في الهواء تجري .. تجري والهواء يصفق خديها .. كم تحب اندفاعتها في الهواء . إنه يزيل الحزن الضبابي في داخلها ويلقيه خلفها .. هذا الحلم .. إنه يأتيها لحظات الانقباض ثم يختفي ثم يأتي حتى لتحس انه نفحة ربانية تخمد كل ضجيج الواقع .

فتحت عينيها على الرجل الجالس امامها .. يفرك عينيه المحمرتين ويسوي ربطة إزاره ويشير لها كالإرشاد مغادرا المكان فتيات .... ! من انتن ... انتهى حديثك جئن يرافقن تلوي العجوز المصاحبة لهن .

ـ حلوات انا لا اعرفكن .. اخرجن من هنا على حتتي الهرجة يا ايتها الدمى .. انا افضل كثيرا اقد اسمحت لي بنظرة القرار اخيرا لقد بدرت اخيرا بالفعل وكان على الآخرين أن يقوموا بردود الافعال هل تملك ايكن أن تفعل شيئا !

ـ انت ... بوجه المسئول الكبير سمعت تملقك .. وانت تصححن كالبالون يكاد ينفجر كلما رأيتك .. وادارت ظهرها تسحب دراعتها الواسعة وتشير بيديها تكلم نفسها بهدوء امي دائما تصر على أن الآخرين شيء كبير . تصر على أن يكون كلامي معهم على نحو آخر . وجلستي معهم على نحو آخر . لم تكن امي تخاف على إحساسي بقدر ما خافت على احاسيس الآخرين او خافت منهم ....

والتفتت بصرخة نحو اخرى تقول :

ـ وانت اتيتنا من آخر الدنيا بشهادتك ترددين لنا انتصاراتك في آخر الدنيا وكيف أن للمرأة حقوقا هناك وما كان منك إلا أن تجتري الذكريات .. وكيف أن للمرأة حقوقا هناك وكيف انك قلت في احد المحافل لابد أن تقوم المرأة بدور طبيعي لتحرير العالم الثالث . هه إن شهادتك لا تساوي شيئا . انت لم تحركي ساكنا من اجل إنقاذ المرأة بل لم تحركي ساكنا من اجل إنقاذي . واضطررت بعد كل المعارك الكلامية التي خضتها أن تكوني مثلي خوفا من أن تكوني شيئا آخر يلفظه المجتمع وتسحب منه كل حقوق العضوية ....

ـ وانت ... وانت .. اخرجن ايتها الدمى .

كن يتراكضن مندفعات نحو الباب خوفا من حقيقة تعاقلتها .. وصفقت الباب خلفهن عادت تجر دراعتها الواسعة .. نحو النافذ .. تقفز في الهواء كفرس هائج تجري .. تجري والهواء يصفق خديها .. كم تحب اندفاعتها في الهواء انه يزيل الحزن الضبابي من داخلها ويلقيه خلفها .

ثلاثية الاستفهام

شعر : تيراب الشريف أحمد



(١)

مابال هذي اللغة القديمة
تسقط مفرداتها
واحدة فواحدة ؟
شلالا ـ ترى ـ يلزمها
كي تستعيد القاعدة ؟

(٢)

أي طيف تراءى لنا فجار ؟
غسق في انحسار ،
أم بقايا نهار ؟
هل ترى غيمة مدبرة ،
أم ترى نجمة تتاهب للانفجار ؟
صخرة تتشبث بالقمة
تأبى التدحرج والانحدار ؟
علة . ربما حزمة من شعاع
تفضل الموت على الانكسار .

(٣)

أو ما تزال تنحر في
محاريب الخطر
أو ما تزال ،
عينك البرق
وفؤادك المطر ؟

النـور عثمان أبكر



رينيه ماريا ريلكه

«١٨٧٥-١٩٢٦»
شاعر غربى صنعه الشـرق

فى الرابع من هذا الشهر ولد ، وفى الرابع والعشرين من هذا الشهر مات . فليكن ما نقوله عنه هنا مقدمة لتذكير بشاعر كونى عظيم غنى الحب والموت والفقر والوجود الأبقى للسر اليقينى الأكبر ، وصور الأشياء ومكونات النفس فى عذوبة وعمق لم يبلغهما فى الشعر الرومانتيكى سوى قلة .

لم يحدث فى تاريخ الأدب الألمانى أن استقبل شاعر بمثل ما استقبل به ريلكه من تهليل وعدم فهم فى ذات الوقت . فقد اتهم ، ومازال ، بأنه منعزل جماليا ، وغريب فى اشاراته وخلقه الشعرى . وفسر ذلك لكونه ولد فى عزلة ثقافية ألمانية فى مدينة براغ .

ولم يتخلص سوى عدد قليل من النقاد من حرج الاشارة الى انه وهو الكاثوليكى قد تأثر بعمق بالمفاهيم والصور الشرقية وهو يبنى عالمه الشعرى الأكثر نضجا ، وأن محركه الفكرى الأكبر هو الإسلام وشخصية وحيوية عالمه ورسوله .

لقد حرص النقد الغربى ـ وشاهده الغربى فى ذلك ـ على ابراز الشعر جوته الشرقية الغربية ، واشاراته الى الإسلام ، كما حرص على تأثر كثيرين غير جوته بأجواء الخيال الشرقى كما تعرف عليه الغرب فى « ألف ليلة وليلة » . ولكن ريلكه انتقل من عتبة وتوج عالم الشرق بالنسبة للغربى ـ ألف ليلة وليلة ـ التى كان قد قرأها عام ١٩٠٦ ـ الى الاهتمام العميق بالفكرة الإسلامية فى جذورها . ويرجع ذلك الاهتمام الى واحدة من أروع قصائده وهى «رسالة محمد» التى كتبها عام ١٩٠٧ ـ معبرا فيها عن اعجابه بالأسلوب البسيط المباشر الذى تميز به مفهوم الدعوة الإسلامية ـ وهو يؤكد ذلك فى رسالته التى بعث بها من قرطبة فيما بعد .

من ثمة يمكننا القول ان عمق اهتمام ريلكه بالعالم العربى ، عالم محمد الرسول الكريم ، هو الذى شده أكثر الى عالم ألف ليلة وليلة وسحر فارس مثل رتوش صورته المثالية فى ألمانيا ، والذى انعكس فى مجموعة «سونيتات الى أورفيوس» .

تميزت حياة ريلكه القصيرة بكثرة أسفاره ورحلاته . ولعل رحلته الى روسيا فى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث التقى بتولستوى وعدد كبير من خيرة أدبائه وفنانى ذلك البلد ، هى أعمق تجربة مر بها . إذ تركت عنده شعورا قويا بأنها أرض الصابرين القانتين المتواضعين ، لأن شعارها لم يكن مثل شعار الأفاق (الموت أفضل من العبودية) ، وإنما (العبودية خير من الخطيئة) .. وبذا كانت تجربة عمقت فيه أفكار الاتحاد والورع الشرقى ، ودفعته الى محاولة تقمص راهب شرقى تدور أفكاره وأغانيه وصلواته حول الله . وقد سجل كل ذلك فى «كتاب الساعات» (١٨٩٩ ـ ١٩٠٣) . ويحس المرء فى تلك الأشعار بأنه أمام صوفى استشعر وكبر الوجود المطلق لله . وهذا التوحيد ـ والإحساس بوحدة الوجود ـ هو الذى جعله يفطن الى التفكير المحمدى بشكل هذا التفكير الإسلامى ضمنى فى هذه الأشعار . وليس واضحا كما فى أشعاره بعد عام ١٩٢٠ ، حيث صار عنده بمثابة شعور أصيل وخصوصى تبلورت به نزعته الدينية .

بعد هذه التجربة الشرقية القوية والخالصة فى نفس الوقت مر ريلكه بتجارب غربية مختلفة ، لعل أهمها وأقواها إقامته فى باريس واتصاله العميق بالمثال الفرنسى رودان ، واطلاعه على وجودية كير كجارد وفكرة الموت عنده . وكان ريلكه قبل علاقته برودان يحلم بتحققات الالهام حيث يهبط عليه الوحى فيخلق . ولكنه بعد رودان صار ينحت الأشياء يستلهمها الجمال والحركة .

ولئن كان ريلكه فى «كتاب الساعات» قد عرف السكينة وصفاء النفس العابدة بانسحاب شبه كامل عن الحياة فى أديرة الرهبان فى روسيا ، وتشبع بأفكار كير كجارد عن الموت فهو لم يسقط عن شموخ الحياة وروعة التاريخ حين زار شمال أفريقيا المسلم ومصر واسبانيا ـ الاندلس .

وفى مدينة قيروان تلمس به عظمة الإسلام وعبقريته فى أن ... ، ان المرء يحس هنا بروعة ما فى هذا الدين من بساطة وحيوية وكأنما النبى (ص) كان هنا بالأمس ... وهذه المدينة مملكته . أما زيارته لجامع قرطبة بالأندلس فقد ملكت وجدانه ... ، كما تدل رسالة ضافية بعث بها عام ١٩١٢ الى أحد أصدقائه . وقد ثارت نفسه واشتد غضبه لمرأى هذا الجامع العظيم بعد أن حول مبناه الى كنيسة . ومرة أخرى فتنه فى الإسلام استقامته والتجاهه المباشر ، كما كان قد افتتن به فى قيروان .. وذلك على العكس من الورع السطحى الذى رآه فى اسبانيا وظل ينفره ـ وهو الكاثوليكى ـ عن المسيحية . وفى ذلك يقول : «منذ قرطبة يعترينى شعور حاد ضد المسيحية ، وإننى لأقرأ القرآن ، فيصبح صوتى فى بعض مقاطعه حين يتملك على كافة حاسيسى وقواى كالريح فى الأرغل . وقد كان محمد (ص) فى كل الظروف أقرب الناس الى .. كنهر عبر جبالا وعرة يتخذ طريقه الى الله الواحد الأحد» .

إن الإشارات المتكررة فى رسائل ريلكه الى اصدقائه الى الإسلام ، ورسوله ، والى ما احرزه من تقدم سريع فى قراءة العربية ، والشعر العربى ، ومحاولاته ترجمة بعض المقطوعات ونقده لما ترجم من مقطوعات ، كل ذلك لا يمكن إلا استثماره كدليل على حرصه على توجيه خلصائه الى أخذ تجربته الشرقية بعين الاعتبار الكامل فيما هم ينظرون فى أعماله الشعرية .. وخاصة تلك التى كتبها بعد ١٩١٢ كمراثى دوينو وسونيتات الى أورفيوس .. وربما استطاع النقاد ، إن جعلوا هذا مدخلهم الى نقد وتقويم الشعراء ، أن يفهموا المعنى العميق لعزلته الثقافية وأغراب اشاراته ومعانيه فى إطار المألوف الغربى .

الصدق والبساطة والأصالة

في معرض الفنان محمد علي عبدالله

إنه أحد البراعم المتفتحة في خمائل الفن التشكيلي القطري الحديث ...

محمد علي عبد الله .. فنان يترك بصماته الإبداعية على الطابع المحلي والتراث والقيم البيئية بصدق وانفعال ! يستحث الخطى نحو أسلوب مميز يحاول اكتشافه من منطلق واقعه الخليجي ، ويجاهد لصقل موهبته واستعداداته بالعلم والدراسة الأكاديمية الواعية ، لم تبهره أضواء (التحديث) نسبحا في أساليب المذاهب والتقاليعات المعاصرة التي تعبث باسم الفن في عالم اليوم ، وتجعل من هياكل البناء الشكلي – دون الغايات والأهداف – جوهر قضية الإبداع المعاصر .

عرف الشاب الفنان قدر نفسه ، وقيمة إشعاعاته التراثية ، وغاص في أعماق واقعه البيئي الأصيل ! وجسد المنظورات في غير شطط أو شطحات ، وبغير (تطاول) على عقلية مواطنيه الذين يربطه وإياهم هذا الواقع المحلي بكل تقاليده وعاداته الضاربة في أعماق التاريخ ، فبينما نرى أقرانه من ذوي المواهب يتطلعون بأقصى سرعة الى الشهرة والتألق ، غير عابئين بالتريث والجدية في بناء شخصيتهم الفنية وترسيخ القيم التراثية في وجدانهم ، يرنو فناننا الى واقع أمته مستلهما من أصالتها ملامح رسالته الفنية بوجه عام ، لذلك فقد حدد منهجه ليخوض التجربة مؤهلا بالعلم والممارسة بوعي وتمهل دون خشية الزلل في خضم التيارات والاتجاهات الفنية الحديثة . تلك التيارات اللاهثة المتصارعة التي سادت مجتمع الغرب الصناعي منذ أواخر القرن الماضي وازدادت حدة في الثلث الأول من هذا القرن العشرين بما يشبه التعرك المحتدمة في نفوس مجتمع يهرب من واقعه بدافع العقد النفسية والتراكمات المأساوية التي خلفتها له الحروب والويلات وإشاعة (الايدلوجيات) والنظريات الفلسفية الجامحة !

التعبير الهادىء

لذلك رأينا محمد علي – وهو في مطلع حياته الفنية – ينتقل دون انفعال ويطرح فنه كتعبير تلقائي من خلال تجاربه الصادقة للمشاعر الفنية من حوله ، ويجسدها بأساليب وتقنية في مجملها تحركها العاطفة والتلقائية دون أن يخضع لسيطرة العقل الباطن أو الأحلام المختلفة في عالم التخيل والخيال أو أجواء الذاتية والأنانية ؛ ولذلك كان أسلوب الفنان هادئا ومتطابقا مع سلوكه ومنهجه .

ومما لا شك فيه أن هذا النوع من النتاج الإبداعي يعتمد على المهارة في الصياغة والتجسيد من هذه المرئيات المباشرة ، كما هو مرحلي بكل المقاييس ، فلكل مرحلة طابعها الإدراكي ، ولكل تجربة يعيشها الفنان عطاؤها ومذاقها الخاص ، وقد يصل – تبعا لاستمرارية الدراسة والثقافة والممارسة ومنابع المعرفة – الى مراحل أخرى بمزيد من النضوج ، ولكنها رهن بتحول دائم من داخل أعماقه دون التعلق أو محاكاة للآخرين . وهنا يكون العطاء صادقا مهما كانت صورته ، ومهما تعددت طرق الأداء والمعالجة ... وتلك هي قضية الفن في كل زمان ومكان !

الحديث والقديم

ويخطيء من يتصور أن أسلوب الأداء أو (التكنيك) هو الذي يحدد قيمة العمل الفني وانتماءه الى المذاهب الحديثة أو القديمة : فالحداثة في الفن تنطلق من رؤية الفنان ذاته الى ما هو كائن ، والمطلوب منه أن يعبر عن المرئيات والمحسوسات من خلال بصيرته لا من خلال بصره المجرد ، وأن يكون هذا التعبير عن الأشياء صادقا وتلقائيا وكأنه يراها لأول مرة في حياته ، ومن هذا المنطلق تتوقف قيمة عمله على نظرته ومدى تفاعله وانفعاله بمدى ما يحس من خلالها .

ولسنا بحاجة الى أن نذكر أن الرسوم التي نقشها الإنسان البدائي منذ أكثر من عشرين ألف سنة على جدران كهوف (لاسكو) بجنوب فرنسا مثلا نعتبر فنا حديثا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى وفي نفس الوقت ، فإن الآلاف من شباب الفنون المعاصرين من الذين يجرون وراء الأساليب التجريدية والسيريالية ، ويقلدونها تقليدا أعمى لمسخة في ركب المعاصرة والحداثة ، دون اقتناع أو ثقافة عميقة أو إضافة ذاتية ، لا شك أن عملهم في هذه الحالة يعتبر فنا (قديما) ولا يمت للحداثة بصلة !

وعلى ذلك ، فعامل الزمن في القدم أو الحداثة لا ينطبق على حركة الإبداع ، وهذه قضية تشغل بال شباب الفنون اليوم ، ونجد انهم ضائعون بين (التخلف) أو الجري وراء ما يسمى بالفن الحديث ! ومن الغريب أن كثيرا من الأفكار السائحة تسيطر على الكثيرين منهم ، بحيث صارت متاهات التجريد المعاصر هي الفن ... ولا شيء غيرها !

ولذلك ، نستطيع بكل تجرد أن نضع فناننا القطري محمد علي في مكان الفنان الصدق

في معرضه الخاص الذي أقيم في الدوحة (من ٧ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٨٠) نقرأ في تقدمته لهذا المعرض كلماته التي تتسم بالواقعية والبساطة :

«إن نافذتي على العالم هي عيني ، ومن خلالهما تنعكس البيئة والتراث على عواطفي وجوارحي ، ولأن لكل فعل رد فعل فلابد لهذا الانعكاس من رد فعل ، يراه المشاهد في هذه اللوحات ، وإنما في حاجة الى بعض التأمل فيها حتى تستشف من هذا الكل المعقد بعض القيم الإنسانية التي ظلت تتوارث قرونا طويلة ... لتكون في حياة الإنسان مع تعاقب الأجيال ... وحتى اليوم !»

لم (يتفلسف) الفنان ويقودنا الى سفسطة لفظية ليقول مثلا : (إنني أعبر عن عالم الحس اللامنظور ذي الأبعاد الغيبية) ، أو (أجسد واقع المفاهيم العقلانية فيما وراء الطبيعة أو ما وراء الحياة اللانهائية) أو (أسبح بفني في أطياف الذاتية واللاشعورية ...) الى آخر هذه الكلمات المبتذلة التي مللناها ومججناها ، وأصبحت لا تعني إلا مزايدات ساذجة فيها من الاستخفاف بعقول الناس أكثر مما فيها من الصدق والجدية ، بل إن بعضها أو كثيرا منها ليس فيه جدية على الإطلاق !

وندخل المعرض لنرى أنه مرآة مصقولة تعكس اجتهادات الفنان الشاب كما تعكس خلقه كذلك ، وأقول للذين لا يعرفون محمد علي عن قرب ، إنه شاب وسيم مهذب دمث الأخلاق ، يكاد يذوب رقة وأدبا وتواضعا !

وجاءت لوحاته تحمل كل هذه الصفات .

لقد احتضن سعادة الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الإعلام هذه المواهب المتفتحة وتعهدها بالعناية والرعاية ، وكان فناننا محمد علي ضمن هذه البراعم الصاعدة ، واحتضن ناصر العثمان ـ مدير ادارة الثقافة والفنون ـ في تكوين شخصيته الفنية وأغدق عليه في التوجيه والتشجيع سواء في الدوحة أو في العاصمة البريطانية حيث يتلقى الفنان دراسته الأكاديمية ، وهنا يأتي دور القائد ذي الوعي الفكري الثاقب من موقع المسئولية الفنية ، وهذا ما يتمتع به ناصر العثمان من سعة في الأفق الثقافي وإدراك في الإحساس بالتذوق الفني بوجه خاص ، وهذا ما جعل من الفنون التشكيلية أبرز سمات النهضة الفكرية القطرية . ولذلك ـ وعرفانا منه بالجميل نحو ادارة الثقافة والفنون ـ أقام محمد علي هذا المعرض ، وهو بصدد سفره لاستئناف دراسته الفنية العالية .

والأمل معقود عليه وعلى زملائه من الذين سبقوه في الخارج ، لأن يكونوا رعيل الرواد للمسيرة الفنية القطرية الحديثة .


عيسى غانم الكواري وزير الإعلام


الفنان محمد علي





الطابع والمعالجة

تفاوتت معالجة الفنان (التكنيكية) بين الألوان الزيتية والمائية وألوان الباستيل ، والتسمت أسلوبه بالواقعية المتحررة التي هي خلط بين الطبيعية والتأثيرية في بعض جوانبها ، والرمزية في تأكيد الوحدات في بعض أجزاء لوحاته الأخرى . وقد يلجأ إلى (التنغيم) أو التسطيح الأملس ، وتلك مسألة كانت حرة جريئة للتعبير مباشر دون تكلف ، أو التفعل أو الوقوع في شرك الابهارات الشكلية للمرئيات الحسية .

والتجريد اللوني هنا في بعض الجزئيات ضرورة لجأ اليها الفنان لإبراز الظل وتأكيد الموضوع الشعبي الذي يرمز اليه ، ومحتوحة إلى عدم المعالجات الحسية داخل إطار الشكل العام ، نأى بلوحاته عن (الفوتوغرافية) أو الحرفية التقليدية التي لا تعنى الا بالتصويرات الشكلية دون المضمون .

وبدا في بعض المناظر المعمقة ملجأ إلى التعبير السريع (الاسكتش) ليحتوي مضموناتها مباشرة وبأقل وتكلفة ممكنة وبذلك جاءت في معظمها بساحة ذات تأثير عاطفي فوري ، وهذه علامة مميزة لأسلوبه الدافئ الحي .

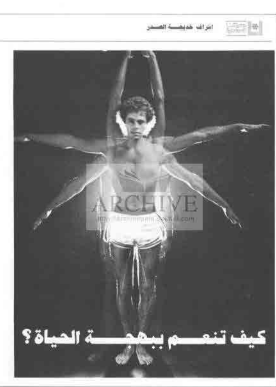
وإن كانت قيود النسب والمنظور قد افتقدت في بعض أجزاء متفرقة ، إلا أن هذا لا يعني شيئا إذا ما نسبناه إلى تعبيرات الحركة البالغة .

ومن المعروف أن الألوان المائية هي أصعب أدوات التعبير وأكثرها حساسية وفورية في مجال الرسم ، ولكن محمد على ، طرق هذا المجال بشكل جيد ، ولا شك أن رسالته القادمة ستصقل أسلوبه إلى درجة أكثر كفاءة واقتدارا ، ما أعطى الفنان بأدوار الباستيل – وهو فن له أصوله وقواعده وجمالياته المتفردة في عالم الإبداع – فقد عرض منها ثلاث لوحات هي : طبيعة صامتة – بائس – الإفطار . وهي في مجملها ذات تأثير تلقائي بسيط من الطبيعة ، نقلت بتحرر وحيوية جعلتها في مصاف أحسن لوحاته المعروضة .

وإذا كانت ست وثلاثون لوحة هي مكونات المعرض (ثلاث منها بالباستيل وسبع بالألوان المائية وبقية اللوحات بالألوان الزيتية) فمنها تمثل خواطره وانفعالاته دون أي مغالاة أو افتعال .

وهي في الوقت نفسه تعبير عن صدق الفنان مع نفسه ، ومع بيئته ومع مواطنيه ، فقد خاطبهم بلغتهم الشعبية البسيطة .. العميقة الأصيلة .. وهي سمات التقاليد العربية ذاتها في بساطتها وعمقها وأصالتها !

جمال قطب


كيف تنعم ببهجة الحياة ؟

يبدو أن أسلوب الحياة العصرية ليس هو افضل ما يوفر لنا عافية الذهن والبدن ، لأن انماط الحياة المعاصرة حافلة بما يورث المقسر كثيرا ، ويسبب لنا الإجهاد الحد . ويحفزنا على الإكثار من الاطعمة التي افقدت عناصرها الغذائية بفضل طرق اعدادها . كما اننا نميل بحكم بيئة العمل والمهن الى عدم مزاولة الرياضة بشكل كاف .

وبالرغم من أن الحياة قد اصبحت أكثر سهولة وامتاعا من أى وقت مضى ، فان ذلك لا يعنى تلقائيا إطالة العمر ، بل ان الملاحظ ان اجسامنا اخذة فى التدهور السريع بفضل هذه الفوائد نفسها .. مما يفرض على كل واحد منا ان يراجع اسلوب حياته .

ولقد قصدنا بهذه المقالات التى سنوالى نشرها بانتظام ان نساعد على تحسين نوعية حياة كل فرد منا لينعم بعافية النفس والجسم . وهى موجهة لمن يعانى من مرض مزمن مثلما هى لخدمة الانسان العادى او الرياضى الممتاز ، او ذاك الذى تقدم به العمر .

وهى لم تقتصر على التغذية أو اللياقة البدنية فحسب ، بل انها تبصرنا بالكيفية التى يعمل بها جسمنا ، واجهزته المختلفة ، وذهننا واغواره القصية ، وما يمكن أن يمتلع به الجسم والعقل ، وما يصيبهما من اضرار إن جانبنا التوفيق فى حسن استخدامهما .

اخطار الحياة العصرية

قلنا إن اسلوب الحياة فى هذا العصر غير صحى لانه يسبب الإجهاد النفسى والذهنى ، ولاننا نميل الى الاكثار من الأكل ، وخاصة الأطعمة التى تتم تنقيتها قبل أو اثناء عملية تجهيزها ، وتفقد بذلك كثيرا من موادها الغذائية . كما اننا نقعد عن الرياضة .

ولهذه العوامل الثلاثة فان تلث الوفيات فى الولايات المتحدة هو بسبب [illegible] ، وقد تعد تلك [illegible] عشر امريكا وحدها ، إذ ان العالم [illegible] اللحاق بها .

إن طول العمر يتمتع كنتيجة حتمية لتحسن العيش . [illegible] هذه المقالات تعنى بنوعية الحياة واسلوبها ، ولأن الاحصائيات تطالع الناس بأنهم اصبحوا يتمتعون بالعمر الطويل ، فان بعضنا قد يعتبر امراض المدنية اسطورة لا مادة لها . ولكن الحقيقة هى ان تلك الامراض العصرية المدنية هى واقع .. واخذة فى الازدياد . وكان من الممكن لنا ان نعيش أطول لولا الاكل غير الصحى وركوننا الى المهن التى لا تستوجب الحركة ، وعدم خروجنا للتريض بانتظام .

لقد تمكن الانسان من التخلص من امراض كثيرة كانت تفتك بنا قبل عشرين عاما . وبفضل براعة الجراحة الحديثة والعقاقير الطبية وغيرها يستطيع الطب اليوم ان يعالج كل الامراض المعروفة تقريبا . وقد تطور الطب بشكل رائع يبشر بامكانية توقع العيش لعمر طويل بالرغم من عاداتنا غير الصحية .

إن همنا الاساسى هو نوعية الحياة .. فالدمية لن تزول .. ومن ثمة لابد من معالجة اخطارها على صحتنا الذهنية والنفسية والجسدية فى عصر ورثنا فيه الصواريخ الموجهة والغواصات الذرية والتونكورز والتضخم المالى ..









والبطالة والضوضاء وتلوث البيئة ، وازدحام الشوارع بالحركة ، وناطحات السحاب والإرهاب الدولي المتطرف .

ولا غرابة مما تحقق إنجازه في عالم اليوم ، فهل نطلب المزيد من المدنية ؟ ربما وجب علينا أن نحسن الاستماع الى دعاة المحافظة على البيئة .. فالفوائد التي نجنيها من المدنية قد تلازمها سلبيات ترجح الخسران على الفائدة .

لقد أصبح ساسة الدول أكثر براغماتية في تعاملهم مع الأمور ، وهم يهتمون عادة بما هو قصير الأجل . لذا يقع علينا كأفراد واجب الانتقاء لما يمكن أن يكون ضاراً من مستحدثات المدنية .. وأن نرفع صوت الاحتجاج .. كل حسب ما

بطبيه ضميره .

إن حياة الدعة ليست شرا في ذاتها ، فقد توفرت لنا فرصة استخدام التكنولوجيا الحديثة فلا حرج بنا الا نحجم عن ذلك . فهناك مثلا زراعة الشعر لمن يعيبه صلعه .. ولا ضير في الاستفادة من قدرات جراح قدير ، وهناك طب الاسنان الحديث لمن يريد تغيير شكل وجهه . لكن ذلك ينبغي الا يعمينا عن البحث عن سبب المرض .. وهو سوء التغذية . ليقم جراح الاسنان باصلاح التلف ، ولكن علينا ان نوفر مالنا ووقتنا بالابتعاد عن تناول السكر .

وهناك جراحة التجميل لتنقذنا من ندبي الخفاش او تعيرنا وجها انضر ، او

نشد ما تروح عنا .

كل هذه الأساليب المبتدعة قيمة وذات فائدة لمن يعانون فعلا من مشكلة أو أخرى ، ولكنها ليست ولا يمكن أن تكون الحل النهائي الكامل . بها نستطيع أن نعالج اعوجاجا ما ، ولكن اللياقة المتكاملة شيء ينطق به الوجه والحركة النشطة للجسم والذهن . وهذا هو الأهم .

إن سبل المواصلات الحديثة تضع في متناول يدنا خضروات وفاكهة طازجة من أي مكان في العالم .. وفي ذلك فائدة لنا ، ويحسن بنا أن نقترفها . ولا غبار على الأشياء التي تجعل حياتنا المنزلية أكثر راحة ، وتبعد بعض ملل العيش ، ويفيدنا كثيرا أن نسافر ونحيا بعض الوقت في وسط حضاري ثقافي مغاير .. لأن ذلك يوسع آفاقنا الفكرية ويزيد تفهمنا وفهمنا للعالم والانسان .

ويعتبر اقتناء أسباب الراحة المنزلية الحديثة والقدرة على مشاهدة العالم النجاح المادي . فكم يكلفنا ذلك ؟ هناك اتجاه هذه الأيام بين الشباب من ذوي المهن يضع الحياة بأكملها ونوعيتها موضع تساؤل . وينتهون الى إدارة ظهورهم للطموح ، والاكتفاء بمستوى متوسط من المسئوليات .. وبهم إحساس بأن الحياة أفضل من العمل . ولكن بالانسان غريزة تدفعنا الى طلب النجاح من أجل النجاح نفسه . ولذا فإن ربط الطموح بتحقيق ما ينشده المرء لنفسه أمر متروك للاختيار الشخصي ، والذي يعتمد على عوامل كثيرة . ولكن مهما تفانينا في بلوغ قمة المهنة ، يجب علينا أن نجد الوقت لممارسة ضرب من الرياضة ، وأن نطعم الغذاء الصحيح ، ونأخذ حظنا من الراحة ، لأننا دون ذلك لن نستطيع أن نحقق كل قدراتنا مهما تفانينا في العمل ، ومهما كنا أذكياء .

كما يجب أن نتذكر دائما أننا نختلف في تكويننا من ناحية جينية وراثية ، وبنا إمكانيات متغايرة ، وأن كل واحد منا يستطيع أن ينمي خصلة أو أخرى تبرز



شخصيته ، وان يتخلص من عيب به .

إن الدعوة الأساسية لهذه المقالات هي : ان نحقق امكانياتنا

لياقتك البدنية

يفتحنا القسم الأول من هذه المقالات على الوعي بقدراتنا الجسمانية ، وسنرى انه من الممكن ان تكون على اللياقة ان اردت ذلك . والنصح الذي نقدمه قائم على حقيقة علمية واسعة القبول ، رغم ان المعرفة البشرية لا تخلو بطبيعة الحال ، من فجوات .

لقد حقق الطب معرفة شاملة



للامراض ، وفهم تلك التي قد تصيب وتؤثر على ٢٥٪ منا في نفس الوقت ، وهناك ايضا ثروة هائلة من المعرفة المتعلقة باللياقة ، وبتطوير وتنمية الرياضي الخارق ، البطل .. الذي يقف في جملة الـ ٥٪ على الطرف الآخر من الصورة . ولكننا نهتم في الأساس بالـ ٩٠٪ .

وقد شق الطب الوقائي لنفسه مكانا في الوعي العام ، وبشكل كامل ، إننا نريد ان نعرف اكبر قدر من الامراض نستطيع تجنبه قبل ان تصيبنا ليتمكن الرجل العادي والمرأة العادية ان يتحركا الى مدارج اللياقة الخارقة اذا شعرا بمثل ذلك .

هناك مجال واسع لضروب مختلفة من الرياضة تجعل من الممكن لأي واحد منا ان يبرز في واحد منها ... والمسألة كلها متعلقة بالدافع والإرادة الراغبة في النجاح . ولسنا جميعا نملك غريزة التنافس التي تغلب على رياضيي الطراز الأول او الميل لقضاء الساعات الطويلة كل يوم في التمارين والتدريب . وربما كنا نفضل ان نقضي اوقاتنا في مباهج أخرى تمنحها الحياة . ولم لا ؟ ومع ذلك فان مجرد الشعور بأننا نريد ذلك هو في حد ذاته مما يسر ويبهج .



مظهرك

إن خروجنا بمظهر جيد يمنحنا شعورا طيبا ، ولذا فاننا نفسح حيزا في هذه المقالات للبشرة والجلد والعناية بهما ، وما يمكن ان يصيبهما من ادواء . ويذكرنا الدكتور ، جون وايت الذي أعد تلك المادة ان الجلد والبشرة خليقان بالعناية لأنهما اول ما تقع العين عليه منا .

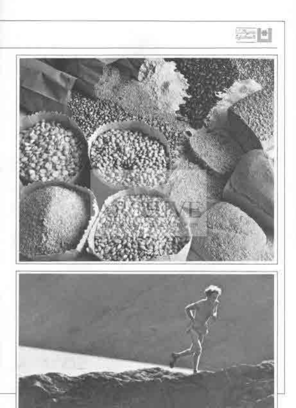
إن المستحضرات الغالية للعناية بالبشرة ليست بالضرورة افضل ما نوفره لها . فالأهم هو اتباع الارشادات الأساسية للعناية بالجلد ، وهي ليست صعبة التطبيق .

ولنذكر دائما ان الجلد يعكس الحالة الصحية العامة ، نفسيا وبدنيا ، فاذا اعتنينا بالصحة عامة ، فان البشرة تحافظ على جمالها وصحتها .

والأسنان السليمة النظيفة مظهر آخر له اهميته الكبرى ، بل هي اكثر اهمية من







البدانة او اكثر صحة في المستقبل . وكما بالنسبة للبشرة ، فإن الطبيب قد يساعد احيانا في علاج المشاكل التي تحدث رغم العناية الصحية الفائقة . وبذا تشمل هذه المقالات جزءا خاصا بالاسنان وكيفية العناية بها ، وما يمكن لطب وجراحة الاسنان ان يقوما به ليسهل تذليل مشاكلهما مهما استعصت .

الطاقة النفسية

هناك قسم خصص لمعالجة مشكلة العصر النفسية الاولى ، وهي الاجهاد ، والذي يمكن تعريفه ببساطة بانه امر سيكولوجي لسرعة الحياة ، وبذا فهو يؤثر على صحتك العامة .

ولقد كان الاجهاد على مر العصور جزءا من حياة البشر ، لكنه اليوم يتخذ اشكالا مختلفة فاصبح مثلا ناتجا عن الضوضاء والهموم المالية بعد ان كان قديما مرتبطا بالهم بالدفاع عن النفس امام الحيوانات الاخرى . ولكن الاثر السيكولوجي ظل كما هو . فالشحم او الدهن يصب في مجرى الدم لكي يوفر مصدرا للطاقة للقلب والعضلات . ويشار الى هذه العملية بميكانيزم الهروب او القتال . فاذا لم يستخدم ذلك الدهن بواسطة عضلات الجسم فانه يترسب في الشرايين ، ويعوق قدرتها على حمل خلايا الدم الحمراء التي تحمل الاوكسجين . وعندما يقع هذا التأثير الضار على شرايين التاج ، ومن ثمة يؤدي الى التجلط ، وهو مميت في القلب لان جزءا من القلب والعضلات يكون قد حرم من الاوكسجين نتيجة لقلة الدم السارى .

وهنا يأتي دور الرياضة ، وهي المعادل الحديث للقتال او الهروب إذ ان الدهون الموجودة في الدم تتحول الى طاقة ، وبذا تحول دون ترسبها في مجرى الدم .

ماذا تاكل ؟

إن القول بان المرء هو ما ياكله ، يطرح المسألة في شيء من المبالغة ، ولكن لا يمكننا ان ننكر ان الغذاء الصحي هو حجر الزاوية للحياة الصحية والكاملة التحقق . وسنشرح في مكان آخر التكوين الكيميائي البيولوجي للغذاء .

ويجب أن يكون همنا الاساسي دائما هو الابتعاد عن الاطعمة التي تمت تنقيتها بشدة . فقد اتضح ان الاطعمة المنقحة عامل مساهم في مرض القلب ، وذلك من دراسات حضارات اخرى . ويعود الفضل في ذلك الى ما قام به رجلان هما دنيس بيركيت وكابتن كليف وقد لاحظا ان امراض المدنية غير موجودة في اجزاء كبيرة من افريقيا البدائية .. فهي خالية من امراض توسع الاوردة والنزيف الداخلي والزائدة الدودية وسرطان المعدة .. والقرحة . ولكن الافارقة الذين هاجروا الى امريكا واوروبا قد بداوا يلتقطون هذه الامراض .

والواضح ان الغذاء هو المسئول الاول عن كل ذلك . فالغذاء الافريقي هو اساسا من الغلال والحبوب غير المقشورة . وهذه الملاحظة قد اكدتها ابحاث علمية كثيرة .

ويبدو ان الغذاء الغنى المنقح يطيل الزمن الذي يستغرقه مرور الطعام من الفم الى ان يتم اخراج بقاياه ، فهو اقل من ٣٠ ساعة بالنسبة للافريقي ، بينما هو حوالي ٨٠ ساعة بالنسبة لمن ياكل طعاما منقحا . وكلما كان الزمن الذي يستغرقه الطعام في المعدة قصيرا كلما قل الامتصاص وبالتالي تقل فرص البدانة .

ويبدو ان بعض المنتجات النهائية في عملية الهضم هي مواد محدثة للسرطان ، وكلما كان الزمن الذي تلامس فيه هذه الفضلات جدران المعدة قصيرا كلما قلت فرص الاصابة بسرطان المعدة . كما ان بطء مرور الطعام يعني زيادة الضغط في المصارين .. مما يعوق حركة الدم في الاوردة الدموية ويسبب توسيعها .. كما يسبب النزيف .

إن الكاربوهايدرات المنقاة ـ السكر والدقيق الطحين ـ سريعة الامتصاص . ونحن نستهلك بكميات تفوق حاجتنا اليها لاستخدامها طاقة للجسم . وبذا فهي تختزن في الجسم في شكل شحم . اما الكاربوهايدرات غير المنقاة وفي شكل الياف فان امتصاصها اقل ، وبالتالي تخرج بسرعة عبر الامعاء .

وهناك عوامل غذائية اخرى مهمة ، فالحيوانات العليا غير الانسان تماثله في معظمها . وهناك دليل على ان حامض الاسكوربيك (فيتامين ج) الموجود بمقادير كبيرة في الخضروات الطازجة والفاكهة يوفر حماية ضد البرد ونزلاته وضد الانفلونزا . لا نريدك ان تصبح نباتيا ، ولكن يجب زيادة الكميات المستهلكة من الفاكهة والخضروات ، وتقليل مدة طبخ الخضروات ، ففي ذلك فائدة غذائية ونكهة افضل .

إن تناول الوجبات الصغيرة على دفعات كثيرة متباعدة يقلل من فرص اكتناز الجسم بالشحم والسمنة . فنحن عادة ناكل وجبة واحدة كبرى في اليوم ، وهي عادة غير صحية ، وخاصة اذا كانت في المساء . فالتمشي بعد الاكل ، وهو عادة غريزية عند البعض ، مفيد للغاية .

إن عادة الأكل مرة واحدة في اليوم تفرض على الجسم أن يختزن الطعام ليستخدمه كطاقة في وقت لاحق . ولا يمكن اختزانه إلا في شكل شحم .. ولذا رسخت هذه العادة ، فإن عملية التغيير والتبديل الطبيعية تبرمج نفسها على ذلك ، مما يزيد من اكتناز الجسم باللحم وبدانته .

وما قلناه هنا مهم جدا بالنسبة للأطفال تحت الخامسة .. وإن كانوا لا يقرأون . ولذا فإن على الآباء والأمهات أن يفكروا بمستقبل أبنائهم الصحي ، وأن يعرفوا أن الطفل البدين ينمو ويبلغ ويظل محتفظا ببدانته . فالطفل البدين الذي يزداد سمنة قبل بلوغ سن الخامسة يزيد من خلايا الشحم في جسمه ، ويبقى العدد الكلي لخلايا الشحم في جسمه ثابتا بعد ذلك . وبالرغم من إمكانية تقليل كمية الشحم في كل خلية ، فإن عدد خلايا الشحم نفسها لا يمكن تخفيضه .. الأمر الذي يجعل مسألة التخلص من الوزن الزائد معقدة للغاية .

الغذاء الصحي

يجب أن يشتمل الغذاء الصحيح على قمح غير مقشور وغلال وخبز وفاكهة طازجة وخضروات ... وأن يخلو من الدقيق الأبيض الصافي ، ومن منتجات السكر .

إننا لكي نحصل على ملعقة شاي واحدة من السكر نحتاج إلى رطلين من البنجر . والبنجر في حد ذاته لذيذ ومغذي ، ويعطي المحدد حاجتها من السكر الذي تقدر على معالجته ، ولذا ينبغي أن تحاول الكف عن تناول السكر . وإذا شق ذلك علينا فلنأكل الخبز الكامل والغلال حتى يتم تحليل السكر وتخفيفه .

إن تناول السكر نوع من الإدمان ، وقد درجنا على تقديمه للأطفال كرشوة ، وبذلك فإننا نغرس فيهم هذه العادة التي يصعب التخلص منها .

وهناك من يستعمل بدائل للسكر ، ولا نشجع على ذلك . فالولايات المتحدة مثلا قد حظرت استعمال بدائل السكر لأنه يخشى أن تكون محدثة لسرطان المثانة .. وأهم من ذلك كله علينا أن نحاول



الابتعاد عن الحلوى والكعك . إن علينا أن نعيد تعليم أنفسنا لتقبل أنواعا من الطعام سحية بشكل أفضل ، ومغذية وفي مصلحتنا .

هناك من يحرصون .. يشعرون بالحيرة على تناول وجبة سخية مرة في اليوم .. ولا شعور لذلك .. إن الخضروات الطازجة غير المطهوة ...

وبالإضافة إلى مشكلة بهجة الغذاء فإن على زائدي الوزن أن يهتموا بكمية الأكل أيضا . وفي أغلب الأحوال يكون الكف عن تناول السكر كافيا . فإذا لم يساعدك ذلك ، تخلص من الأطعمة ذات الحراريات العالية كالبطاطا مثلا .

وتذكر إن كان وزنك زائدا أن اتباع نظام في الأكل لأسابيع قليلة لا يكفي ، إذ يجب أن تحدث تعديلا دائما في عاداتك الغذائية .

ونقترح عليك تناول الفاكهة الطازجة والسلطة ، والخبز الكامل ـ أي ذلك المصنوع من قمح غير مقشور ـ والزبادي وذلك في الفطور ، والسلطة والخبز الكامل في الغداء . أما العشاء فيمكن أن يكون لحما وخضروات وسلطة إن أمكن .

ويمكن أن تكون هذه الوجبات الأساسية متنوعة بشكل كبير ، كما يمكن أن تبتدع نظاما لغذائك على ضوء هذه النصيحة البسيطة ، مستعينا بجدول يبين قيم المواد الحرارية .

وهناك بعض المواد التي يحجم عنها بعضنا لاعتبارات اجتماعية ، أو بسبب أوهام نسجت حولها ، نعالج منها ما يلي :

أولا : الثوم

إنه مفيد للصحة لأنه يخفض من ضغط الدم . فإذا كنت تعاني من فرط ضغط الدم ، تجاهل مسألة الرائحة ، وكل وجبات بها ثوم ... كما يفعل أهالي البحر الأبيض المتوسط ، وللبصل أيضا نفس الفائدة ، وإن كان ذلك بدرجة أقل وكما تفيدك أية صورة لسكان البحر الأبيض المتوسط فإن العافية وافرة لديهم ، والأمراض المدنية بينهم أقل مما هي عليه في أوروبا . ولذا فإن الطعام المغذي لا يعني بالضرورة أن يكون بلا طعم .

ثانيا : إن ما يضاف إلى الأطعمة المحفوظة من مواد لا تجعلها قاتلة . ورغم ما يدور من جدل حولها ، فإن الأدلة على ضررها ليست مقنعة .. والشك قائم .. وبالطبع ننصح بأكل المواد الطبيعية .

ثالثا : القهوة

يقال أن القهوة تسبب أمراض الشرايين ولكن الدليل لا يقنع أحدا . فتناول فنجان قهوتك بعد الأكل إن كنت



ممن يحبون ذلك.

واخيرا.. مسألة الكولسترول التي اصبحت مثار جدل واسع في الدوائر الطبية. إن الادلة على ارتباطه بمسببات امراض شرايين القلب ليست مقنعة وسنناقش هذا الموضوع لاحقا.

كيف تسترخي ؟

يعد التمرين العنيف.. يأتي الاسترخاء ولكنه ليس مهما في ذاته، وانما كموقف تتخذه. ولا يعني ذلك بالضرورة ان عليك ان تعمد الى اللعب او الجري كلما ثقل عليك ضغط العمل او مشاكل العلاقات الشخصية. وبعضنا يسترخي بمجرد ان يستلقي. وتلك اخرين يمارسون ضروبا مختلفة من رياضات التأمل.. او يذهبون الى العيادات النفسية.

إن اهمية الاسترخاء هي في كونه الرد سلبي وكنقيض للاجهاد. ولكنه تعبير ايجابيا كالتمرين. وسنخصه بقسم خاص من هذه المقالات.

وعلى العموم.. فان كل ما يجعلك سعيدا ومادام النفس هو مفيد بالنسبة للاسترخاء. فالمجتمعات الحديثة التي خلقت الاجهاد قد وفرت له الكثير من الامور التي تلغيه او تخففه.. ومنها التلفزيون. وعلينا الا نحتال ما جعل لتخليصنا من الاجهاد في حياتنا مصدر اجهاد لنا. وتجنب اغراء الهرولة الاجتماعية وراء المكانة والصيت. كن نفسك.. وافعل كل ما يدخل عليك البهجة

الرياضة

وبعد ان حددنا نوع الغذاء الكامل وبينا قيمة الاسترخاء، بقي لنا ان نقوم بالتريض. ومع اننا نستخدم طاقة الحراريات في التريض، فانه يصعب التخلص من الوزن الزائد بشكل ملحوظ بالتريض وحده. ولكن برنامجا جيدا للتريض يساهم كثيرا في اعادة توزيع ذلك الوزن.. ويجعلنا نحس ونشعر بشكل افضل. وسنخص هذا الموضوع بمقالين.

إن التمارين المعقدة التي تغيير منها لا تسمنا بالملل. ولذا يجدر بك ان تختار لعبة او رياضة تدخل البهجة في النفس وتعطي الثقة الشخصية والاجتماعية. فالرياضة يجب ان تكون تسلية ومتعة.

ويفضل ان تدعم رياضتك او لعبتك المفضلة بنوع او اخر من التمرين كالجري او الركض. وبعد ان تنمي هذه العادة للتريض بانتظام، يحسن بك ان تخرج من المدينة في الاوقات التي يصحو الجو فيها.

وقد يستدعي ذلك نوعا من الانضباط النفسي وخاصة بعد يوم عمل شاق، ولكن الفائدة تربو كما الزمنا. فالشعور بالاسترخاء بعد الحمام بعد التريض سحري المتعة، وكان هموم اليوم كله قد غسلت.

وعليك ان تلزم الحذر اذا كنت في بداية برنامج للياقة. لا تغالي. ابدأ في بطء وتدرج. وان كنت ممن يعانون من مرض في القلب، ينبغي ان تراجع طبيبك لاجراء فحص طبي كامل قبل ان تشرع في برنامج للياقة.

إن التمرين ضروري جدا لمرضى القلب انفسهم.. ولكنه يتم تحت الاشراف الطبي. وقد اصبح شيئا روتينيا ان يقوم مرضى القلب بتمارين رياضية.. طبعا بعد تخفيف الوزن، وضمن رقابة طبية ونصح طبي.





العقل الالكتروني فنانا

تذكرنا هذه اللوحات بأعمال الفنانين السورياليين وتميز وكأنها تصوير للعالم والأشياء . ولكن ما هو أكثر سوريالية في هذه اللوحات المرسلة للأشياء ساكنة هو أن الفنان الذي قام برسمها وتلوينها هو العقل الالكتروني .

إن برمجة العقل الالكتروني لرسم اللوحات ليس بالأمر اليسير . إذ يبدو أن هذه العقول الجبارة تميل إلى الأرقام وتفضيلها على ريشة وظلال ألوان بيكاسو . ويحتاج تطويعها للرسم إلى ذهن رياضي خارق وعين فنان بصير .









تبين هذه الصور تطور رسم الكأس بالعقل الالكتروني . رسم أولا في عام ١٩٦٢ (١١٦) شكلا مضلعا في عدد من النقاط . ثم أزال الخطوط الخلفية في عام ١٩٦٧ . وفي عام ١٩٦٩ قام بتلوين كل شكل مضلع حسب الضوء الذي يعكسه . ثم قام في عام ١٩٧٢ وعلى ضوء أو فريضات جديدة برسم الكأس منطحا مستديرا . وبعد التأمل في تصميم رسم على لوحة الكترونية ، قام الكمبيوتر بإضفاء ملمس الخزف الذي تراه في صورة الكأس المقشطة ، والتي رسمها في عام ١٩٨٠ .

ويطلق على رجال النهضة الفنية هذه في دنيا العقول الالكترونية اسم التشكيليين ويقع عليهم عبء تحويل المسطحات التي تحمل موضوع الرسم بصور طبيعية وواقعية الى معادلات جبرية وهندسية يستطيع العقل الالكتروني أن يفهمها ويترجمها الى صور. ولا يحتاج الأمر بعد ذلك إلا الى تحديد الاطار الخارجي لتلك الصور، والنقطة الافضل لزاوية النظر اليها .. ومصدرا حقيقيا للاضاءة .. ثم يقوم العقل الالكتروني بكل شيء فيحسب درجة الكثافة، وقيمة الألوان بالنسبة لكل واحدة من النقاط التي تملأ الشاشة والتي تربو عن مليون نقطة.

ومع ذلك ... يبقى أمام هؤلاء العلماء الفنانين الكثير مما يجب تعلمه وإضافته الى معادلات. لقد علموا العقول الالكترونية غاية تقليد صفحات مواد كالخزف والمعادن. ومازالوا يحاولون تمثيل مشاكل سطح مواد أخرى كالقشر والفراء والدخان لإدخالها في معادلات منتظمة.

وبالرغم من الدقة الرياضية في الإضاءة والتظليل في اللوحات التي ترسمها العقول الالكترونية، فإن الجزء الأكبر من فن الكمبيوتر لا يعتبر في مجال التصوير الفوتوغرافي ذا نوعية مثالية في جودته - وربما كان ذلك لأن الكمبيوتر دقيق للغاية وحرفي أكثر مما ينبغي.

ولحل هذه المشاكل اخذ تشكيليو العقول الالكترونية يغوصون في علم النفس وفيزيولوجية الرؤية وذلك في محاولة للتعرف على تلك الصفات والعوامل التي تجعل الفنان المبدع عظيما، حتى يمكن اضفاؤها على العقل الالكتروني.



— تتكون هذه اللوحة من ٢٢ مليون وحدة حسابية. وقد نفذت الكمبيوتر كثيرا. ولكن شركة العقول الالكترونية للمعلومات العالمية تأمل كثيرا في افلام مساعدة السينما في هوليود بأن الكمبيوتر يمكن أن يوفر لها المناظر الخلفية المختلفة وبشكل أفضل.



هذه اللوحة من رسم فنان من لحم ودم، وقد تعاون مع المعلم جيم بلين لإنتاج أشكال كروية ذات أوجه متعددة في خلفية تذكرنا بتاج محل.



يبقى أمام العلماء التشكيليين الكثير مما يجب إضافته وإدخاله إلى مستلزمات في الحكم والفني

إن هذا المنظر قد صممه فرانك كراو من جامعة أوهايو، وقصد أن يكون معقدا وهو حانق على العقل الالكتروني لأنه استغرق عشرين دقيقة في رسمه، ويرى أن ذلك الوقت أطول مما يجب للكمبيوتر!

هذه اللوحة عمل مشترك بين فنان كاريكاتيرى وعقل الكترونى . فالفنان هو الذى رسم المرأة المنحنية ، ثم قام العقل الإلكترونى باضافة هذا الجهاز الآلى الذى يحملها بين ذراعيه .. كما أنه أضاف العينين الجاحظتين فى الخلفية .



العصر الأكبر من فن الكمبيوتر لا ينحصر فى مجال التصوير الفوتوغرافى إلى حد توفية مثالية فى جودته نظراً لحرفيته

هذا المشهد لا يعرف بالمناظر الرقمية قام به العقل الإلكترونى لمركز المعلومات العالمى ... وهو يصور منظراً للقمر فوق مدينة مذهلة كما يرى من قاع مجارى تصريف المياه بالمدينة .






من قصص الخيال العلمي
الصلب
كتبها للدوحة الكاتب البريطاني : إدريان هندريكس
ترجمها : أنور عثمان أنكر

كان ديزموند مطلقا دهشة نفسه .. سعيدا بوظيفته رغم الثقل الخفيف الذي يشوبها .. فكر وهو يريح قدميه فوق الكونصول امامه بانه لم يبق سوى ثلاثة ارباع الساعة ويخرج لتناول غدائه .. وان الحياة سهلة .. مطواعة .. وان الملل كان سيرخم بالناس لولا ايقاف برنامج الفضاء .. لكن احسسنا خلفا بالوحدة والوحشة لم يفارقه .

وقد اوقف برنامج الفضاء لان احدا لم يعد يرغب في رحلاته .. واصبحت الرحلات المحدودة داخل النظام الشمسي تفرضها ضرورة صيانة المصانع الهائلة التي اقيمت في كوكبي الزهرة والمريخ .. وهي ذاتية التسيير .. لان البشر آثروا البقاء في الارض .. ولم يبرحوها ! فالكواكب الاخرى عديمة الهواء ، او قارصة البرد .. او ذات تضاريس خطرة على الانسان .. اما السفر بين النجوم فقد اعتبر فكرة غير مجدية وعبثا لا طائل تحته منذ ايام انشتين .. خاصة لانه يستغرق مئات السنوات الضوئية .. ولا قدرة لاحد للسفر بتلك السرعة .

وقد اصبح كل ما يتذكره الناس في القرن الثاني والعشرين هو السلام .. فقد عم الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي ودام ثبات السنين وصرف اهل الارض النظر عن إشباع ذلك النهم العجيب للنمو والتوسع .. والذي كان يهلكهم بتكاليف وبكد المزيد من النمو والتوسيع الذي يجرف العالم الى الفوضى .. فاذا كان استكشاف الفضاء قد توقف فان ذلك قد اتاح لديزموند ان يفكر بعمله في برنامج الفضاء كمثال يظهر حكمة الوضع القائم .. وهكذا احس براحة نفسية واطمأن لامنه .

هب ديزموند من انفعاله .. وفتح عينيه على الضوء الاخضر الذي اشتعلنا وهو ينبعث في تقطع .. بليب !

وسارع الى مكتب رئيسه .

إنه لم يضيء مرة واحدة في عامين قضاهما ديزموند في وظيفته هذه .. وهو لم ينبعث في واقع الامر مرة واحدة في الثلاثة عشر عاما منذ إنشاء تلك الوظيفة .. يا الله .. هل راجع اجهزة التسجيل الاوتوماتيكية قبل ان يخرج الى مكتب لوك رئيسه ؟ لم يكن واثقا .. اذا كر متدفعا الى حجرة الكونصول .. وضغط زرا .. ثم اسرع الى مكتب لوك الذي استغرب مجيئه .. ولم يجد ثمة ما يقوله .

ولوك هو منسق البرنامج .. والمشرف على عشرين شخصا يعملون تحته .. ويمهد ديزموند وهو مفعم بالاحساس بعدم كفاية ذلك العدد .. حتى لو كان الفضاء غير ذي اهمية .. فذلك لا يعني بالضرورة انه غير مهم .. وعندما دخل عليه ديزموند .. كان لوك منهمكا في مسائل ادارية تخص المركز .. وهو يستعذب ذلك العمل لانه يذكره بما يقع تحت سيطرته .. ويؤكدها .

اراد المستعجل الخروج لفترة الغداء .. قال لوك دون ان يرفع بصره عن الشاشة الصغيرة التي استعاض بها عن كل الدفاتر والملفات والاوراق في المكتب .



لقد وقع .. لقد وقع ما كنا ننتظره قال ديزموند في ما يشبه الهمس وهو يغالب نفسه ليحتفظ بهدوئه .

إن عمله كرئيس العاملين في قسم الاشارات هو ان ينظم ويراجع الاجهزة التي ترصد الفضاء الفضاء وتستقبل الاشارات التي تحمل معلومات .. وقد اعدت عقول الكترونية جبارة لتقوم بفرز الاصوات العشوائية من متتاليات غير عشوائية من الطاقة .. وقد طرت الان على الشاشة .

نهض لوك .. وخطا نحو الجدار مباشرة .. وقبل ان يرتطم به تحول من كتلة صماء عازلة للصوت الى فجوة وباب .. وكانت حجرة الكونصول في الجانب الاخر .. والضوء الاخضر مازال يشع .. وسيل من الورق يتدفق من الآلة الطابعة بالعقل الالكتروني .. فانقض لوك عليها .. وبقي النظر فيها بينما ظل ديزموند ينتظر محاولا ان يسترق النظر اليها من فوق كتف رئيسه .

ـ يبدو انها رسالة مزدوجة .. هل يمكنك البقاء تفكها ؟

ـ طبعا .. حالا ..

وكان الجانب الاخر من وظيفة ديزموند هو فك الشفرات .. وهي عملية تتم بمساعدة العقل الالكتروني .. وقد برع فيها ديزموند منذ ايام الدراسة بعظمة .. وقبل ان يحصل على وظيفته هذه .

نسي مسالة الغداء تماما وهو يعمل على قراءة شيء من الرسالة التي تخرج من الآلة .. كان يصنف ويجمع ويعيد تصنيف المادة .. والتي لم يتوقف سيلها لحظة .. وحاول ان يستشف اي معنى .. لكنه فشل تماما .. وازعجه انه لم تكن بها اية مشكلة رياضية او حقيقة حسابية بسيطة .. ماذا يحاولون ؟ ماذا يحاول اولئك الغرباء الاعدياء الذين بثوا تلك الرسالة ؟ لم كل هذا الهراء ؟

تضاعف غضبه .. فانحسر تركيزه ودون شعور منه لم يعد ملله طفيفا .

كان لوك قد عاد من فترة الغداء .. فصاح في تبرم المسالة .. فلم يخف ديزموند اخفاقه :

ـ لم اصب شيئا .. لا فائدة .

فقال لوك :

ـ ربما كانت هذه الاشارة قادمة من ابسيلون

همهم ديزموند .. وقال :

ـ على اية نتيجة إذن ؟

ـ على موجة صوتية مرئية .. ضوء اخضر في الواقع .. كشارات المرور .

ـ ماذا ؟

وبهذا التعليق اشتد عند ديزموند بالتنبيه شديد الى رئيسه

ـ اجل .. ربما تصبح هذه الاشارة فاتحة عهد لجهود فضائي كبير .. الى النجوم .

انتبر ديزموند بريقا خاصا في عيني لوك فتمتم .. الفضاء ؟ وابتسم لوك بدوره .. مسرورا بالتفكير بان عدد العاملين تحته سيرتفع الى الآف .. وليس مجرد العشرين العاملين معه في الوقت الحاضر .

في غرفة الكونصول ظلت الامور ساكنة وظل ديزموند يردد في مؤخرة ذهنه .. ابسيلون .. ماذا يعني هذا ؟ لقد ان يستعين بالعقل الالكتروني ليمده بما عنده .. فانهالت المعلومات الفنية : ابسيلون ـ نجم مزدوج اخضر باهت وازرق ... بلا وجود نظام كوكبي له في عام ٢٢٣٦ .

ثم ... كالفكرة الملحة .. خطرت له الخطورة اول رحلة فضائية .. والتي يعرفها كل شخص .. والتي كانت قد ابرزت لهم كمثال على مدى جنون رحلات الفضاء ... وقيل ان ثمة اشارات قد تم استقبالها من ابسيلون في بداية القرن الحادي





والعشرين ، وانه لم ترسل مخطط له الى [illegible] ... بعد ان حدد تماما ، ويرتب مقره تكون تحت سرعة الضوء ... وقد رفع القارئة بعيون عند عبير برنامج الفضاء بمهمة غير مفسرة ... فكانت تلك بداية تدهور في نهاية البرنامج ، وتوقفت الإشارات بعد سنوات ، ولم يستطع أي شيء بعدها في ذلك الجزء من السماء ... او كان تمضي الاسطورة ... ربما ... وكان ديرموند في يصرح وهو يعتبر ان هذه الإشارة ربما كانت من بعثة البيسيس الفضائية .

اخذ يجري نحو مكتب لوك ، الذي كان يستعد للذهاب الى بيته ، ولكنه توقف ، ومعطفه فوق ذراعه ، واخذ يفكر في ما قاله ديرموند . ومثل كل الآخرين ، كان يعرف تلك الاسطورة ، كما يفترض ان يعرف ارقى السجلات والوثائق المتعلقة بتلك المحاولة للوصول الى النجوم في [illegible] في الاتحاد الذي وقع لاحقا [illegible] فضاء نووية ، وكانت الشهادة المعدات الفضائية بين الكواكب والاجرام .

— اريد محاضرة ان [illegible] ... وتكون رسالة من [illegible] ما كانت [illegible] ان [illegible] فعلا من البيسيس .

وبعدم الكلمات ، [illegible] ... وفكر ديرموند بان رئيسه يحتاج الى الكثير من التحقيق ، فهو يعرف انه [illegible] ... وخاصة اذا كانت من بعثة البيسيس ... المنظر ان تكون بالطاقة الإلكترونية ... من عقول الكترونية تقوية ... الرياضية ، وربما استطاع ... الاجهزة التي تتكلم ورئيسه لوك ، وان تحضر [illegible] المركز القومي .

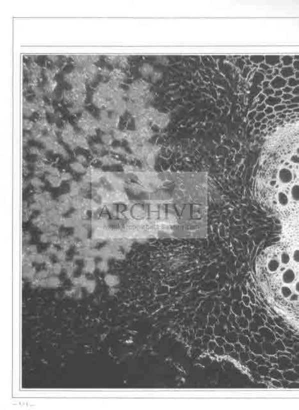
وبهذا التقرير المختصر مضى ديرموند في محاولة جديدة ، وبعد ساعات ثلاث احس بفرح كبير ، لقد كان على حق ، ان الرسالة فعلا شفرة وفي [illegible] مقطع . فهي مدونة بشفرة مورس [illegible] والفاظها والذي يجعلها افضل وسيلة لاختراق [illegible] الاصوات الفضائية ، ويجعل كلماتها بالشفرة وفكها ... دون استعانة باي جهاز ... وتكون ... الكلمات التي بدأت ... من الآلة الطابعة ... الوقت ... كانها نغمة تسيح في الكلمات .

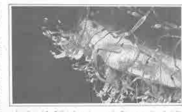
«هذا تقرير ... من مركبة النجوم رقم (١)

لقد بلغت البيسيس ، لا ادري ... الى تاريخ ... كما ... مسافر ، المرة ... الوحشة ... وكلاهما يعجز العقل عن تصويرهما ... وليس ... لتكون الحركة ممكنة ، انه ... الابدي .

لا حيلة لي ان ... هذا التقرير ... ولا ... وربما ... شيء ... بما ساميه ...

لقد وجدنا ... الى ما ... وضع الجليل ... بعد خمسين عاما ... ومشاق ... بعد





حفلة (الوداع) ... فقد رأيت رأسي محفلاء مرفقي المستوى ... فأطلق ذلك على حقيقة الكائن الذي يحتويني، وعلى وعيي بنفسي، وطاعة وحقائق المنطقة. وكانت المركبة الفضاء هي الشيء الوحيد الذي يدل على وجود حياة عاقلة في ما وراء الارض. فكيف لي أن أريد أن أشاركه اكثر من ثلاثين عاما ؟

لابد أن المركبة قد هبطت ... فالعقول الالكترونية كانت مبرمجة لتتفادى عندما تقترب من مصدر الإشارات ، وكانت مثلها معرفة تلك المعلومات التي كانت تحاول الاتصال بنا من الآخرين ... فرفعت غطاء مرقدي ، وحاولت أن أجلس وتكاثرت سقطات ... ثم تمكنت على حفظ ما قطع ما تبادلت ... وكانت الآلام والدبابيس تغرز في رأسي ... تصوروا أن الخلود خمسين عاما في وضع غير مريح .

بعدما انا رأيت هناك أحاول أن استجمع شيئا من قواي، خطر لي أنني مخطوف في واقع الأمر ... فقد كان من الممكن أن أصاب بالغرغرينا أو أموت أثناء الرحلة ... خاصة أنه لم يكن ممكنا تجريب العقار بعد بشكل عميق قبل سفري ... من له الوقت ؟ من كان سيستطيع أن يبقى نائما خمسين عاما ليتم تجريب العقار ... ؟

عندما انطلقت الحركة ... سمعت رسالة مسجلة أن أبدأ تدريبات خفيفة ، كما اعتدت على فقبة تشغيل المركبة ... الآلي ... وأنا استمع الى التفاصيل التي أتذكر الكثير ... فالذاكرة الجديدة جيدة الحفظ ... فقمت الى الحمام لأزيل العرق البارد العالق بي ... أن مائة عام من السفر ... كانت أشبه بفكرة التي تقتل نشر الانسان سفرا ... لكنني تعديت من ذلك عموما ... حلقة تحت ... في أستطيع بعد أن فارقت الأرض . وأخيرا وجدتني أستطيع الفحص الخيطة بالمركبة وعرفت من التحليل النسيجي الآلي أنه لا خطر في الخارج ... لكنني كنت محتاجا من ناحية سيكولوجية لمعرفة ما سأجده .

كانت المخلصية إلى يوما ما عن خلفية الأرض ...

والهواء يمكن استنشاقه بالرغم من أن نسبة ثاني أوكسيد الكربون والنيتروجين كانت ... ولم تكن هناك حياة حيوانية تستحق الذكر ... شكل ... ولا نرى ... كانت ... حيوانات خرافية ... هناك ... في ... يمضي ... حقيقة من ... الثلاثة أيام ... إن ... وخرجت ... وكانت ... فوقه ... نفسي ... والكوكب ... على حسب ... وبعد أن استجمعت نفسي بعد هذا الصحو ... أسبوعي ... ثم انطلقت ... وصرخت : لقد نجحنا ... لقد نجحنا ... نجم آخر ... كوكب آخر به حياة عاقلة . ولكن ... أين كنا ؟ أين نعمة الاستقلال للاحتفاء بنا ؟ أين مظاهر الحفاوة أو الخوف من مخلوقات غريبة من عالم آخر ؟ ألم ... مشوارا طويلا ... فلماذا يتم تجاهلي ؟

تذكرت المعلومات التي نعرفها عن هذا الكوكب ... إنه خالي من الحيوان ... ملكتني الحيرة ... التي هبطت بي المركبة فوق كوكب آخر بالخطأ ؟ ربما ماتوا منذ أمد بعيد ، ربما أفنت حرب نووية أهل الأرض الآن ... هل كانت تلتقط ... الماضي السحيق للموت في المستقبل القريب ؟

اعتليت المركبة ... ولم يكن ذلك صعبا لأنها كانت هابطة في ... الكوكب ... وكانت لي أمل أن أرى شيئا من ذلك العلو ... مدينة أو أية علامة تدل على الحياة ... لكن أملي خاب ... كانت الجهات كلها تلالا ووهادا تبعد خمسة عشر ميلا من بطن الوادي ، وموزعة على مسافات متساوية ... ولكنها بلا نهاية ... فعدت الى المركبة ... وانشغلت ... فقررت أن أبحث شيئا مما ... الأرض ... والذي ربما كان الطعام الوحيد في هذا الجزء من العالم .

وكانت تجربة باطلة ... أن يطعم المرء بعد

مئة عام ... وقد بدأت الأكل بوقت قليل من الملعقات الذي كان ينبغي أن أبدأ ... بتكيف أجهزتي بمجهود الهضم ... ولكن تلك الأمور لم تعد ذات أهمية وقد راودني الأمل في العثور على حبوب ... ذلك السم القاتل ...

خرجت بعد الأكل لاستكشاف المساحات البعيدة عن المركبة ... شيء ما ... أن أراه ... لي ... ثم لحظ أحد التلال أكثر ... وحجما من الآخرين ... ولما لم يكن من شيء آخر ... رأيت أن أسير اليه ... كانت ... في البداية لأنني كنت أوهن مما تصورت ... وكانت دهشتي مفرحة عندما وجدت التي ... الصعود والهبوط من تلك التلال ... وكان الهواء نقيا صافيا ... وإن كانت رطوبته أكثر مما أحب وأشتهي ... وكانت هناك شمسان ... احداهما زرقاء ، والأخرى خضراء ... كانتا تغربان في سماء عميقة الزرقة ... وكان الظلام شديدا ... التعرى ... والعجز ... شمسين ... ولكن ذلك كان مجرد خدعة لصفاء ونقاء الهواء ... إلا أن غياب الغبار في الجو جعلها ... سماء سوداء ، وجعلني ... بأن النجوم ... من فوق ... تماما ... يحيل الغبار ... جو الأرض السماء الى لون أزرق خفيف ... على الفضاء تلك الروعة التي ... من التفكير ... .

أخذت أفكر في مصيري ... وأنا أسير متمهلا ... لقد تلقيت تدريبا علميا في ... وفي علم النفس ... ولذا ثم اختياري لهذه المهمة ... ولكن ... إلا عندما يتم ... بيني وبين مخلوقات غريبة ... وكان العامل الأساسي في اختياري هو الإخلاص للمهمة ... والتي تفرض علي أن أقيم اتصالا مع أشكال أخرى من الحياة ... ولا أفكر في العودة الى الأرض ... لأن ذلك غير ممكن لأنه لا يمكن لمخلوق أن يعيش تجربة الانعاش مرتين ... وقد ... حتى ... التجربة ... أن لا أعود ... وكل لحظة من ... تشغلها أفكار أرضية ... والصداقات التي لم ... بمهمتي هذه ... إنني من ناحية سيكولوجية لم أفارق الأرض حتى هذه اللحظة ... ومع ذلك فأنا هنا مبعوث ... لم يظهر بعد أنه يريدني .

وكان الطحلب يغطي كل خطوة ... طريقا ... وكأنني ... في ... فرحت أفكر فيه وأتفحصه ... وجلست ... الى ... الاستطلاع ... وأخذت بعض الطحلب بين يدي ... وكان الغريب فيه ... أزرق اللون والأخضر في نفس الوقت ... فإذا ركزت على الأخضر ... أن الأزرق ... من طرف خفي في ... وإن كنت تتأمل الأزرق ... فإن الأخضر ... كان ... وفي ضوء الشمسين بدا الطحلب وله بريق وخفيف كأجنحة حشرات صغيرة .

ويتكون هذا الطحلب من أوراق تغلف أوراقا أصغر ، تغلف هي بدورها أخرى أكثر دقة ... وكأنما هو منظار ... لا يمكن التحديد

ان ترى عينيه النهائية .. لدقتها ، وكان جميلا جدا .. فعجيب ان كان يغطي الكوكب كله ، تمنيت مشهدا وقفت .. وانا أعرف ان لي مطلقا يجب ان ابلغه ، ولكنني تمنيت لو عرفت اين هو .

وكان المنظر من المرتفع الذي يظهر التل الكبير الذي اقصده بوضوح وجلاء ، فامتلأت نفسي بالأمل لما رأيت . كان يبدو وكأنه مبنى او نوع من البناء ، وبه فتحات وكوى عديدة ، فملأني الامل فاندفعت مضاعفا جهدي لابلغه .. ولابد ان منظري وانا اخطو سريعا كان مما يبعث على الضحك .

وكان البناء كان مطلق السكون ، وهو من نفس الطحلب الذي يغطي التلال ، وان كان هذا اعمق قليلا ، واصلب مظهرا . وكانت الفتحات والكوى ذات احجام مختلفة ، بعضها بحجم مداخل مأوى الارانب ، والآخر اكبر من حجم الانسان . وكان التل كله حوالي مئة متر طولا ، وربما عشرين مترا في ارتفاعه ، وكان مهجورا .. وربما اسمل النسيان على اية التخيب من الابداع التكنولوجي العضوي الذي كان قد تحقق ، وظن املي الوحيد هو الا يكون الجنس الذي بنى كل ذلك قد اندثر .. والا اكون وحدي .

لم يتغير شيء وانا ادور حول التل .. وعندما ابصرت مركبتي تشع في البعد تحت الشمس الغريبة ، تبددت كل آمالي .

وبينما كنت اتدبر الصعود الى قمة هذا البناء لاحظت ان واحدة من تلك الفتحات قد اخذت تشع وتلمع ، ترددت نصف ثانية في الدخول ، وعندما وصلت الى قرار كنت قد دخلت فعلا . وكان الضوء رائعا ، ويشع من الطحلب نفسه ، ولا يختلف عن البريق المتعدد الالوان الذي ابصرته في التلال . واخذت التوغل في النفق بشعور جارف من الفرح بأن هذا الكوكب غير مهجور ، وانني سابلغ قلبه . وقادني النفق عبر عدد من المنعطفات ، ثم انفسح امامي بهو بحجم كابينة مركبتي . وكان كل جزء به مصنوع من مادة الطحلب الذي يجلل كل صفحة مرئية من هذا الكوكب .

هل وصلت ؟ لا ادري ، وكلا لا يوجد احد هناك ؟ وعندما كنت ابدأ البحث عن غرفات اخرى ، سمعت صوتا خافتا :

ـ مرحبا بك في إيتلو

ولكن لم يكن هناك احد . فظننت ان يكون عقلي قد ذهب . هل يمكن لقوة الايحاء الذاتي ان تحقق مثل هذا الخداع المؤسف للنفس ؟

قال علي ان ارد التحية .. ولكن مَن الولي

ـ هنتو ...

وجدتني اقول في استجابة كسيحة ، وسرني ان اسمع الصوت القديم يقول :

ـ حسبتك لن تجيء ، فقد انقطعت الاشارات عن الوصول الينا منذ اعوام عديدة .

قلت وانا احس بسخفي :

ـ إنني هنا .. ولكن .. اين انت ؟

خيم صمت ، ثم اتاني الصوت من جديد :

ـ لقد كنت معك منذ ان هبطت مركبتك ، مشيت فوقي .. ولطفتني .. وها انت ذا داخلي .. انا الطحلب .

ـ تقلد ؟

صحت في عدم تصديق موتم .. بالسيا بذلك كل تلك العثرات اللاتلة حتى قضيت اعواما في الضرب عليها لهذه المناسبة .

ـ كيف يمكنك ان تخاطبني ؟ كيف نستطيع ان نقيم تفاهما بيننا ؟ كيف لنبات ان يكون عاقلا ؟

فقال الطحلب :

ـ غليزة في السنتك ، انني لا اتحدث اليك .. انني حساس للذبذبات الكهربية الموجودة بدماغك ، والتي تدعوها انت افكارا .. والتي استطيع ان اختار منها ، ثم اوجه استجابتي اليها . وبهذه الطريقة احضرتك الى هذا المكان .. والآن اليم معك هذا الاتصال .. ان اضطراب دماغك يجعل الاتصال معك يسيرا .

امسكت دماغي بيدي عندما سمعت هذا القول .. محاولا ان .. ان افعل ماذا ؟ احفظه ؟ وارتج علي .. لا يمكنني ان اقوم بغير نفسي .. وبمعنى الكلمة .. ان كانت الهلوسة قد استبدت مثل هذا وقلت :

ـ إنني اسف .. كان ما في الارض ان الارض ليس بها نبات عاقل

فاجابني الطحلب في نوع من الاحتقار ...

ـ ...

[illegible]

هذا والاضافة الى الفوائد العضوية ، ومثل ... [illegible] ... قد ومنشني قوى محدودة على الحركة .. كما ومنحني نظف التطور نظاما متحركا كهربائيا وديناميكيا .. مثل جهازك العصبي . ولكن عقلي كان يفضل توحيد نفسي كنبات متكامل من شواطئه بحر الى شواطئه بحر ، إنني احتل هذا الكوكب كله .

قلت :

ـ إذن ليس هناك احد سواك انت

قال لي :

ـ ليس هناك واحد او كثيرون .. لقد مررت بمرحلة من التطور عرفت فيها بداية تخصيص الوظائف مثل تلك التي كان يمكن ان تقود الى ما تسمونه انتم الحضارة . ولكنني لم اكن ارغب في ذلك ، ويسرني ان عقلك ينطوي على بقايا تجارب كثيرة غير سارة .. والتي هي نتاج لانقسام نوعكم على نفسه .

لقد كان هدفي على العكس من ذلك ان اوحد كل جزء مني ليخضع لغرضي وتوجيه مشترك ، وعندما تحققت الوحدة التي كنت اسعى لها عبر بلايين السنين ، اكتشفت ان الفناء قد اخذ يدب في .. ان المجهود الذي بذلته للتنسيق بين اجزاء نفسي كان اكبر من ان يحتمل .. وكان هدفي النهائي ان اقيم اتصالا مع نبات آخر عاقل ، وفي ذلك فشلت .

وقع بيننا صمت .. وبدا جليا ان مجال الاتصال بيننا ضيق جدا .. لقد كنت مثل ذرة من الغبار بالنسبة لهذا النبات .. إن جازت تسميته هكذا .. لم تكن ثمة امكانية لتبادل الثقافة او المعرفة بين الارض وايتلو .. فاي ثقافة يمكن ان تكون للنبات ؟

ـ هل تريد ان تتصل بالارض ؟ سألني الطحلب .

ـ نعم .. وبشدة .. ولكن كيف لك ان تقوم بذلك اذا لم يكن المجهود شاقا ؟

قال لي الطحلب :

ـ في قوتي كنت استطيع تنسيق كل سطح هذا الكوكب .. الذي هو انا نفسي .. وذلك كيما اثير انبعاث الضوء الاخضر الذي يمكنك ان تعتبره نوعا من اشعة الليزر الخضراء .. اما الآن فانني استطيع تنسيق نصفي فقط .. ذلك النصف المواجه لارضكم .. وسيستغرق اقامة الاتصال بعض الوقت .

جلست .. واخذت ابكي .. لقد نجحت بعلتي ولكنها لن تثمر شيئا .. وعجبت ان كان هناك نبات آخر يمكن ان يساعد هذا المخلوق القديم الضخم على البقاء حيا .. لو تراه قد اتصل بشيء مختلف تماما عنه وعني ؟ ماذا اقول للارض ان كانوا قد ظلوا يستمعون بانتظار اشارة مني تصلهم بعد خمس وعشرين سنة من هذه اللحظة ؟ وماذا يفيدون من عذابي في الفضاء ؟ ولكن .. ربما .. ربما استطعت ان احذر الناس من السفر في الفضاء .. إذ لا فائدة .. لا امل ..!



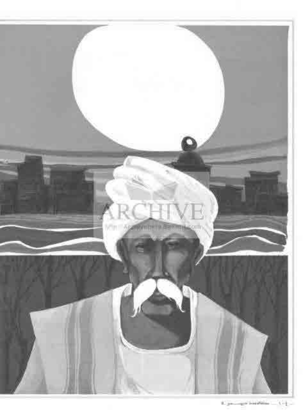
* * *

دخل لوك وهز بيرموند من كتفيه :

ـ دير .. ديرموند .. أانت على ما يرام ؟ لقد قضيت الليل كله هنا .. نائما .. هل كانت الرسالة معلقة الى تلك الحد ؟

ـ اووه .. بلى .. بلى .. الرسالة .. الرسالة .. هل .. الرسالة .

ترجمة : انور عثمان ابكر



بوابة حمد النيل

يحيى العوضي
رسوم : مكي ديساب

عند الفجر كان قد أكمل كل الترتيبات الضرورية لإعلان النبأ الهام ، فهو يعرف منذ ثلاث سنوات أن موعده صباح اليوم .. وكعادته كان مستيقظا منذ الهزيع الأول من الليل ، لأنه يصلي الصبح بوضوء العشاء ..

انعشته نسمات الصباح التي مازالت تتعطر بالندى الممزوج بحمرة الشفق .. أطربه زقاء الديوك في وداعها لفلق الصباح ، الذي بدا يمسك عاشقا ، يحث الخطى ليلحق بموكب الليل ويمسك بأطراف عباءته ، مفسحا الطريق لأشعة الشمس ، التي تتعمد كل صباح إطالة وقفتها عند الغيوم ، حتى لا تحرمه نشوة الفرح التي تعرفها جيدا ، عندما تلامس مشارف الأفق لتشهد ميلاد يوم جديد ...

كان يقف منتصب القامة متهلل الأسارير منشرح النفس ، واثقا بأنه سينجز اليوم مهمته ويزيل عنا كبيرا ، سيمكنه من التفرغ لمواصلة سياحته . جال ببصره في أرجاء المكان .. اطمأن إلى أنه أعد كل شيء بعناية وأن اللقاء سيتم وفقا للصورة التي رسمها جيدا في ذهنه ...

سيدهشون عند رؤيتهم الكوخ الصغير الذي شيد بعد منتصف الليل من سعف النخل وأعواد القصب عند طرف اللسان الرملي الممتد من داخل النهر ، والذي من العسير الوصول إليه ، فالمياه في ذلك المكان ضحلة لا تصل خاصرة صبي في العاشرة .. لكن المفاجأة التي ستروعهم ستكون في الوقت المناسب ، عندما يخرج السكين الحاد النصل من جيبه ... وتحسس براحة يده نصل السكين ، واطمأن بأن ضربة واحدة منه تكفي لتدفق شلالات من الدماء .. ووضع مسبحته (الالفية) المصنوعة من ثمار شجر الهجليج (اللالوب) حول عنقه .. كان يطل على القرية من الربوة العالية التي تفصل المنازل عن الأرض الزراعية الصغيرة عند شاطيء النهر ، وبأعلى صوته صاح .. وتدفقت الكلمات مدوية في وقار وجلال .. اكسبها سكون الصباح قوة اندفاع خارقة تجاوبت معها العصافير والدواب بقصمت والدهشة ... وسمعها كل رجل وامرأة وطفل .. جميعهم كانوا يعرفون صوته فانطلقوا في حماس يتسابقون لتلبية ندائه .. وتجمعوا حوله .. لاحظوا الكوخ عند طرف اللسان الرملي داخل النهر ، لكنهم لم يجرؤوا على سؤاله ، ولم يمهلهم ، قال بصوته القوي النبرات :

أيها الناس

اليوم موعدنا

لن يتكرر هذا اللقاء أبدا ...

الأول

.. لن يدعه

.. لا أظنه يرتكب جريمة قتل في وضح النهار !

اليوم سأقدم لكم ما يبدد خوف قلوبكم ...

ستجدون الغني ما تنشدونه راحة النفس !

أيها الناس ..





بوابة حمد النيل



من يرد منكم السير في طريقنا فليتقدم ... وتأكدوا أن الطريق لاتجاه واحد .. من أراد منكم الطريق فليتقدم .. هيا .. تقدموا ..!!

سرى حديثه بينهم مريحا مشجعا .. إنهم يصدقونه فقد وعدهم دائما بأن أقواله أفعال .. وتعالت الصيحات :

- نريد الطريق ..
- نريد الطريق ..
- إننا مستعدون
- نحن رهن إشارتك ..

أشار إليهم بالهدوء .. أرهفوا السمع .. قال لهم :

- هناك شرط واحد ..

من أراد منكم الطريق عليه الوفاء بالشرط ، ولن نسمح له بالتراجع ... في لهفة صاح الحاضرون ..

- نقبل كل شروطك ..
- أمرك مطاع .
- لن نتراجع ..
- كلنا مستعدون ..

وعندما أخرج السكين من جيبه ولمع نصله الحاد مع انعكاسات الصباح ، صمت الجمع وساد سكون شامل .. العيون تتطلع في دهشة .. وقال لهم :

- من أراد الطريق فليتقدم .. شرطنا الوحيد هو الذبح ! ذبح من يوافق للسير في طريقنا .. وهو لاتجاه واحد ! هيا تقدموا .. الذي يقبل الشرط عليه الدخول في هذا الكوخ ، وأشار إليه بأصبعه ... تقدموا .. صمت .. صمت ... صمت ... وفجأة قفز شاب في الخامسة والعشرين من عمره وانفلت من وسط الجمع وبأقصى سرعته اندفع داخل الكوخ .. ودخل الرجل في أعقابه والسكين يلمع في يده ..

- لقد جن الرجل (هتف أحدهم)
- لا حول ولا قوة إلا بالله .. لقد كان أعقلنا ..
- هل تعرفون من هو الشاب ؟
- نعم إنه عريس لم يكمل أسبوعه

وأطل الرجل من الكوخ وحده وسكينته تقطر دما ، ولوح بها في وجوههم ، بينما نزيف من الدماء يسيل خارج الكوخ مختلطا بمياه النهر ...

الذعر يسود المكان .. أغمي على عدد من النسوة ... صراخ ... عويل ... هيستريا من البكاء والنحيب .. ويتقدم الرجل ليقف في مكانه ويصيح مجددا :

- أيها الناس .. من أراد منكم الطريق فليتقدم .. الطريق لاتجاه واحد ..

ويتعالى صياح الفضل :

- إنه مجنون .
- اسكتوه لن تذهب دماء العريس هدر
- احجروا عليه

ويفاجئهم شيخ وقور تجاوز الستين من عمره يعرفونه جميعا .. يتجه نحو الكوخ ، بينما تحاول مجموعة من الواقفين منعه .. يقاومهم زاجرا :

- مكانكم لا يلمسني أحد .. أنا أدرى بمصلحتي ، إذا كان العريس الذي لم يتجاوز الثلاثين قد ذبح ، فأنا في الستين .. واندفع داخل الكوخ وخلفه الرجل شاهرا سكينه .

انحبست الأنفاس واختلفت الوجوه بمزيج غريب من الغضب والخوف والألم والضجر .. ثم أطل الرجل والدماء تقطر من سكينه ويديه ، فانحنى يغتسل بينما تجمعت بركة قانية اللون حول الكوخ ..

لم يتكلم أحد .. كانوا ينظرون إليه في ذهول وهو يتقدم نحوهم بخطواته الثابتة وسكينه الطويل النصل .. وكرر النداء !!

- أيها الناس .. من أراد منكم الطريق فليتقدم .. الطريق لاتجاه واحد .. !

صمت ... صمت ... صمت الجمع مطرق ينظر تحت أقدامه .. امتد الصمت .. بدأت نظراتهم تتجه نحو واحد منهم يقف في الصف الأمامي ، فهو من وجهاء القوم - معروف بقوته وبأسه .. أخرجته العيون المتسائلة المستنجدة ... تفحصه .. ضغط على أسنانه في غيظ شديد وتقدم في خطوات وئيدة وهو يردد في صوت خافت ... سأذبحه قبل أن يذل مني .... ودخل الكوخ والرجل من خلفه شاهرا سكينه ..

مضت الدقائق متثاقلة .. لم يظهر الرجل على باب الكوخ .. طال الانتظار .. لا صوت .. لا حركة من ناحية الكوخ .. قال أحدهم :

- الآن نهاية الرجل مؤكدة .
- لن نأسف عليه .
- لا أصدق ما حدث ...
- امتحان رهيب .

وخرست الأصوات .. جحظت العيون .. كان الرجل يقف أمام باب الكوخ ممسكا بسكينه العتيد يقطر بدماء طازجة .. وبهدوء خاطبهم ..

- يا قوم .. طريقنا صعب ..

واحمد الله فقد خرج من بين صفوفكم ثلاثة رجال يستطيعون حمل الأمانة ، إنهم مؤهلون للسير بكم في الطريق ، سأغادر دياركم اليوم بعد أن أعانني الله على إكمال مهمتي .. وخرج من داخل الكوخ العريس الشاب ، والشيخ الذي تجاوز الستين ووجيه القوم .. كل واحد منهم ممسك بجلد «الذبيحة» التي فدى بها الرجل وأوصاهم بأن يجعلوا منها مصلى لهم .. وعندئذ تدافع الناس بالمناكب يهتفون .. : نريد الطريق .. نريد الطريق .. وكان الرجل قد اختفى بينهم

يحيى العوض

رأيت

المهانة في الأرض المحتلة

أثناء اقامتي بفلسطين المحتلة في الاجازة الصيفية كنت اركب السيارة في طريقي الى المنزل حوالي التاسعة ليلا رأيت ثلاثة فتيان تتراوح اعمارهم ما بين الثانية عشرة والسابعة عشرة وكانوا في حالة يرثى لها ، تغطي اجسامهم الدماء ويتجمع حولهم بعض المارة وبينهم الام تبكي وتحاول انقاذ اولادها . فسألت عما حدث لهم ، فقال لي احد المارة ان بيتهم يبعد عن هذا المكان حوالي عشرين مترا وان الاولاد خرجوا في ملابس نومهم الى البقالة ليشتروا بعض السندويتشات للعشاء . وبينما هم في طريقهم أوقفتهم دورية بها بعض الجنود الاسرائيليين وسألوا اكبرهم عن هويته فأخبرهم انها في المنزل وانه لم يحضرها لانه يرتدي ملابس النوم واشار لهم الى المنزل القريب منهم ليعودوا معه الى هناك ويريهم اياها ولكنهم لم يستمعوا الى كلامه وضربوه هو واخوته حتى اسالوا منهم الدماء وتركوهم على ما رأيتهم عليه . وعدت الى منزلي لأخبر أهلي بما رأيت من أساليب قذرة يمارسها هؤلاء الذين اغتصبوا بلادنا

مها ناجح البسطامي
الدوحة ـ قطر

سمعت

سيمفونية نابليون

ان الموسيقار العالمي بيتهوفن كان يقدر النبوغ حق قدره .

وسمع بنابليون وبطولاته الواحدة بعد الاخرى ، فأعجب به ايما اعجاب ، فقد كان يراه محرر شعب مهضوم الحقوق ، ومنقذه من الويلات التي حاقت به ، فوضع بيتهوفن سيمفونيته الثالثة «الرجل العظيم» واهداها الى نابليون .

وما يوم نصب فيه نابليون نفسه امبراطورا على فرنسا ، وزاد ذلك تخييب عقيدة بيتهوفن في ذلك الرجل ، فقد أدرك ان هذا الرجل الذي اعجب به كل الاعجاب لمجده قبل ان يسعى لمجد بلاده ، فبادر الى تمزيق الاهداء واكتفى بيتهوفن بعنوان «ذكرى رجل عظيم» .

سعيد عبده
المغرب

• •

زيادة المحصولات الزراعية

في جامعة كاليفورنيا في امريكا انهى فريق من العلماء دراسة تؤكد نتائجها ان سلالة معينة من البكتيريا تؤدي الى تحسين بعض المحصولات الزراعية اذا ما اضيفت الى التربة في الحقل .

وتؤكد نتائج هذه الدراسة ما اعلن عنه العلماء في روسيا قبل فترة من الزمن من انه باضافة البكتيريا التي تعيش عادة في جذور النباتات الى التربة استطاعوا ان يزيدوا من كمية المحصولات الزراعية بنسبة تتراوح بين ١٠ ـ ١٣٪ .

أما البكتيريا التي وجد العلماء الامريكيون انها تحسن نمو النبات فهي من فصيلة تعرف علميا باسم «بي . جي . بي . آر» وحصل عليها العلماء بعدما عزلوا بضع مئات من سلالات البكتيريا التي تعيش في جذور النبات حتى تمكنوا من اختيار افضلها من حيث قدرتها على اعاقة نمو الفطريات والبكتيريا التي تسبب الأمراض النباتية .

وجرب علماء جامعة كاليفورنيا سلالة البكتيريا التي اختاروها في زراعة البطاطس وشمندر السكر والفجل وكانت النتيجة ان المحصولات الزراعية في هذه التجربة قد ارتفعت بنسبة تصل الى ثلاثين بالمائة .

طارق ابراهيم عبدالرحمن
الخرطوم

قرأت

غرائب الاشجار

في مختلف انحاء العالم توجد اشجار كبيرة يمتد عمرها الى بضع آلاف من السنين .

ففي الهند تنمو اشجار تسمى «بانيان» مشهورة بحجمها الكبير وعمرها المديد . توجد بينها شجرة يقدر عمرها بثلاث آلاف سنة ، واذا قدر لك ان تراها لأصابتك دهشة عظيمة وظننت انها ليست شجرة واحدة ، إذ انها تشتمل على مايقرب من ثلاثة آلاف جذع سميك وثلاثة آلاف جذع رفيع ، ويستطيع اكثر من سبعة آلاف شخص ان يتظللوا تحتها .

وفي اذربيجان توجد شجرة من فصيلة «الدلب» يبلغ محيطها ١٢ مترا تحتوي على فجوة في جذعها ، يمكن ان تستوعب عشرين شخصا ، وقد استخدم فراغ هذه الفجوة كصالة للشاي ذات منضدتين وعشرة مقاعد .

وفي لبنان بالقرب من بلدة «بشري» تقع الغابة «المقدسة» ، غابة ارز الرب ، وتتألف هذه الغابة من ٤٠٠ شجرة تقريبا من اشجار الارز ، يبلغ قطر اكبرها ١٤ مترا ، وهذه الغابة هي من بقايا غابات الارز الكثيفة التي كانت تغطي لبنان كله في قديم الزمان ، ومن بين هذه الاشجار توجد ١٢ شجرة يزيد عمرها على ١٥٠٠ سنة .

والمعروف عن شجرة الارز ان خشبها لايتعرض للفساد والعفن .

فوزي المنصوري
تونس



عمّان

نبيل خالد الآغا

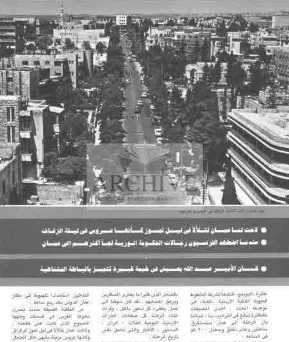
على البعد احببتها ، وعلى القرب عشقتها ، قضيت بها زمنا رماديا يوم تدثرت بعباءة النكسة ، وقضيت بها زمنا أقحوانيا ومن تصحو عنها تلك العباءة بهمة لا تعرف الكلل ، وبعزيمة تنكر كل خنوع واستسلام .

حنت على نزلائها ، فاحتضنتهم في مهجتها وصهرتهم في قلبها الكبير ، لم تفرق يوما بين شركسي مسلم أو عربي مؤمن ، أغدقت عليهم الحب فاخلصوا لها العطاء ، استمدوا من جبالها الشم الانفة والشمم والكبرياء ، بعناقيد العرق المنصب من جباههم نحتوا الصخور وحالوها الى مبان وفلل وعمارات ، بسواعدهم المفتولة ، وبإصرارهم الأكيد حفروا بطون الجبال وسفوح الوديان فأحالوها الى شوارع منظمة ، وحدائق منسقة لا تملك وأنت تتجول بين أرجائها إلا أن تبدي دهشتك وتقديرك لهذا الجهد الكبير الذي شاركت فيه الدولة بامكاناتها المحدودة ، والمواطن بطاقاته غير المحدودة ولسان حالك يقول : كيف حدث هذا ؟

.. إنها مدينة الأسواق ، لا تكاد تغادرها حتى تحن اليها ، وإذا حننت اليها فلن يطفىء جذوة حنينك هذا سوى شيء واحد : أن تتوجه اليها ملا تريد لأن الشوق يزيد من إصرارك للرحيل اليها !!

• • •

من مطار الدوحة الدولي انطلقت بنا



● لاحت لنا عمان تتلألأ في ليل تموز كأنها عروس في ليلة الزفاف

● عندما اضطهد الفرنسيون رجالات الحكومة السورية لجأ أكثرهم الى عمان

● كان الأمير عبد الله يعيش في خيمة كبيرة تتميز بالبساطة المتناهية

طائرة «البوينج» التابعة لشركة الخطوط الجوية الملكية الأردنية «عالية» في موعدها المحدد، أحدى المضيفات بالطائرة تبلغ في الترحيب بنا، أنبأتنا بأن الرحلة الى عمان ستستغرق ساعتين وعشر دقائق وبمعدل ٩٠٠ كم في الساعة.

اخذت الطائرة مسارها الطبيعي في الأجواء العربية السعودية على ارتفاع خمسة وثلاثين الف قدم، ولم نشعر بالضجر الذي كثيرا ما يعتري المسافرين ويرهق اعصابهم. لقد كان شوقنا الى عمان يطغى على كل شعور بالملل، وقرأت اثناء الرحلة كل صفحات الجرائد الأردنية اليومية الثلاث: الرأي، الدستور، الأخبار والتي تحمل نفس تاريخ الرحلة.

وقبيل انتهاء الفترة الزمنية المحددة للوصول اعلن احد المضيفين بانه يتوجب علينا ربط الاحزمة والامتناع عن التدخين استعدادا للهبوط في مطار عمان الدولي بعد ربع ساعة.

من النافذة الضيقة مددت بصري نحوها الفرس في قسمات وجهها الصبوح الذي غابت عني طلعته. ولاحت عمان تتلألأ في ليل تموز الرقراق وكأنها عروس مزينة بأبهى حلل الجمال في ليلة الزفاف، وعناقيد النور الماسي تطوق جيدها الفاتن فيزيدها سحرا وروعة وجاذبية ...

رجال البادية الاردنية



منظر عام للجامعة الاردنية



وبدات الطائرة في الهبوط ... والقلوب معها تقبل أرض الاشواق والبطولات ... لقد كان مطار عمان يموج بحركة طيران دائبة نشطة لكنها عادية في مثل هذا الوقت من كل عام حيث موعد عودة المغتربين الاردنيين القادمين من كل الجهات الاصلية الاربع .

وقبل ان نتخطى اعتاب المدينة البيضاء تعالوا بنا نقرأ بعض الصفحات من حياة عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية .

الجذور

اطلق عليها التاريخ اكثر من خمسة اسماء اقتبست اسمها الاول من مؤسسها «عمان ابن لوط» ، ثم سميت «عمون ، ربة عمون ، ربة بني عمون ، فيلادلفيا ، عمان البلقاء» وبعد مسيرة طويلة في التاريخ عادت الى اسمها الاول «عمان» بفتح وتشديد .

وقد اتخذها العمونيون العرب عاصمة لمملكتهم الزاهرة واسموها «ربة عمون» اي عاصمة عمون ، وفي القرن الثالث قبل الميلاد اطلق عليها الرومان اسم «فيلادلفيا» بمعنى «المحبة الاخوية» .

ولما ازداد انتشار المسيحية في القرن الثالث الميلادي صارت عمان «ابرشية» للامبراطورية البيزنطية .

وخلال مسيرتها التاريخية الطويلة خضعت لعدد من الشعوب كالاشوريين والكلدانيين والفرس والاغريق واليونان والرومان . وقد خلفوا وراءهم الكثير من الاثار التي تدل على ازدهار المنطقة في العهود المختلفة ، ومن ابرز هذه الاثار «المدرج الروماني الكبير» الذي يتسع لستة الاف متفرج ، وقد بنيت مقاعده في جوف الجبل ، لكن المسرح اختفى مع مرور الزمن ولم تبق إلا اصوله ، وبعض الاعمدة التي كانت مقامة ، ومازالت الساحة حتى يومنا هذا تشهد الكثير من الحفلات والمناسبات المختلفة .

ومن الاثار البارزة ايضا «قلعة عمان» وتقع على جبل القلعة الذي يطل على المدينة من الشمال والشرق وقد انشيء عليه فيما بعد «متحف الاثار الاردني» .

وتحيط الاودية بجبل القلعة من كافة جوانبه عدا الجانب الذي حفر فيه خندق كبير ليقوم بعزل القلعة اضافة الى سور ضخم اقيم حول القلعة المحصنة بالابراج الضخمة ، ويوجد في القلعة اثار معبد «زيوس» والذي يعتقد بان بناءه يعود الى القرن الثالث الميلادي ، اما بقية الاثار الموجودة على جبل القلعة فتعود بتاريخها الى العهود الرومانية والبيزنطية والعربية وتشتمل على معبد هرقل وبقايا «القصر» . اما ما تبقى من اثار في الجانب الشرقي فهو يشكل جزءا من العصر الحديدي .

ويعتقد خبراء «دائرة الاثار الاردنية» بوجود اثار مهمة اخرى في القلعة ، ولذلك فان الدائرة تبذل جهودا واضحة في الحفر والبحث والترميم .

عمان في التاريخ العربي الاسلامي

كانت عمان معروفة لدى العرب قبيل الفتوح الاسلامية ، وقد ورد اسمها في الشعر العربي ، وورد في حديث نبوي شريف اورده ابن عساكر عن مكحول ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال : «لتمخرن الروم الشام اربعين صباحا ، لا يمتنع منها إلا دمشق وعمان» .

وفي عهد الفتوحات الاسلامية في صدر الاسلام ... وبالتحديد في الربع الاول من القرن السابع للميلاد استقبلت عمان سرايا المسلمين بقيادة يزيد بن ابي سفيان في خلافة ابي بكر الصديق ودخلت في حوزتهم ضمن بلاد سوريا الجغرافية التي كانت حدودها تمتد من البحر الابيض المتوسط غربا الى نهر الفرات شرقا ، ومن الحدود الرومية شمالا الى صحراء سيناء جنوبا .

ولقد قسم بر الشام في ذلك الوقت الى خمس مناطق ادارية ، كل منطقة تدعى جند ، بمعنى محافظة ، وهي : جند الأردن ، جند حمص ، جند دمشق ، جند قنسرين . وكانت عمان ضمن جند فلسطين الممتدة من رفح الى اللجون ، ومن يافا الى عمان ، وعاصمتها مدينة الرملة ، اما جند الاردن فكانت عاصمتها مدينة طبرية ، ومن ضمن مدنها صور وبيسان وعكا ودرعا واربد .

وضمن من دخلها من قادة الإسلام العظام في ذلك الحين خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، وابو عبيدة بن الجراح وهو اول عامل عينته القيادة الإسلامية على سوريا بعد دخولها الاسلام ، ثم توالى على زيارتها كثير من ائمة المسلمين ووجهائهم سواء للاقامة فيها او للعبور بها في طريقهم الى الشام والعراق .

ولم يكن ذلك التحول الكبير في مكانة عمان إلا بسبب فتحها ، حيث اصبحت ملتقى لمواكب الحجيج وقوافل التجارة العربية ومنطلقا للفتوحات الإسلامية التي قهرت الروم وحطمت غرورهم .

نزل عمان الوليد بن عبد الملك وسليمان بن الوليد وكثير من امراء بني امية وشادوا بها الصروح والقصور البلاخاز مثل قصر جالوت وقصر الفتى وقصر ... وقصر القيطان .

وفي زمن خلافة عبد الملك بن مروان صارت تضرب في عمان النقود الاسلامية المختلفة ، كما شهدت الكثير من الانشطة الإسلامية .

بيد ان ازدهار عمان الذي عرفته منذ اقدم العصور اصابه بعض التخلف بعد قيام الدولة العباسية ، فقد عرفت عمان في عزلتها ، وتخطفها الاحداث ، وقاست بسبب الثورات المتعددة التي قام بها مؤيدو الامويين كما يقول استاذنا الدكتور فواز احمد طوقان .

ويعتبر جامع عمان الكبير، من اهم الآثار الاسلامية التي شيدت في العصر العباسي . وقد وصفه المقدسي بانه جامع ظريف بطرف السوق ، مفسفس الصحن شبه مكة ، كما وصف المدينة بقوله : «عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ، ورستاقها البلقاء ، معدن الحبوب والاغنام ، بها عدة انهار وارحية يديرها الماء ، رخيصة الاسعار ، كثيرة الفواكه ، غير ان الطرق اليها صعبة» .

والى عمان ينتسب الفقيه اسلم بن محمد الكناني العماني المتوفى عام ٣٣٥ هـ ، والمحدث الفقيه ابو الفتح بن مسرور العماني .

واضافة الى المقدسي فقد ذكر عمان كثير من المؤرخين في طليعتهم ابن الاثير وياقوت الحموي ، وابن عساكر ، وابي الفداء . كما زارها كثير من الرحالة الاجانب من ابرزهم الجوال السويسري «بير كهارت» .

● ● ●

لقد ادرك البطل المسلم صلاح الدين الايوبي قيمة عمان السوقية (الاستراتيجية) ، فجدد تحصينها وتسليحها ، واتخذها مركزا ضمن ثلاثة مراكز لتجمع جيوشه التي انطلقت الى فلسطين ، وخاضت ببطولة متناهية معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧ ميلادية ، حيث حلت الهزيمة بالصليبيين كما هو معروف .

ثم دخلت عمان ضمن الاطار العثماني مثل بقية المدائن العربية ، فلم يعد لها كبير شان ولم تزد عن كونها مجرد محطة لمواكب الحجيج ، وقوافل التجار وافواج السياح الذاهبين الى الثراء والآيبين منها .

الشراكسة في عمان

في ايام روسيا القيصرية تعرض الشراكسة في القفقاس الى اضطهاد ديني وعنصري بشع لم يتحملوا قسوته ، فهاجروا بعقيدتهم الاسلامية لاجئين في حمى الامبراطورية ، فاصدر السلطان عبد الحميد اوامره بتوزيعهم على المناطق التي يتوفر فيها الماء . وفي اوائل عام ١٨٨٠ ميلادية وصلت اول مجموعة منهم ونزلت في "خرائب عمان" ووادي السير .

وفي مطلع هذا القرن وفدت جماعات اخرى فانشات قرية ناعور ، وهناك مجموعات اخرى استوطنت الرصيفة وجرش وصويلح .

ومن ضمن الأسر الاسلامية العريقة التي هاجرت من ققاسيا الى شرقي الاردن قبيلة «الشيشان» التي وصلت عام ١٩٠٦ واستقر افرادها في الزرقاء وصويلح والسخنة والرصيفة .

منظر عام لاحد الاحياء الشعبية



فصل دراسي في أحد مخيمات اللاجئين



جانب من معسكر فلسطيني

ولما استتب للشراكسة الامن ، وطاب لهم المقام في شرقي الأردن تشجع كثيرون من أهل الطموح في فلسطين وسوريا والعراق والحجاز فانتقلوا الى عمان واستوطنوا فيها .

يقول عبد الكريم غرايبه واصفا عمان في القرن التاسع عشر : « .. لم تكن عمان مسكونة في ذلك الوقت ، بل بقيت مجرد ماء يرده العربان الى أن استقر فيها الشراكسة بعد عام ١٨٧٨ ميلادية وعمروها ، كما عمروا جرش والزرقاء ووادي السير .

وفي عام ١٩١٠ ميلادية وصفتها السيدة «فرنسيس املي نيوتن» في كتابها «خمسون عاما في فلسطين» فقالت «وما كانت عمان ان جئتها الا خربة شرقية قذرة ذات شارع واحد بمخازنه وحوانيته ، ترى فيه الشراكسة بملابسهم وشدة المراس ، وكنت تخترقه الى هذه البقعة لمعمورها ، آثارا منسية ... لسلطان عبد الحميد ... ومع ذلك فإن فيها اثر بيت الندو الأول ... الخضر .

وفي عام ١٩٢١ زارها خير الدين الزركلي فذكرها بقوله : «عمان عبارة عن قرية قليلة السكان ، ضئيلة المباني ، مظلمة السبل لا يصل بينها وبين تاريخ مجدها إلا ما شخص من آثارها ، ولا يدل على أماكن الحياة فيها غير توسطها بين قبائل بني صخر وبني حسن وعباد والعدوان ، يردون عليها بين الفترة والفترة فيبيعون فيها بعض ما تنتجه ماشيتهم ، ويبتاعون منها ما يكتسون ولولا ذلك لانفرد بسكناها جماعات من الشراكسة نزحوا اليها .

عمان .. دار الهيماء

قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ببضعة أعوام اكتسبت عمان بعدا جديدا في موقعها حيث بدأ العمل بمد خط السكة الحديد بين دمشق والمدينة المنورة ، وتم انشاء الخط بين دمشق وعمان ثم وصل الى معان .. وأخيرا وصل الخط الى المدينة المنورة قاطعا نحو ١٣٠٠ كم .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ اتخذ الاتراك من عمان مقرا



فتاة أجنبية في عمان ترسم لوحة لطفل المدن



لوحة حسبات الخزف

لتجمع قوافلها العسكرية بسبب وقوعها على خط السكة الحديد. وصارت مركزا لـ «ناحية» يعرف حاكمها باسم مدير الناحية تابعة لقضاء السلط.

وفي حزيران عام ١٩١٦ قاد الشريف حسين بن علي ثورة العرب الكبرى ضد الأتراك. ونتيجة لتعاون الجيش البريطاني ـ بقيادة الجنرال اللنبي ـ مع جيش الثورة العربية ـ بقيادة الأمير فيصل ـ تمت هزيمة الأتراك وانتهى التسلط العثماني على الديار العربية الذي استمر أربعة قرون كاملة (١٥١٧ ـ ١٩١٨ م).

وأثناء الحكم الفيصلي غدت عمان مركزا للواء العسكري المرابط في الأردن. وعندما اعتدى الاستعمار الفرنسي على الحكومة السورية المستقلة، واضطهد رجالاتها ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤ لجأ الكثيرون منهم الى عمان فوجدوا فيها دار هناء وسلام فأقاموا فيها وعمل الكثيرون منهم في التجارة وبدأت عمان في الانتعاش في كثير من أوجه الحياة بها.

غير أن الخطوة الحاسمة في تاريخ عمان هي وصول الشريف عبد الله بن الحسين «الملك عبد الله فيما بعد» اليها قادما من مكة المكرمة في الثاني من مارس عام ١٩٢١، حيث بايعه أهلها، وأسس إمارة شرقي الأردن.

ولم تلبث بريطانيا ـ الدولة المنتدبة ـ أن اعترفت عام ١٩٢٣ باستقلال الإمارة الأردنية مع استثنائها من أحكام وعد بلفور. وبقيت الإمارة تحت الانتداب حتى انتهت الحرب العالمية الثانية، فنالت استقلالها عام ١٩٤٦ وأصبحت تعرف باسم المملكة الأردنية الهاشمية، ونودي بالملك عبد الله ملكا دستوريا لها.

• • •

بعد تشكيل أول حكومة في تاريخ الأردن قام الرحالة المسلم «محمد أسد» بزيارة عمان، فقال عنها: «تعرفت في القدس الى الأمير عبد الله أمير شرقي الأردن الذي دعاني لان أزور بلاده، وهناك رأيت لأول مرة فلاة بدوية حقيقية كانت عمان المبنية على أطلال مدينة قديمة في ذلك الوقت تشكل مجموعة لا تتجاوز عدد سكانها بضعة آلاف نسمة، كانت شوارعها مليئة بالبدو، وإذا لم يكن بالمدينة أبنية مناسبة فقد كان الأمير عبد الله يعيش في تلك الأيام في مخيم على رابية تشرف على عمان (ماركا حاليا). وكانت خيمته أكبر نوعا من سائر الخيام ومؤلفة من عدة غرف تفصل بينها قواطع من القماش وتتميز بالبساطة المتناهية».

أما المؤرخ البريطاني «لانكستر هاردنج» فقال عنها «عندما زرت عمان للمرة الأولى عام ١٩٣٢ لم تكن أكثر من قرية كبيرة لأن السلط كانت أكبر بلدة في شرقي الأردن خلال العهد التركي، ولم تكن عمان سوى قرية صغيرة أخرى من قرى الشركس، وفي إبان الحرب العالمية الثانية جلبت الحرب رخاء عظيما للبلدة وبدأت مناطق السكن تنتشر وتتسع فوق التلال، وعندما أصبحت الحرب على نهايتها أصبح اتساع العمران سريعا وملحوظا».

التطور الحقيقي

أما التطور الحقيقي للعاصمة الأردنية فقد تم على مرحلتين:

الأولى عام ١٩٤٨ وهو عام النكبة



عازف الربابة



في الطريق الى الغني

الفلسطينية حين هاجر اليها عدد كبير من ابناء فلسطين حيث تيسر لهم العيش الكريم ، وعملوا باموالهم وعلومهم وخبراتهم على دفعها لتحتل محلها اللائق بين زميلاتها عواصم الدول العربية . ومما ساعد على ازدهارها كذلك اعلان وحدة الضفتين الغربية والشرقية (١١ ـ ٤ ـ ١٩٥٠) ، وهو الأمر الذي ضاعف الثقة في المستقبل وادى الى تدفق رؤوس الاموال عليها باعتبارها العاصمة ومركز المملكة التجاري والصناعي.

الثانية عام ١٩٦٧ وهو عام نكسة حزيران حيث احتلت اسرائيل على الضفة الغربية وقطاع غزة مما اضطر الاف السكان العرب للنزوح الى الضفة الشرقية حيث تدفقت رؤوس الأموال ونشطت حركة البناء والعمران . فزحف الاعمار على الجبال والمرتفعات ومناطق زراعية واسعة ، وهاتان المرحلتان لهما اكبر الأثر كذلك في زيادة عدد السكان . وتدلنا الاحصائيات بان عدد سكان عمان في عام ١٩٢٢ لم يتجاوز الالفي نسمة ، وصل في عام ١٩٥٠ الى مائة الف نسمة وعددهم اليوم يربو على ٨٠٠ الف نسمة

وبسبب احداث لبنان عام ١٩٧٥ انتقل الى عمان كثير من التجار والموسرين فنشطت الحركة التجارية والعمرانية ، إضافة الى ان الاستقرار السياسي والاقتصادي في الاردن شجع الخلفية العظمى من المغتربين الأردنيين على استثمار اموالهم داخل الأردن .

وادى التنافس في هندسة البناء الى ظهور نهضة عمرانية ذات ذوق وجمال تتمثل بصورة واضحة في الفلل الرائعةالبديعة المنتشرة في جميع الأحياء الراقية بالعاصمة . وقد ادى تدفق الرساميل الى ارتفاع هائل في مستوى المعيشة تمثل في غلاء فاحش في تكاليف الحياة المختلفة ، الامر الذي وضع الأردن ضمن اكثر دول منطقة الشرق الأوسط ارتفاعا في الأسعار .

ورافق التقدم العمراني نمو مطرد في ميدان الصناعة التي من اهمها : صناعة الرخام والمرمر ، والسجاير ، والبطاريات



الجامع الحسيني الكبير في قلب مدينة عمان .

عمان ـ المدينة الحديثة والمدرج الروماني ـ

جانب من المدينة الرياضية

والبسط ، والأكسية ، والألمنيوم ، والشيكولاته ، ومعلبات الخضار والفواكه ، والأدوات المنزلية والبلاستيكية ، والورقية ، والزجاج الخ .

إن الصناعة الأردنية صناعة جيدة ومتقدمة الى حد ما ، غير انها تعاني من صغر السوق المحلي ومن صعوبة اختراق الأسواق الأخرى لما يتطلبه ذلك من قدرة تنافسية عالية .

مخيمات اللاجئين

تعاونت الحكومة الأردنية مع وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم وتمت اقامة عدد من المخيمات لسكن اللاجئين التي اخذت تتدفق على عمان عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . واهم هذه المخيمات واكبرها حجما : الوحدات ، الحسين ، البقعة ، ماركا ، ويزيد عدد سكانها عن ثلاثمائة الف نسمة ، وتتوفر فيها الحوانيت والمدارس والنوادي ، ويشارك جميع سكانها في الحياة الاقتصادية الأردنية كمواطنين عاديين ويحملون الجنسية الأردنية ويتمتعون بكافة حقوق المواطنية الأردنية وتبعاتها ، وهم في هذه النقطة بالذات يتميزون عن بقية اخوانهم من الفلسطينيين الذين نزحوا الى اقطار عربية اخرى حيث يحملون وثيقة سفر اللاجئين الفلسطينيين . ويمنح الدستور الأردني لكل الأردنيين الذين هم من اصل فلسطيني حرية الانتخاب والترشيح وشغل اعلا المناصب في الدولة ، وحق التملك والعمل ، وهذه ميزات خاصة لا تتوفر في دستور اية دولة عربية اخرى سوى الأردن .

جغرافية عمان

تقع عمان وسط المملكة تقريبا جنوبي دمشق وشرقي القدس ، ترتفع بمقدار ٧٩٠ مترا عن سطح البحر ، تبعد عن العاصمة السورية مسافة ١٧٠ كم ، وعن الحدود العراقية ٣٤٣ كم ، وعن البحر الميت ٤٨ كم ، وعن البحر الأحمر ٣٣٤ كم وعن بيروت ٢٢٣ كم ، وعن القدس ١١٧ كم ، وعن الدوحة ١٨٦٥ كم .



● واجهة كلية التربية بالجامعة الأردنية

وهي مبنية على سلسلة من الجبال الشهيرة ومن أهمها : جبل الحسين واسمه التاريخي جبل المقصور ، جبل عمان واسمه التاريخي جبل الشويات ، جبل اللويبدة وهو منسوب الى عشيرة بدوية تسمى اللويبدة ، جبل الاشرفية نسبة لشروق الشمس ، جبل الأشرفية جبل النادي ويسمى جبل طريحة الذي اخترقته سكة الحديد ، جبل الجوفة وهو محفوف بمحاجره ، جبل القصور ، جبل الهاشمي واسمه التاريخي جبل خليفة ، جبل النصر واسمه القديم وادي الرمم ، جبل النظيف نسبة الى المهندس المقدسي نظيف الخالدي الذي كان مساعدا للمهندس المستر مايسنر الالماني الذي نفذ مشروع سكة حديد الحجاز ، ربوة ماركا .. وهي طريق قديم عبده الرومان من العقبة الى الرقة .. وهي اليوم تمثل قلب عمان الصناعي .

الجامعة الأردنية

تقع الى الشمال الغربي من عمان وسط غابة كثيفة من الأشجار تضفي عليها الوقار والهدوء والجمال ، وهي قريبة من عمان قربا غير متصل ، وبعيدة عنها بعدا غير منفصل .. وهي مؤسسة علمية وطنية لها استقلالها الذاتي الذي نص عليه القانون ، وهي جامعة الدولة في نفس الوقت ، تخدم المجتمع الأردني وابناء الأمة العربية حيثما كان ذلك ممكنا .

وقد تأسست الجامعة عام ١٩٦٢ ، وتضم اليوم تجمعين رئيسيين :

أ) العلوم الانسانية وتشمل كليات : الآداب ، الاقتصاد ، التجارة ، الشريعة ، التربية ، القانون ، والفنون الجميلة والحقوق .

ب) العلوم التطبيقية وتشمل كليات : العلوم ، الطب ، التمريض ، الزراعة ، الهندسة .

وهناك محور اجتماعي يشكل نقطة الاتصال بين الجامعة والمجتمع ويشمل : المستشفى الجامعي الذي يعد من أحدث المستشفيات في المنطقة ، والملاعب الرياضية والاستاد ، ومبنى النشاط الجامعي والمكتبة والادارة والمسجد ، وفي الخلف تتركز منازل الطلبة والاسكان الجامعي .

كان عدد الطلبة الذين التحقوا في العام الأول من عمر الجامعة ١٦٧ طالبا وطالبة وفي هذا العام بلغ عددهم ١٠٥٠٠ (عشرة الاف وخمسمائة) طالب وطالبة ! هذا وتمنح الجامعة الأردنية حاليا درجة البكالوريوس في ثلاثين تخصصا ودرجة الماجستير في احد عشر تخصصا .

وتتمتع الجامعة وهيئة التدريس وخريجوها باحترام وتقدير على كافة المستويات والأصعدة العلمية والاجتماعية في الوطن العربي نظرا للكفاءة العالية والمستوى الرفيع الذي تتميز به .

هذه هي الجامعة الأردنية في إيماءة موجزة ، صرح علمي ناشىء في بلد علمي نام تكافح في سبيل تحقيق اهدافها بسعة من طموح ورافد من ارادة .

* * *

اثناء عودتي الى الدوحة اخذت اردد ابياتا للشاعر انور العطار يقول فيها :

عمّان حلم تناجيه قوافينا
مستغرقٌ على النجوى ليالينا
ملأ على القلب إنْ هاجت هواتفه
فرواح ينشد شعر ابن زيدونا
لقد ثنا العينُ مازالت مؤرقة
تبكي الأحبة في دنيا فلسطينا

نبيل خالد الآغا



احدى لوحات رينوار التأثيرية .. كانت تطورا طبيعيا موازيا لاستحداث نظريات الضوء

تجريد لوني للفنان «فالتر هيغسلر» .. هل يتقبل المشاهد عندنا مثل هذا النوع من الفن؟

جزء من لوحة الستار الاحمية للفنان العراقي غازي السعودي .. رغم دراسته الاكاديمية في روما الا انه لاحق الطابع التراثي عبر تجريداته الفنية المعاصرة

أزمة الفنون التشكيلية في العالم العربي

الأصالة وعناصر التذوق الفني

جمال قطب

استعرضت ـ من قبل ـ جانبا من الوقائع والمسببات لعزلة الفنان عن الجماهير وانفصاله عن حركة التيار الابداعي المعاصر لامتنا العربية ..

والقيت الضوء على الحشد الزاخر من النزعات المتضاربة في مدارس الفنون الحديثة في اوروبا، وتأثير تلك التيارات على شبابنا الموفدين الى العواصم

الاوروبية كطلائع الرواد الذين انعقدت عليهم الآمال الكبار ليقودوا المسيرة الإبداعية في بلادنا ..

ولكن فاقد الشيء لا يعطيه .. فقد



لوحة للفنان سلفادور دالي .. الفن السريالي الذي هرب من الواقع ولجأ الى الاحلام

لماذا نصر الطلاب الأجانب ... وانغمسوا معها في استمالة شيوخ ؟؟

تخرجوا في معاهد اجنبية كل اساتذتها من الأجانب، فلاغرابة ان انساقوا في تلك المعارك الفنية المستعرة هناك .. غير مسلحين بتقاليد التراث والأصالة التي تحميهم من الاستسلام لهذه المذاهب الغربية .

وقد عايش مبعوثونا هذه التيارات اللافتة المكثورة هناك ، وتفاعلوا معها وانغمسوا فيها ، وما ان عادوا الى ارض الوطن ، حتى اكتشفوا ان فيهم قاصر كل القصور في ان يحقق امل مواطنيهم في التعبير عن بيئتهم وتقاليدهم العريقة ..

وساعد على تأكيد نزعة هذه الحلقة بما فيها من تقوقع وانعزال ، وجود جماعة من النقاد الإجانب ، شجعت هذه النزعات وباركتها ودافعت عنها في استماتة مشبوهة .. وعملت على خلق جو وهمي حول الفنان ، كان بمثابة الغشاوة التي طمست بصره وبصيرته وحالت بينه وبين متطلبات مواطنيه القومية والوطنية وهم جمهوره الطبيعي لو المفترض ان يكونوا كذلك !

التراث والفنان

واحب في هذا المجال ان اعقد مقارنة بين تأثير هذه المدارس على الفنان العربي وتأثيرها على الفنان الصيني أو الهندي او الياباني .. حتى اؤكد حقيقة هامة وهي حيوية التراث واتصاله ورسوخه في وجدان الفنان ، وكذلك احترام التقاليد البيئية في حماية الفنان من التأثر السطحي بالاتجاهات والنزعات التي يحتك بها او يفرض عليه ان يعايشها فترة من الزمن ، فالفنان في الصين تأثر بالحركة الفنية الحديثة في اوروبا ، ولكن تأثره بها كان الى حد معلوم وبقدر محدود .. ذلك لأن التراث التشكيلي الصيني كان ومايزال حيا نابضا في كيان الفنان واقوى من ان تطمسه ابهارات الافكار الواردة الطارئة ، وكانت تقاليد الفنان الصيني المحلية وتأصلها في الحركة الفنية بمثابة الحصانة ضد الانحرافات الفنية مهما كان مصدرها وتأثيرها .

وكذلك الفنان الهندي ، فقد استفاد من كل الفنون الوافدة والمستحدثة ولكنه لم يستسلم ابدا ويضحي بتقاليده الفنية وطابعه الخاص المميز ، وكان حريصا على الا يفقد معالم اللغة الاساسية التي يخاطب بها جمهوره ، بل عمد الى اثراء هذه اللغة بالتعميمات العالمية التي اضافها الى طابعه العريق .

وعندما كنت اتناول الفن الاسلامي في سلسلة من المقالات التي نشرت تباعا .. توقفت كثيرا عند اصالة الطابع الهندي عبر التاريخ .. فلم يستطع الفن الاسلامي بكل إشعاعاته الروحية وسيطرته الوجدانية ان يذيب الطابع الهندي .. بالرغم من دخول الإسلام شبه

الطابع اليابانى .. لم تستطع المدارس الحديثة أن تؤثر فى أصالته وطابعه المميز

الأصالة
ومصادر التذوق الفنى

الجزيرة الهندية منذ عهد الخلفاء الراشدين عام ٦٦١ م ، وازداد توثقا منذ القرن الثامن الميلادى فى فترة الحكم الأموى . إلا أن الفنان الهندى قد احتفظ بالكثير من أساليبه التى استمدها من التقاليد الفنية الهندوكية التى كانت من الرسوخ بحيث بقيت تضفى على الفن الهندى أصالة وطابعا مميزا .. وتم تتشكل فى قوالب من فن (الأرابيسك) الذى عم بلاد الإسلام الأخرى .

أما الفن اليابانى .. فبالرغم من الظروف استسلام اليابان فى الحرب العالمية الأخيرة .. وفرض كثير من مظاهر الحضارة الحديثة ذات الطابع الغربى .. إلا أن الفن اليابانى ما زال محتفظا بطابعه العريق مع أن الآلاف من الشباب اليابانى يتلقون دراساتهم الفنية العالية بشتى معاهد وأكاديميات الفنون الجميلة فى مختلف العواصم الغربية .. ولكنهم لم ينفصلوا أبدا عن طابعهم التراثى المميز .

هذه هى العراقة والأصالة .. واستمرارية الوعى والثقافة التراثية :

مصادر الجمال

وليست دراسة التراث وتأصيل الشعور بالانتماء الوطنى وحدهما كفيلين بخلق الوعى الفنى عند الفنان .. بل يجب أن يشمل التخطيط الثقافى مناهج خاصة بالتذوق الفنى والإحساس بالجمال فى كل جنبات الحياة .. وأن نبدأ فى تدريب بصرنا وبصيرتنا على تلمس مصادر الجمال الفنى إذا أردنا أن نستكمل حلقات الحضارة المعاصرة ، وبذلك نهيىء الجمهور ونصقل بصيرته ليستطيع أن يستمتع بالفنون ويتذوقها ويتفاعل معها .

وهذا جانب آخر من علاج مشكلة تلك الفجوة التى تفصل بين الفنان والجماهير العريضة .. إذ أنه من الظلم أن يتحمل الفنان وحده المسئولية فى هذه الأزمة .. لأن لها جذورا تبدأ مع أولى مراحل التعليم بالمدرسة !

عناصر التذوق

وكما هو معروف : فالحضارة كل لا يتجزأ .. ولنتصور معا طفلا سعيدا ينشأ فى بيئة متقدمة مستنيرة تزين التصميمات الفنية كل مظاهر الحياة فيها : فى حجرته الخاصة .. فى أرجاء بيت الأسرة .. فى كتابه المدرسى .. فى وسائل الإعلام كافة .. فى حدائق الأطفال والمتنزهات العامة .. فى مدرسته .. ناهيك عن المتاحف والمعارض التى تبهره وتلهب خياله وتعمق معنى الجمال فى نفسه منذ صغره ...

ولننظر إلى واقعنا العربى الذى لا تعوزه الإمكانات المادية .. ولكن مسألة الوعى والتخطيط والتحضر .. هى ما نشير إليه بأصابع التساؤل والاستغراب! ولست أدرى لماذا نقنع من الحضارة بقشورها دون كنهها فنعوم على السطح عالقين بركاب الغير كالنباتات الطفيلية الخاملة .. وليست ظاهرة الفنان وانفصاله عن الجمهور إلا أحد مظاهر الحياة العامة فى واقعنا المعاصر .. ولكننا لسنا بصدد دراسة كل هذه المظاهر .. فما نعنى به هو هذا الجانب الفنى المحدود .. ولنبدأ مع الطفل فى أولى مراحل دراسته لنرى كيف أعددناه نفسيا وتربويا لتذوق الفن :

فلا شك أن انقطاع الصلة بالتراث القديم ، وتوالى فترات اضمحلال طويلة

على امتنا ومعاناة القهر والاستعمار والتمزق .. كل هذا قد حد من اهمية الفنون الجميلة كوسيلة استمتاع فنى لدى الجمهور ، ثم جاءت الصدمة ممثلة فى الانتاج الغريب للفنان المعاصر ومعظمه لغرابة الجمهور وعدم استساغته لهذا النوع من الانتاج ، ولننظر كيف اعددنا ابناءنا للتفتح الاذهانهم على التذوق والاحساس بالجمال ، فبالرغم من التطور الذى مرت به مناهج هذه المادة وطرق تدريسها ، فقد اعتمدت فى المقام الاول على جانب رئيسى هو التادية والتلقين ، ولم تعط اية فرصة للتدريب على التذوق وتهذيب الوجدان واكتساب التعود على التمتع بالصورة او التشكل كنهج وسلوك عام .. وانصب الاهتمام على تجويد رسم المفردات المادية والوحدات الزخرفية والتدرب على نقلها وتكرارها .. كواجب سمج ثقيل ، غرس الشعور بالنفور عند معظم التلاميذ ، واصبح درس الفن وكأنه تأدية اوتوماتيكية مقررة لا يشترك فيها الحس والذوق والوجدان التى هى ادوات التذوق الفنى .. او هكذا يجب ان تكون !

وساعد فى ترسيخ هذه الجفوة الكتاب المدرسى نفسه ، فى وقت نرى فيه ان دول العالم المتقدم تتبارى فى اخراج الكتب المدرسية على اساس مستوى من الاناقة والذوق الرفيع .. وتحشد لها اكبر الرسامين وامهر المخرجين ليوزعوا رسائلهم الفنية على صفحاتها بوعى واقتدار .. وبخطة علمية وتربوية ، تورد بين صفحاتها كثيرا من اللوحات الفنية العالمية موجهين عن العصر الذى رسمت فيه وعن اسم الفنان والمتحف الذى تعرض فيه حاليا .. والغرض من ذلك ترسيخ القيم الفنية فى ذهن التلميذ وتفتح قدراته ومواهبه .. وتعويده على استيعاب اللوحة الفنية وتذكر اسماء الفنانين والمتاحف .. وخلق جو رائع لهذه العوائد الابداعية الرفيعة .

ومن هنا تولد معانى الاعتزاز بالانتاج الفنى والتطلع لانتهاج الهواية وحب الفن كظاهرة حضارية سامية .

اما من ينظر شكلا ومضمونا الى كتبنا المدرسية فى مجملها ، او الى قصص الاطفال التى تطبع محليا ، فلا شك انه يصدم بواقعها وحالتها الراهنة ! وبالرغم من هذا التغيير الشكلى فى تسمية (مادة الرسم) واستبدالها بتسمية جديدة هى (مادة التربية الفنية)



• [illegible] على هذه الرؤية للمشاهد العربى بدون تدريب حسيه ؟

إلا ان شيئا جذريا لم يتغير .. وبقى الدرس فيها هو التادية والتلقين وابتعد الدرس الحقيقى عن التذوق الفنى !

[illegible] السلبى عن الدرس

وكما ذكرنا فان فاقد الشىء لا يعطيه ! فكيف لنا ان نغير دروس التربية الفنية الى منهج للتذوق الفنى بشكله الواسع .. ونحن نجابه هذا الخليط العجيب من المدرسين القائمين على تدريس المادة ؟ بدءا بخريجى كليات الفنون الجميلة او التطبيقية ، وينحدر من حيث التخصص الى خريجى المدارس الصناعية والصناعات الميكانيكية .. ولابد ان نتقبل الحقيقة المرة وهى ان معظم مدرسى التربية الفنية غالبا ما يكونون انفسهم غير قادرين على تذوق العمل الفنى ، وغير مؤهلين لهذه المسئولية الكبيرة ! لذلك ، فان دروس التربية الفنية لا تمثل بالنسبة للتلميذ اكثر من واجب ثقيل لا يبتغى من ورائه إلا الحد الادنى لدرجة النجاح !

والذى لا شك فيه .. كحقيقة لا تقبل الجدل ، ان بداية الطريق الى وعى فنى متكامل يكمن فى تهيئة المناخ المناسب لهذه الغاية فى المدرسة اولا ، ويعتمد فى المقام الاول على مدرس التربية الفنية ، ولكن الطريق الى الاعداد المدروس لهذه الغاية تحتاج منا الى خطوات متتابعة تبدأ من ايجاد المناهج الفنية المثلى وتطوير اساليبها .. الى تهيئة المدرس المسلح بدراسات فنية خاصة بجانب الدراسات التربوية .. الى اعتماد الإمكانيات اللازمة للمدارس لكى تسمح بممارسة هذه التجارب والخبرات والمناهج .. الى الانفتاح على مجمعات التراث والمتاحف وشرح معروضاتها ومقتنياتها ..

كما يجب ان توضع البرامج على مدار العام لزيارة الآثار والتعريف بها ، ومشاهدة المعارض ومراسم الفنانين ولقاء المفكرين والمبدعين واجراء الحوار معهم .. فقد كان بيكاسو .. اسطورة الفن فى العصر الحديث .. يفتح ابوابه لطلبة المدارس .. ويقضى الساعات فى مناقشتهم بالكثير من الحب والتعاطف ..

من هذا المنطلق .. تتكون ملكة التذوق الفنى ، بل تقوم السلوك وتهذب الوجدان .. لتتكامل رسالة الفن الخالدة !

اما كيفية تحديث المناهج ، ودور المتاحف فى عالم الفكر وبناء الشخصية الفنية ، وقيمة التراث وكيف نحافظ عليه بما يستحقه من الاجلال والاحترام .. كل هذا ، سنتناول الحديث عنه فى لقاءات قادمة بإذن الله .

جمال قطب



محمد علي عبد الله

ملاحظات على
سوق الشارقة

إن من أروع المعالم المعمارية في الشارقة هي سوقها الذي بني على نمط محلي ، وقد استخدمت المفردات الزخرفية والعمارية الخليجية بشكل رائع فيها ، وإنه من سخريات القدر أن هذا السوق بني بواسطة مهندسين غربيين وليس معماريين محليين ، ولهذا السبب شاهدت بعض الملاحظات التي وجب التنويه عنها ، وذلك لخطورة تفسير التراث الخليجي بعقول غريبة وما نتج عن ذلك من تشويه في الأصالة . كما أنه من المناسب أن نتذكر على صفحات الدوحة ، بعضا من تراثنا الغني بالتفاصيل البالغة الروعة .

النمط الثقافي

إن الصفات الجيولوجية والمناخية في المنطقة الجغرافية أرضا وإنسانا ، هي العامل المؤثر في تكوين ثقافة منطقة ما ، وإعطائها الميزة أو النمط الثقافي المتميز ، فمثلا الظروف الجيولوجية والمناخية في مصر القديمة اختلفت عما هو كائن في بلاد ما بين النهرين ، فبينما نجد أن المهندس المعماري في مصر قد اتجه إلى بناء الصروح والمعابد على الصخور التي كانت متوفرة ، نجد المهندس في بلاد ما بين النهرين بعدت عنه الجبال ليجلب الصخور منها ولذا اعتمد على الآجر في بنائه المعماري ومن هنا نجد أن التصميمات التي كان يضعها المصري القديم في المعابد تختلف عن تصميم البناء المبني من الآجر لعدة اعتبارات أحدها يكمن في أن ميزات الصخر تختلف تماما عما عليه قطع الآجر .

الإنسان والتحدي

وبالنسبة للمهندس المعماري في الخليج فإن المشكلة ذاتها تبرز ، وهي





عدم وجود جبال لإحضار الصخور، كما لا توجد أنهار حتى تجلب له الطين لصنع الآجر..

إلا أن المشكلة لم تدم طويلا في وجه التحدي الذي واجهه الإنسان في وجه المتغيرات المناخية للمنطقة، فقد اتضح أن الهضاب في معظم المناطق المطلة على الخليج العربي هي تكوينات طباشيرية، وغير معروف متى بالضبط بدأ الإنسان في استعمال التكوينات الطباشيرية بعد حرقها لاستخدامها في البناء.. ولذا فإننا نجد ـ حتى يومنا هذا ـ شواهد من المعمار الخليجي القديم تتكون صخورها من الصخور الطباشيرية وخاصة قطر، والملاط من الجص.

مصائد الهواء

ولكن الظروف المناخية للمنطقة لم تدم كما كانت عليه في الألف الثاني والثالث قبل الميلاد، بل دخلت المنطقة في دورات مناخية حارة، بنى الإنسان في الخليج خلالها (مصائد الهواء) وهي برج مربع له أربع فتحات موجهة إلى الجهات الأربع، فإذا ما هبت الرياح من الشمال دخلت من الفتحة الموجهة إلى الشمال، بينما الفتحة الجنوبية وهي الفتحة المعاكسة لحركة الهواء، تساعد في اخراج الهواء الحار من الحجرة تلقائيا.

وقد انتشرت مثل هذه البروج على طول ساحل الخليج العربي من البصرة، حتى عمان.

السقف المقوس

وسوق الشارقة، هو سوق حديث، لم يمض على بنائه المستقل، وقد استخدم مصمم السوق مصائد الهواء بشكل يؤدي بها غرضين، الأول وهو الغرض الوظيفي منه ويقوم بمهمة تبريد السوق، والغرض الثاني يكمن في الغرض الجمالي البحت.

ويتكون السوق من مركز طوليين كل منهما مقسوم إلى أربعة أجزاء، وكل جزء يتكون من مجموعة من المحلات التجارية المتقابلة، وكل محل يتكون من طابقين، يصعد الناس إلى الطابق العلوي بواسطة سلالم جانبية.. وقد غطى المهندس السوق بسقف مقوس وهذا السقف يتكون من نصف دائرة، وهي في قمة التشويه التراثي، فإن هذا النوع من السقوف والتي تحوي على فجوات مربعة هي إحدى ميزات المعمار الروماني، والذي ورثه الأوربيون في عصر النهضة، أما خارج هذا السقف، فقد تركوه معرى دون أي مساس، وهنا أيضا خروج مشوه عن مميزات العمارة الإسلامية والتي كانت تعتبر السقف المقوس مرحلة مدائية من مراحل البناء، ثم كانت تغطي هذا السقف حتى يستقيم أفقيا وذلك للوصول إلى الغرض الجمالي بالإضافة إلى تقوية دعائم القوس..

أما بالنسبة لأمور الأعمال النهائية في البناء، وهي أمور الزخرفة والتزيين، فقد استخدم المصمم مفردات زخرفية هندية في زخرفة الشبابيك والفتحات، وأعتقد أن المصمم قام بإعداد دراسة عن النقوش الخليجية ولكنه لم يقع على نماذج نقية فإنه معلوم لدى المؤرخين بأن المنطقة في القرن التاسع عشر عاشت عصرا ذهبيا، وهو عصر اللؤلؤ، وقد انفتحت المنطقة على كثير من التجار والحرفيين الذين أتوا على وجه الخصوص من الهند، فبدأوا يمارسون حرفهم ومن ضمنهم المزخرفون، فأدخلوا المفردات الزخرفية الهندية إلى المنطقة، علما بأن منطقة الخليج تتميز بخاصية متميزة في زخارفها الجصية والتي بنيت على أسس رياضية صارمة، وأداة الأهم في ذلك هو الفرجال والمسطرة فقط، ولم يكن أي مصمم يخرج عن هاتين الأداتين، ولم يكن يجرأ في زخرفة أي مكان يرسم من ذهنه فهو يعلم أن سمعته كنقاش كانت كسمعة الطبيب في هذه الأيام، فكان كثير القلق في مسألة الخروج عن المألوف..

أما مصممنا فقد وضع في فتحات السوق زخارف ثم صبها بالألمونيوم، وهي زخارف لزهريات ونباتات لا تعتمد بأي شكل من الأشكال على الأداتين المذكورتين.. ولكنني ـ وكلمة الحق تقال ـ لا أنكر أن مثل هذه الزخرفة موجودة على البيوت في دبي في (فريق البستكية).

المفردات الزخرفية

كما أن استخدام المصمم للزخرفة الإسلامية على السراميك هي ظاهرة نادرة لم تعرف المنطقة لها مثيلا.

إنني لم اقصد من خلال هذه الدراسة التقليل من أهمية هذا السوق الرائع فهو بحق أحد المعالم المعمارية التي تستحق المشاهدة، بل وأقول أنه سيظل علامة تشرف دولة الإمارات بهذا الإنجاز الذي يظهر فيه التعلق بالتراث ومحاولة احيائه، مرة في السوق ومرة أخرى في مطار الشارقة الذي يحمل طابعا معماريا خليقا بأن ينسب إلى جهد وعلوم أجدادنا.. فأنا أنظر إلى محاولتي في هذا البحث أن أرتبط بتراثنا الذي نرسخه بأنفسنا، والذي أومن بأننا لو سرنا على دربه لقدمنا شيئا أكثر أصالة وأروع هنا..

محمد علي عبد الله

قصة قصيرة

الهدنة

بقلم : د . حازم سعد الطيبي

استلقى الشيخ على ظهره سجين فراشه منذ اللحظة التي قررت فيها أن يتم شده بالفراش لمدة شهرين لعلاج الكسر الذي أصاب عظمة الفخذ . كان الشيخ كثير الشكوى من الألم الذي تخفف من حدته المسكنات الكثيرة ، كما كان دائم الشكوى من المرضى المجاورين له لكثرة ضوضائهم ومن العنبر القذر الذي كانت تجوبه الصراصير ليل نهار وتتقاسم القطط اسرته - الا أن ذلك لم يمنع وجود صداقة نشأت بيننا بمرور الأيام .

- الصراصير كثرت هذه الأيام ويبدو أن المبيدات تزيدها ضخمة .... والقطط تتقاسم فراشي وتؤرق نومي بمعاركها الضارية طوال الليل ... ثم ان المرضى «الموالشغب» ولا يحترمون كبر سني وحاجتي للراحة .

- الصبر يا عم الشيخ مصليحتي سوف نفرج عنك قريبا .

ومرت الأيام ولم يعد الشيخ بلاقيني سوى بابتسامة ، ولم يعد للشكوى مكان في الحديث الطويل . وأصبح الشيخ مهتما بالقطط يدللها بأسماء أطلقها عليها كما أصبحت تتقاسم معه مائدة الغذاء حتى أن غياب احدى قططه كان يؤرقه فيسأل عنها جميع المرضى الذين أصبحوا يحجون الى فراشه كثيرا ليتجاذبوا معه أطراف الحديث في بساطة لم يألفوها فيه من قبل .

وأعلن الشيخ الهدنة ، فلم يعد يهتم بفلول الصراصير التي كانت تجوب الفراش من حوله . ويبدو أن الصراصير فطنت الى إنهاء حالة الحرب الضارية التي أعلنها الشيخ يوم جاء ضيفا عليهم فكثر بذلك تجوالهم كما كثرت ضيوفهم من الحشرات الأخرى .

وضجت الممرضات بالشكوى من هذه الحديقة الحشرية ، إلا أن الشيخ لم يأبه لوعيدهم وكان يحاول دائما ألا تعكر تلك الدسائس العلاقة الطيبة التي نشأت بيننا فكان ينظف المكان من حوله حين يعلم بقدومي .





تعجبت لما طرأ على الشيخ من تغيرات وكلما حاولت أن أقنعه بأن ما يفعله ضار به وبمن حوله من مرضى كان يتغلب على بابتسامته البشوشه ويربت على يدي ويقول : «ارجوك لا تغضب مني يا دكتور ، انني لا استطيع أن أتحمل فقد أحد من أصدقائي ، وهؤلاء جميعا أصدقائي .. كلنا سجناء أليس كذلك ؟ ويجب أن نجد مأوى لهم جميعا .. بل وطعاما جيدا أيضا .. فلماذا نحاول دائما أن نستحوذ على كل شيء ونقتل هؤلاء المساكين .؟

كثر الهمس بين المرضى .. الشيخ أصابه لوثه .. تناثرت الحكايات عن الذهول تحول اليها طالت فترة رقاده بالفراش .. إنه يحضر الداخلين والخارجين من العنبر ، ولا يلقيه أن يقترب بعض الملاحظات العجيبة عن كل شأنه . إنه لم يعد ذلك الشيخ الوقور الصامت المتأفف من كل شيء حوله

وقد كان المرضى على حق .. فكلما طالت فترة رقاده بالفراش بدون حركة أصابه الملل فكثرت بذلك تعليقاته وملاحظاته



التي لا تنتهي ، الا أن الشيخ أصابته حالة صمت وتأمل في الأيام الأخيرة وأصبح يهتم بسقف العنبر ، وتعلقت عيناه به طول الوقت وهو يتابع صرصورا يجوب في السقف في محاولات مستميته ليجد له طريقا الى الأرض ، ويبدو أن محنة الصرصور هزته كثيرا ، فطالما توسل الى الكثيرين ممن حوله أن ينقذوا ذلك المسكين : حرام عليكم .. ماذا تنتظرون ؟ يومان وهو يقطع السقف جيئة وذهابا .. سوف يموت .

لم يعد الشيخ ينام ليله وأصر أن يضاء نور العنبر طوال الليل ليتمكن من متابعة البائس في أعلى الغرفة . وخرج الشيخ عن وقاره فلم يجد حرجا في طلبي بحجة انه يعاني من بعض الآلام في موضع الكسر ، وحين حضرت ، أشار بأصبعه الى سقف الغرفة واختنقت الكلمات في حنجرته .. دمعت عيناه في توسل وأخيرا قال :

«انقذه .. ارجوك .. انهم يعتقدون انني جننت ، لكن أليس من حق هذا البائس أن يحيا .. لقد فشلت جميع محاولاته طوال يومين .. لماذا نبخل بالمساعدة لمخلوق ضعيف كهذا» .

واستطعت أن أطمئن الشيخ وأكدت له انني ساهتم بأمر صديقه في الصباح الباكر . واستشرت زميلي أخصائي الأمراض العصبية فنصحني باعطائه بعض المهدئات الا أن ذلك لم يحد من توتر الشيخ .

وفي مساء اليوم التالي سقط الصرصور بعد معركة مستميتة من أجل البقاء شاركه فيها شيخ مكبل بالفراش على الجانب الآخر من الغرفة . سقط الصرصور وأسرع أحد المرضى على صراخ الشيخ .. وبين ضحكات المرضى دهسه بحذائه -هنا تعالى صراخ الشيخ وأجهش بالبكاء وهو يصب جام لعناته على الجميع . وتصادف مروري بجوار العنبر في تلك اللحظة فتناهى الى سمعي صراخ الشيخ ، أسرعت الى العنبر لأجده جالسا بالفراش وهو يحاول أن يرفع آلات الشدة من حول ساقه وقد أصر أن ينتقم من القاتل .

وحتى ساعة متأخرة من الليل لم تفلح المهدئات في السيطرة على ثورته العارمة حتى لاحظ المرضى أن الشيخ قد سكن أخيرا واستغرق في سبات عميق .

دكتور حازم سعد الطيبي

١٠ شارع الملكة

قصة بقلم: أحمد عبد السلام البقالي



مقدمة

في خريف سنة ١٩٥٤ .. والأقدار المتحالفة الفرنسية والإسبانية والدولية ماتزال مطبقة على عنق المغرب، ومعركة الاستقلال دائرة رحاها ضد الجيش الفرنسي الجبار .. خرج هذا الغلام المغربي من بلاده لأول مرة هارباً متخفياً في طريقه إلى مصر لإتمام دراسته.

واستطاع الإفلات من قبضة البوليس الفرنسي بجوازه الدولي .. ليلتقط أنفاسه أخيراً .

وصحبته الألطاف الخفية طول طريقه فوجد من ثاويه استقبالاً كاملاً في إيطاليا حتى ركب الباخرة المتوجهة إلى الإسكندرية.

وفي الميناء رفض القنصل المصري إعطاءه تأشيرة الدخول إلى مصر، وقد أوشكت رحلته على الانتهاء، ويصبح عرضة للتيه والغربة والضياع في بلد لا يعرف أهله ولا تربطه بهم صلة غير الأخوة !

ولكن الألطاف الخفية تدخلت مرة أخرى، فغيرت قلب القنصل المصري فأرسل من يبحث عنه، ويعيده إلى القنصلية ليعطيه تأشيرة الدخول إلى مصر .. ويزوده بما يكفيه لإكمال بقية الطريق إلى مصر.

أما أهم المغامرات الرهيبة التي تخللت هذه الرحلة الغريبة، فالحديث يعود إلى صاحبه مباشرة .. فهو الذي سطرها فيما يلي :

حكاية واقعية

كيف نسيت هذا الحدث ؟ لا أدرى !

أنا الذى كتبت ما يملأ مجلداً من الأحداث والقصص الواقعية التى رويتها عن العائدين من منطقة العشق .. تلك المنطقة الغامضة العامرة بالأسرار التى يلتقى فيها العالمان : الظاهر والباطن .. عالما الغيب والشهادة ..

قال لى صديقى محمد عيسى وهو يثقب سيجارة ، ويشمه ويمصت إليه :

- كيف نسيت هذه الواقعة وقد كنت تكون أحد أطرافها ؟

قلت وأنا أراقبه يشعل السيجار بعناية ، ثم يدخل الجزء المشتعل فى فمه وينفخ فيه فيخرج كنافورة من اللهب ، ومعه غبار التبغ !

- لا أدرى .. ولكننى لم أكن بعد بدأت اهتم بعالم الغيبيات والأرواح - اهتمامى بهذا الميدان بدأ فى الستينات بعد استقرارى بالولايات المتحدة

وأعاد السيجار إلى فمه ، وأخذ يمص دخانه ونحن ننتظر القصة بشوق كبير وأخيراً بدأ :

- حدث ذلك فى خريف سنة ١٩٥٤ ، أى بعد سنة بالضبط من سفركم إلى مصر .. وغادرت أنا المغرب للالتحاق بكم هناك .

نزلت من الباخرة فى الإسكندرية ، وفى جيبى رسالتك الأخيرة إلى قبل أن أغادر المغرب ، كانت عامرة بالتفاصيل والإرشادات التى يجب أن أتبعها أثناء سفرى .. حتى أرقام الحافلات والترام ، والعناوين بالتدقيق ..

ولكن الذى كان يملأ رأسى فى تلك اللحظة التى نزلت فيها من الباخرة بميناء الإسكندرية هو تحذيراتك المتكررة من ذئاب الميناء ، وكلاب الجمارك ، والسماسرة والنشالين .. فمازلت أذكر ما قلته لى عن المبلغ الذى أخذه السماسرة منكم بالميناء ليخرجوكم من الجمرك وختم الجوازات : خمسة جنيهات ! رأسمال كامل ! أما أنا فلم يكن فى جيبى ساعة نزولى على أرض النيل غير أربعة جنيهات فقط !

وحرصت على ألا أدفع أى شيء لأحد ، واستطعت اجتياز الجمرك والشرطة بدون دفع قرش واحد ! ربما لأننى كنت أبدو لهم ... ولكن ... فى ... مربوط حولها ... فلم ... لى

وفى المحطة سألت عن أول قطار إلى القاهرة فقيل لى سيكون بعد ساعة .

وجلست على أحد الأرائك الخشبية الكبيرة أنتظر .. وأصبحت هدفاً سهلاً لسماسرة المحطة ، كلهم يريد أن يبيعنى سلعته ، أو يمسح حذائى ، أو يشترى لى تذكرة سفر .. وأنا أحرك رأسى رافضاً ومشيحاً عنهم بوجهى .

ولم أشعر كيف جلس بجانبى رجل .. التفت فوجدته هناك .. كان فى حوالى الثلاثين أو الأربعين ، نحيفاً شاحب الوجه ، هادىء الملامح ..

وبسبب ما لم يزعجنى وجوده الطفيلى بجانبى رغم تحذيراتك الصارخة التى أكاد أسمعها من داخل رسالتك فى جيبى !

وجاء أحد سماسرة المحطة وسألنى :

- هل معك تذكرة ؟

فقلت : لا ..

وحين عرض على أن يشتريها لى رفضت ، وأشحت عنه بوجهى أشارة له بالانصراف ، ولكنه أصر على خدمتى رغم أنفى .. فأشار إلى شارة نحاسية على صدره ، وقال :

- أنا شغال رسمى هنا .. فلا تخف .. سأشترى لك التذكرة .. إلى أى بلد تريد دون حاجة منك للوقوف فى الصف .. أنا أعرف الهم الذى وراء شباك التذاكر !

وحين لم أقتنع خلع شارته النحاسية ووضعها فى حجرى ..

والتفت إلى الرجل الجالس بجانبى ألتمس مساعدته على تخليصى من هذا السماعد الثقيل ، فحرك لى رأسه وقال :

- لا تخش شيئاً .. أعطه خمسين قرشاً ليشترى لك التذكرة .

وبدون أن أراجع تحذيراتك ، مددت للرجل الخمسين قرشاً ، وقلت له :

- درجة ثالثة من فضلك .

وفعلاً عاد الرجل بعد بضع دقائق بالتذكرة والرد ، فأعطيته خمسة قروش بقشيشاً ، وشارته النحاسية ، انصرف شاكراً .

والتفت إلى الرجل ممتناً فابتسم ظل ابتسامة ، وسألنى :

- من أين حضرتك ؟

- من المغرب .

ثم صححت :

- من مراكش ..

فحرك رأسه فاهماً :

- محمد بن يوسف ! والجلاوى وبن عرفة .. علال بن عبد الله .. إلى غير ذلك من أسماء الأشخاص والأماكن التى اقترنت بمعركة استقلال المغرب .

وفى القطار وجدت نفسى مرة أخرى فى نفس الغرفة مع ذلك الرجل النحيل الشاحب ، فابتسم لى وحياني تحية من يعرفنى .. وظل صامتاً طول الطريق ، لا يتكلم إلا إذا خاطبته ! ورغم صمته ، فقد أخرج لى من جيبه بطاقة وقال :

- خذ هذه . انا احتجت الى اى شيء اتصل بى بهذا العنوان . ووضعت انا البطاقة فى محفظتى متأكدا من انى لن احتاج اليها ..

وحين وصلنا محطة باب الحديد بالقاهرة سألنى :

- الى أين انت ذاهب ؟ هل تعرف احدا بالقاهرة .

وحين اجبت بالإيجاب سألنى :

- هل تعرف كيف تصل ؟

فاخرجت الرسالة .. وقرأت له العنوان :

- بيت المغرب - شارع السلولى رقم ١٧ - قبالة (كلية البنات) ترام (١٥) او اوتوبيس (٦)

فقال :

- اتبعنى الآن .. ذلك هو اتجاهى .

وركبنا الترام الى (الدقى) .. وظهرت لى المسافة بعيدة جدا ، فلم اكن عشت قبل ذلك فى مدينة فى ضخامة القاهرة واتساعها ، وبدات اشك فى اتجاه الترام، رغم ان رقمه (١٥) ، وفى المحطة التى ينبغى ان انزل فيها .

وبعد ما يقرب او يزيد عن العشر دقائق ، تقدمت نحو ... وسلمنى للرجل الضخم الى عميد الى ... ، انتى مضايق ... ، انتحنى ساه الى شارع السلولى . ولم استرح وتذهب بشايى حتى قرأت اسم الشارع على الحائط ، ورأيت لوحة كلية البنات ، ومقابلها (بيت المغرب) بحديقته الجرداء ونوافذه المكسرة الزجاج .

وكنت انت جالسا فى البلكونة فنزلت مع صاحبنا احمد الرياحى وقبالتكما تطقطق على الرخام كالقلق حتى تعلقنا على الباب .. وخرج عدد من الطلبة الذين كانوا يعرفوننى فاجتمعوا حولى وهم يلبسون البيجامات والشباشب والقباقب ، كما يجتمع المعتقلون على الاسير الجديد .

والتفت حولى بحثا عن الرجل الذى جاء بى الى هنا لاشكره ، واقدمكم له ، ولكنه اختفى ، وكان الارض بلعته ... وجريت لالحقه قبل ان يلوى الشارع فلم اجده .

وسألنى الرياحى عما ابحث فقلت له عن الرجل المصرى الذى تطوع لمرافقتى ، فقال اسفا :

- خسارة : كان لابد ان نشكره حقيقة ! هل تعرف اسمه ؟

قلت :

- لقد ترك لى اسمه وعنوانه ، واخرجت من محفظتى بطاقة كان اعطانى اياها فى القطار للاتصال به فى القاهرة اذا احتجت لشيء ..

وقرأها الرياحى ، وقال :

- ١٠ شارع الملكة .. ، اعرف هذا العنوان .. ليس بعيدا من الاسعاف .. غدا لابد ان تذهب اليه ، وتشكره ، فامثال هذا الرجل قليلون !

ودخلنا بيت المغرب ، وسهرنا تلك الليلة على اخبار المغرب .. والقدانية ، ورسائل العائلة التى حملتها اليكم .

وفى الغد لم ينس الرياحى وعده ، وهو كما تعرفه ، حريص على اصول اللياقة ، والآداب الاجتماعية .. وكنت انت مشغولا بعمل ما ، فلم تذهب معنا .

وركبنا الترام الى شارع الملكة ، ونزلنا عند المحطة القريبة من عنوان صاحبى ، وبحثنا عنه فعثرنا عليه بسهولة .. كان دكان حانوتى - دافن اموات - ! وسألنا عن اسم صاحبنا ، فسألنا صاحب المحل بدوره بنوع من الفضول الممزوج بالاستغراب :

- كيف عرفتموه ؟

فاخرجت له بطاقته ، فنظر الى البطاقة ، وسألنا :

- من اعطاكم هذه ؟

- صاحبها بنفسه .

- متى ؟

- بالأمس وانا قادم معه بالقطار من الاسكندرية ..

- مستحيل !

- فلماذا ؟

- هذا الرجل كان صاحب هذا المحل فعلا قبل ان اخذه انا .. ولكنه مات منذ سنة ! انا الذى جهزته للدفن بنفسى .

فلما وصفته له فتح الرجل فمه عجبا ، وغرق فى تأمل عميق !

واخذت انا البطاقة من بين انامله وتركته لتأملاته ...

احمد عبد السلام البقالى

عبد المنعم الجداوي

« جواهر »

صريعة خيول الفرسان



«... كل شيء حوله أكثر من سيء .. سقطت المثل والقيم صريعة المصالح والقفهية .. وخرت منخنة بجراح الخسة والدناءة .. استلقت الحياة كحيوان كبير ميت .. تحول الوجهاء الى دود حقير .. يتصارع على نهشها .. ومطلوب منه أن يتحول هو الآخر الى دودة من هذا الدود فقد فلاحه اليوم «علي بك» الذي يطمع في مشيخة القاهرة .. في أن يشترك في المؤامرة ضد «صالح بك» الذي جاء من باستانبول مندوبا للباب العالي .. ثم خرج أميرا لرحلة الحج .. فلما عاد طابت له الإقامة بالمحروسة .. وبقي تنحني له كل الرؤوس .. وفي مقدمتهم رأس «علي بك» .. ورأس «بلبلة القلعة» ذاته !

فلما فرغ من العرض .. الذي تخلع له القلوب .. وهو يقول لعلي بك .. إن «صالح بك» له في عنقه أكثر من يد بيضاء .. فهو الذي تلقفه حينما جاء الى مصر كواحد من المماليك الروم .. وكان يمكن أن يظل سنوات طلق في مدرسة المماليك دون أن يفوز بمركز مرموق .. لولا أن «صالح بك» اختاره ليقيما لخزينته .. ثم قائدا للعسكر الذين رافقوه في رحلة الحج .. فلما عاد أصدر أمره بتعيينه «كتخدا» على كل «بالتجاويشية المحروسة» .. منتزعا له المنصب .. من أنياب الكثير من الحاسدين !

امتحان الإخلاص

ومن أجل كل هذه الأيادي .. ولأنه يؤثر

«جواهر»

● رفض خيانة ولي نعمته ، رغم إغراءات التعويض بالمناصب





الجميل فهو لا يستطيع ، ولا يرضى لنفسه أن يشترك في الأضرار بصالح بك مهما كان الثمن !

كان علي بك يستمع إليه وهو يتفرس في ملامحه .. كلاهما يراقب الآخر .. علي بك يبحث وينقب في نبرة صوته ، وخلجات وجهه عن الذي يريده .. يود أن يعرف إذا كان هذا الكلام يصدر عن صدق ، أم أنها حيلة يختبيء فيها لكي يتضاعف الثمن !!

فقال له :

- حتى لو كان الثمن أن تكون النائب العسكري للوالي وأن يتغير اسمك من «أحمد بشناق» إلى «أحمد بك» وربما «أحمد باشا» ؟!

تساقطت كل هذه الإغراءات عند قدميه .. تدحرجت بعيدا عنه .. قال وهو يدب الأرض بقدميه منهيا للحديث ، إنه لولا بقية من أدب تفرضه الوظيفة ، وفارق السن ، لكان رده غير ذلك تماما !

وإنه لو أعطي فرمانا بولاية المحروسة مقابل الغدر بصالح بك لرفض ، لأنه يرفض أن يكون خائنا لمن أنعم عليه !

[illegible]

صوته ارتفع أكثر مما يجب .. لم يكن في القاعة غيرهما .. وكان علي بك قد أوصى الحاجب بألا يدخل عليهما أحد .. وفي نوبة مفتعلة .. أغرق في الضحك حتى استلقى على قفاه .. مما أدهش أحمد بشناق وظن أنه سيرسله إلى السجن أو إلى حيث يلقى حتفه .. فوقف مذهولا ، لا يدري ماذا سينطلق بعد القهقهة !

عاد علي بك إلى وقاره .. وأعاد مقعده إلى مكانها بعد أن تزحزحت .. قال له الآن صدق ما يقال عن شجاعته وإخلاصه .. وإنه أراد أن يمتحن إخلاصه فقط .. وقد اطمأن الآن إلى ثقة صالح بك فيه وإنه كان يمتحن إخلاصه لأنه سوف يولى مركزا خطيرا في الأيام القادمة !

الاجتماعات المغلقة

انصرف من القصر .. لكن هموم الموقف لم تنصرف عنه .. كان وجدانه مشطورا وعقله يعمل بسرعة محمومة .. فهو منذ أيام لاحظ أن علي بك يعقد مع رجاله الاجتماعات المغلقة التي لا يحضرها غيرهم .. لكنه لا يستطيع أن يخمن أن هذه الخطط يمكن أن تكون حياكة من علي بك لصالح بك .. فهو الذي ثبته في مشيخة البلد .. وأقنع الديوان العالي باستمراره على الولاية .. ليس ذلك فحسب بل ساعده في طرد خصومه الذين كانوا ينازعونه .. ونفاهم إلى الصعيد .. وأمر بعضهم بالخروج إلى الشام !

لكن لماذا لا يدعو صالح بك إلى هذه الاجتماعات .. وهو رسول السلطان .. وصاحب الكلمة الأولى من «علي باشا» القلعة .. ؟ في ذات الوقت الذي تضم فيه أيوب بك .. ورضوان بك .. ومحمد بك أبو الذهب .. وعلي بك الطنطاوي .. وحسن بك الجداوي .. وهم الذين يكونون سلطة الحكم .. التي لا تترك لباشا القلعة سوى التوقيع والظهور في الحفلات الرسمية !

خداع القوة

وتصاعد الشك داخله على أن ينقل إلى صالح بك كل ما دار بينه وبين علي

● تصرّت أنه مكروب ، فطلبت منه أن يحدثها من همومه ومتاعبه





بك .. لكن كيف يقوله ؟

استأذن صالح بك فأذن له في ثقته على الفراش .. فلما مثل بين يديه قال له إنه لا يدري من أين يبدأ ؟ ومازال به صالح بك يطمئنه .. حتى أفضى إليه بما كان بينه وبين علي بك .. فأدهشه أن الآخر استلقى على قفاه ضاحكا .. وأكمل له القصة .. فقد روى له علي بك ما كان بينهما .. ثم وضح له في كبريائه أن علي بك أسير أصالته ، وأن المواثيق والعهود التي بينهما تحول بينه ، وبين التآمر عليه .. وأنه كان يمتحن إخلاصه .. وأعجب بنزاهته ، وإخلاصه لسيده ..!

وحاول أحمد أن يتكلم .. أن يثير شكوكه .. أن يتحدث عن الهواجس ، والإرهاصات التي يشعر بها .. إلا أن صالح بك منعه من الاسترسال بإشارة من كفه .. فقد كان مزهوا بقوته .. مخدوعا بسلطانه .. فهو وحده الذي يدرك أن في وسعه أن يلقي بعلي بك بركلة من قدمه ، وأن يجيء بغيره .. وأن يحصل من السلطان على الموافقة ..!!

ما هو سر أحزانه ؟

تراجع أحمد مطعونا في ولاء أعطاه كل إخلاصه .. فليس أقسى على النفس من أن يصبح إخلاصها مشكوكا فيه ، ويصبح عليها أن تأتي على حسنها بدليل !

إنه يرى بمصرفه رجلين مختلفين تماما .. أحدهما يعيش بروح ذئب .. أينما تلوح له الفريسة يذهب ليقتنصها .. أو يخطفها من على أنة مائدة .. والآخر يعيش بروح أسد .. يعف عن الميتة ويترفع عن خطف الفرائس من أفواه الآخرين ..!

وحينما عاد أحمد إلى بيته .. دخلا إلى مخدعه جوهر .. فزعها وهي تخلع عنه ملابسه أن ملامحه ليست هي التي تعرفها .. أحست أنه مكروب .. وأن جوانحه تغلي .. فربتت على كتفيه في حنان .. وحشدت في صوتها رقة أنوثتها كلها تقول له إن الحمام جاهز .. والأكل معد .. فأيهما يختار ؟

ومضى إلى الحمام دون أن يناقشها .. وسرحت هي في خواطرها .. سنوات ثلاث وهي محظيته الخاصة .. لم يفترقا ولم ينصرف إلى أخرى من جواريه .. حتى ظنت أنها سوف تصبح زوجته .. لكنها رغم هذا الطموح الذي لم تكن تملك أن تبديه .. حلمت به زوجا .. خاصة وأنه كان بلا زوجة فقد كان ينتظر حتى يصل إلى المنصب الذي يتيح له أن يتزوج بفتاة من أعرق البيوت .. تشد من أزره .. وتناصره بما لدى أسرتها من جاه .. لكنه منذ العام الماضي .. وبعد أن صار كتخدا صالح بك .. لمح له بأنه حتى الآن لا يجد من يستحق مصاهرته .. وأنه لا يرى امرأة أفضل منها تحررها إلى بيته لكي تحولها إلى جارية .. وقد أسعدها هذا الحوار ومالت على يديه تقبلهما .. وازدادت تعلقا به .. فماذا يشغله اليوم .. إنه لم يعد أن يتكلم عن متاعبه في العمل .. لكنه اليوم في أزمة حقيقية .. ليتها تعرف كيف تخفف عنه أحزانه وهمومه الثقيلة !

مضاعفة الحراسة

فلما خرج من الحمام .. وجلس أمام المائدة .. فاض إلى العود .. وانكمشت تحاول أن

أحس بالمرارة من صولة عندما أحاطوه بكوكبة من الفرسان

تذهب عنه الاكتئاب الذى يغشاه ، وسألته إن كان يفضل طعامها لو عرفها .. فقد كان كثيرا ما يطلب منها أن تغنى له وهو يتناول الطعام ، لكنه أشار عليها أن تدع العود وأن تجلس للتأكل معه .. وكان قليلا ما يفعل ذلك ، فأدركت الى أى حد هو ضحية أزمته ..

وما كاد ينتهى من الطعام ، حتى أمسكت بالعود ، وراحت تعزف له ، وأمرت إحدى الجوارى بإعداد النارجيلة .. وراح يدخن ، وهو يحاول أن يستغرق فى ألحان جواهر ، وكلماتها ، وإشاراتها ، وإيماءاتها .. ليتنزع نفسه من الهم الذى يسيطر عليه !

وفى اليوم التالى وجه على بك دعوة للغداء الى صالح بك ، وعدد كبير من كبار المماليك ، وتصدى أحمد يحاول أن يقنع صالح بك بأن يرفض هذه الدعوة .. لكن الرجل الواثق من مواثيق على بك (رغم أحمد على اطلاع مواجهة ، وأصر على حضور الدعوة .. فلم يجد أحمد بحكم وظيفته إلا أن يضاعف من حضور فرسان حراسة صالح بك ، ورجال المزاريق الذين يحيطون بموكبه ، وأضاف بعض البلطجية الرجاله بعد استئذان البك ، فأذن له ، وهو مبتسم معجبا باخلاصه !

تنفيذ المؤامرة

وعلى مائدة الغداء جلس أحمد الى جوار سيده ، وكلما جاءت الأطباق تعمد أن يبدلها ، وأن يقدم الطباق على بك لصالح بك محاولا ألا يفطن أحد الى ما يفعل .. ومضا السمر بعد الغداء دون حادث يذكر ، وقبل صلاة العصر ، تهيأ المدعوون للانصراف ، وأصر كبار المماليك على أن يصحبوا صالح بك لوداعه ، فأحاطوا به فى حلقة قبل كوكبة حرسه ، ونادى أحمد ليقود رجاله ، فلما حاول اختراق الحلقة الدائرية وقليفته ، لم يمكنه المماليك من ذلك .. وكان الرديف الى صالح بك محمد أبو الذهب الذى كان يسير على يمينه ، وقبل أن يصل الركب الى مفترق الطرق ... عند سويقة عصفور ، افتعل أبو الذهب الغضب على سائس حصانه ، واستل السيف

ليضرب به عنقه ، وإذا به يتحول الى الشمال ليهوى به على صالح بك ، الذى فوت الضربة الأولى على ذراعه فشللته ثم ألقت الثانية بعنقه قبل أن يتبين ما حدث .. فهوى عن حصانه جثة تتخبط فى الدماء .. واضطرب الركب ، والتال المماليك على بقية حرسه الذين فروا جميعا ، بعد أن شاهدوا عنق سيدهم يتدحرج بعيدا عنه !

الغضب والتحدى

وفى نفس الليلة دعى على بك الى اجتماع عاجل ، ضم كبار المماليك ، والصناجقة ، والكخدية ، واضطر أحمد

للذهاب الى الذهاب .. وهناك التقى بالمملوك رضوان والمملوك أبو الذهب والمملوك على عثماوى ، والمملوك حسن الجداوى ، وأحس أنه دعى الى هذا الاجتماع لمحاكمته .. لا لمشاركته فى حفل الخلاص من صالح بك ، ووجه اليه أحدهم أمام على بك تهمة أنه تقاعس عن الاغتيال ، والاشتراك فى المذبحة ، فلما نفى ذلك .. صاح أحدهم .. إذا كان صادقا .. فليجرد سيفه من غمده ليشاهدوه .. وبعدها سوف يحكمون إذا كان اشترك أو لم يشترك .. !

على الفور شعر أنهم يورطونه .. فامتلأ غضبا .. ووضع يده على قبضة سيفه وصاح قائلا إن سيفه لا يغادر

غضب لهذا تهافت القوم عليه .. إن سيفه يعرف مهمته جيدا اذا خرج من غمده!!

ردت شلته القاضية في القاعة .. ساد الصمت .. وتلاقت العيون الداهشة على بك الأكثر علما بما يفكر به حسن أحمد .. وخشي أن يأتي الأكثر من ذلك .. أن يعمل فيهم سيفه بحدين للمصنع الإنسان .. وخف الأمر ... لم يكن أكثر من مزح

وانتهى الاجتماع .. وبدأ الجميع يعودون الى بيوتهم .. لكن أحمد أراد أن عليه ألا يكون في غناء سيده فيمنع عنه تمنا لغروره .. لم يذهب الى قصره .. لجأ الى بيت احد رجاله المخلصين .. وأرسله برسالة الى جواهر لكي تسلم عشرة آلاف من الدنانير لحمله .. لأنه مسافر في مهمة رسمية .. وحصل على زي مغربي .. وعمامة مغربية وخرج وحده على فرسه الى الجيزة دون أن يفكر لأحد وجهة سفره!

وصح ما توقعه .. ففي منتصف الليل .. هاجم رجال على بك الكبير قصر أحمد بشناق فلما لم يجدوه .. نهبوا كل ما فيه .. وساقوا الحريم والجواري الى السجن

لقد أنكر الجميع الجهة التي سافر اليها أو المكان الذي اختفى فيه أحمد بشناق!

وساقوا جواهر الى السجن .. وجاء علي بك بنفسه ليستجوبها عن مكان سيدها .. لكنها أقسمت أنها لا تعرف!
وأمر أن يجتذب لسانها .. ويقطع إن لم تتكلم .. وجرى بالحلاق .. والزيت المغلي يتصاعد منه البخار .. وسألها على بك للمرة الأخيرة .. لكنها لم تتكلم .. وبكت أنها تعرف مكانه .. كانت موثوقة اليدين .. ورغم ذلك تقدم منها أربعة رجال .. أطبقوا عليها .. فتحوا فمها .. ليقبض الحلاق على لسانها بكماشة نجار .. ثم أسرع بالموسى ليقطع طرف لسانها .. وأركعوه رحمة الله .. فأغمي عليها وهي ترى الكماشة تتجه داخل فمها .. فلم تشعر بما فعلوه بها!

دموع القائد

علم أحمد بشناق بعد ذلك بأيام في الإسكندرية .. لجأ الى أميرها مستجيرا .. ورحب به الأمير فألحقه بالبحرية .. وشى بأمر جواسيس علي بك غير أنه أحمد الجزار وأبدى في الأسطول براعة عالية .. جعلته يتحول الى قبطانية ذاع صيته .. ووصل اسمه الى السلطان .. على أنه أحمد الجزار .. ومنح الباشوية .. ثم الشاملية .. الى أن جاء محمد علي باشا .. وكان أن توجه أحمد الجزار الى القاهرة بعد حصارها فترة طويلة .. واستتب له الأمر فيها .. وحينما كان يعبر أحد الشوارع في موكبه .. كانت امرأة رثة الثياب .. تبدو عليها سيماء البلاهة .. خرساء .. تشير وتصرخ .. وما كاد الموكب يسير بحذائها .. حتى اندفعت تحاول اختراق الفرسان .. لكي تقترب من القائد .. فضربها أحدهم بقدمه من على حصانه .. فسقطت على الأرض .. وهي تصرخ في جنون .. لتدوسها بقية الخيول التي أجفلت .. وتوقف الموكب .. الذي ساده الهرج والمرج لعدة دقائق!

وحينما علم القائد بما حدث .. شق الصفوف بجواده .. ليلقي نظرة على المرأة التي صارت كتلة من العظام .. مخضبة بالدماء .. شاهدت ملامحه .. لكنها غمست أصبعها في دمها .. وكتبت على الأرض .. وعيناها من تحت الدماء ترسل بريقا ينطفئ : جواهر!

وقال الذين شاهدوا الموقف .. أن دموع القائد لم تتوقف على المرأة التي دهستها خيول موكبه!

عبد المنعم الجداوي

سينما

فيلم من تونس يثير قضية هامة



رءوف توفيق

عزيزة
وأنشودة للمرأة الحرة

إلى متى تظل الأسواق العربية لاتسمح بعرض الأفلام العربية ؟

لو كان السوق العربي يسمح بعرض الأفلام العربية .. مثلما يسمح – بل ويسعى بلهفة – لعرض الأفلام الأمريكية والهندية والايطالية – لحققت صناعة السينما العربية نجاحا وتقدما فنيا ملحوظا .. ولكن للأسف مازالت الأسواق العربية لا تتعرف على فنون بعضها البعض .. !!

ومازالت أفلام جزائرية وتونسية ومغربية وعراقية وسورية ولبنانية – مجهولة عند المتفرج العربي .. ومازالت أسماء فنانيها ومخرجيها غير معروفة إلا عند الفئة المتخصصة في فن السينما والمتتبعين للنشاط السينمائي العربي .. ولا تتاح فرصة للتعريف بها إلا من خلال بعض الأخبار الصحفية القليلة .. أو من خلال مقالات بعض النقاد التي أتيحت لهم مشاهدة بعض هذا الانتاج السينمائي في جولاتهم الفنية في البلاد العربية .. أو حينما يعرض أحد هذه الأفلام في مهرجان سينمائي عالمي !!

أليس غريبا ومحزنا .. أن يصل بنا الأمر إلى هذه الدرجة ؟! .. غرباء عن بعضنا البعض إلى هذا الحد ؟!

والحجة المتداولة عند موزعي الأفلام المسيطرين على أسواق العرض .. أن تباين اللهجات المحلية العربية في تلك الأفلام .. تمثل صعوبة بالغة بالنسبة للمتفرجين في مناطق أخرى من الوطن العربي .. مما يجعلهم لا يفهمون الحوار المنطوق .. ولا يستطيعون بالتالي متابعة الأحداث .. والنتيجة انخفاض الاقبال .. وخسارة الموزعين ! ولهذا السبب أحجم هؤلاء الموزعون عن التعامل مع أفلام كثير من الدول العربية !

وهذا الوضع بقدر ما يدعو للمرارة والألم – بقدر ما يطرح تساؤلا قديما ومتجددا .. إلى متى تظل مشكلة تباين اللهجات المحلية العربية – وهي مشكلة حقيقية – حجر عثرة .. وقيدا رهيبا أمام حركة تداول الأفلام العربية في الأسواق العربية ؟!

وهل عجزت مؤسسات السينما العربية .. ومنظمات الثقافة والفنون في الجامعة العربية .. واتحادات السينمائيين .. عن ايجاد وسيلة للوصول بمشكلة تباين اللهجات الفنية .. إلى صيغة مقبولة لا تؤثر على العمل الفني .. ولا تسلبه مذاقه المحلي .. وفي نفس الوقت تضمن وصول العمل إلى الجماهير المختلفة دون ارهاق في تفسير وفهم معاني كلمات الحوار المحلية ؟

عزيزة .. من تونس

لقد هاجمتني هذه التساؤلات .. وأنا أتابع أحداث فيلم «عزيزة» .. أحد أهم الأفلام العربية التي ظهرت أخيرا .. والذي تم انتاجه مشاركة بين تونس والجزائر .. وأخرجه المخرج التونسي «عبد اللطيف بن عمار» .

وترجع أهمية الفيلم للموضوع الذي يتناوله .. وللاسلوب الفني الذي تم التنفيذ به .. ولكني أعترف أن بعض كلمات حوار الفيلم .. تحديتني أن أفهمها .. واضطرتني أن ألجأ إلى الترجمة الفرنسية على شريط الفيلم – رغم معرفتي المتواضعة باللغة الفرنسية – .. وكنت كمن يلهث مقذوفا أمام سحر خاص .. أحاول ألا يفوتني منه شيء ! !

وقد استقبل الفيلم .. استقبالا طيبا في المهرجانات الدولية .. حينما عرض في مهرجان «كان» السينمائي داخل قسم «نصف شهر المخرجين» .. وفي مهرجان «كارلو فيفاري» السينمائي وفاز بأحد جوائزه .. ومن المتوقع أن يكون أحد الأفلام البارزة في مهرجان «قرطاج» السينمائي .

وكم تمنيت أن تتاح فرصة العرض



■ عبد اللطيف بن عمار .. أثناء اخراجه فيلم «عزيزة»

نموذج جيد للسينما المحلية التي يمكن أن نخاطب بها العالم
محاولة جريئة للتعبير عن واقع بعض المجتمعات العربية
إنتاج أفلام ترتبط بالواقع المعاش أمر مهم جدا!
المطلوب خلق وعي بضرورة استقلال السينما ماديا ومعنويا

● عزيزة داخل المطبخ .. وبقامتها الأنيقة

الجماهيري الواسع امام هذا الفيلم .. فهو نموذج جيد للسينما المحلية التي يمكن ان نخاطب بها العالم .. وهو ايضا محاولة جريئة للتعبير عن واقع بعض المجتمعات العربية التي بدأت تغزوها قيم الصراع المادي وشهوة الاستهلاك!

شخصيات محددة

و .. عزيزة .. هو اسم الفتاة ..
والمجتمع .. هو تونس ..
والزمن .. هذا الزمان ..

ويبدأ الفيلم بانتقال هذه الاسرة من احد الاحياء الشعبية بتونس الى حي جديد اكثر رقيا .. ويبدو ان هذا الانتقال معاناة من تقاليد واعباء اصالية ويرهق لقاطن الاسرة العجوز .. انما هو نتيجة ضغط الابن الشاب الذي يسعى جاهدا ان ينتقل الى طبقة اعلى .. ولهذا خطط واصر على انتقال الاسرة من الحي الشعبي الى حي راق كاول خطوة نحو تحقيق حلمه بالثراء!

وفي الدقائق الاولى من الفيلم .. نتعرف على ملامح الشخصيات.

فعائل الاسرة العم بشير (يلعب الدور الممثل الجزائري محمد زينة) رجل مرتبط بجذوره الاصيلة .. طيب .. وحنون .. لا اطماع له في الحياة سوى إسعاد من حوله .. حتى ولو كان هذا على حساب راحته الشخصية .. ولهذا الامر .. يشعر بالحزن الشديد على الانتقال .. ويحس فيه .. وكون صداقاته .. وتحدى .. الحي الجديد بالهمس .. بطلب .. بالرغبة .. في .. والعمل .. على .. الصفقة .. بعشرة .. والسفر.

والابن (يلعب الدور الممثل التونسي رؤوف بن عمر) على النقيض تماما من والده .. فهو انتهازي .. واطماعه بلا حدود ومستعد ان يضحي بكل من حوله ليحقق اطماعه .. وهو يريد ان يعيش حياة الترف والثراء .. ومؤهلاته الحظ والفهلوة .. وهو يحلم بأن يكون لديه سيارة .. وان يفتتح محلا تجاريا وان يعقد الصفقات ويكسب في اسرع وقت!

اما عزيزة .. فهي ابنة العم التي توفي والدها وعمرها خمس سنوات .. واصبح العم بشير هو عائلها .. تقيم معه في البيت ترعى شؤونهما .. وتتحمل نزوات الابن .. في مقابل التخفيف عن هموم العم الذي يرى الامور من حوله تسير الى حيث لا يشتهي بسبب تصرفات الابن .. ولكنه يصبر ويتحمل ربما يصطلح حال ابنه .. وعزيزة هي النسمة الرقيقة الصافية .. والتي تشيع في البيت جوا من التوازن بحكمتها وإخلاصها (لعبت دور عزيزة الممثلة اللبنانية ياسمين خلاط).

ويركز الفيلم على شخصيتين تونسيتين من جيران الحي الجديد ..

فهناك الجارة الفضولية التي لا يسلم احد من لسانها .. والتي تتباهى دائما بالاجهزة الكهربائية الحديثة التي تمتلكها .. (لعبت الدور الممثلة التونسية منى نور الدين).

ثم الجارة الوحيدة .. التي تسكن بمفردها وبالطبع لا تسلم من الشائعات الكثيرة التي تروجها جارتها الفضولية .. وهي كما يبدو تأخرت في زواجها .. وان كانت لم تفقد حلمها بالارتباط بزوج يوفر لها الامان والاستقرار .. فهي تكسب رزقها من التمثيل في ادوار ثانوية بالتليفزيون .. لا يحقق لها الاشباع النفسي بقدر ما يحقق بعض العائد المادي البسيط الذي يقيها شر الحاجة! (لعبت الدور الممثلة الجزائرية دليلة رامز).

ومن هذه الشخصيات الواضحة المحددة .. ينسج الفيلم احداثه البسيطة العميقة!

السائح والاستثمار

فالفيلم يتبع شخصية السائح في طريق الابن الباحث عن اية فرصة للثراء .. ومن هذا اللقاء الذي يدبره سيناريو الفيلم في مشهد ساخر .. تبدأ عناصر الصراع بين الشخصيات في التفجر!!

والسائح بالنسبة للدول المعتمدة في دخلها على السياحة .. مادة خصبة بالطبع.

وفي تونس .. مناقشات كثيرة حول السياحة وأثرها في القيم الاجتماعية والثقافية الاصيلة .. وربما نذكر للسينما التونسية .. موقف مخرجها الشاب رضا الباهي في فيلمه القصير .. عتبات ممنوعة .. ثم في فيلمه الطويل الاول .. الشمس والشتاء .. الذي اخرجه بعيدا عن تونس .. ويتحول لومي .. هو نقدي مشترك .. ليؤكد فيه وجهة نظره التي

مزيــرة وأنشودة للمرأة العــرة



● في انتظار الضيف العربي الثري ..!

اعتمها في فيلمه القصير .. من خطورة فتح الباب للسياحة على حساب مصالح المواطن وتكوينه الاخلاقي !

وها هو المخرج التونسي «عبد اللطيف بن عمار» في فيلم «عزيزة» يعالج نفس القصة من زاوية مختلفة ..

فالنموذج الثري الذي يقدمه في الفيلم يعلن بوضوح انه جاء لتونس بغرض استكشاف وسائل استثمار امواله في شكل مشاريع .. وكما يقول انه يرى ان احسن شيء هو الاستثمار في السياحة .. انها القمة مصلحة فهي مسألة مربحة .. اصطدم فيها اضرابات ومشاكل .!

ومعنى الكلام .. ان هذا المستثمر لا يبحث إلا عن مصلحته الشخصية وأي مشروع يحقق له العائد المجزي السريع !

من يصطاد الآخر ؟!

وهكذا يصنع الفيلم .. هذا النموذج من الاثرياء في مقابل النموذج الآخر .. الشعب الذي يريد اصطياد ابة فرصة للثراء السريع .. وتحقيق «حلمه» العمر !

وتصبح المباراة .. من يصطاد الاخر ؟! والمباراة ساخرة ومريرة !!

فالشاب يسعى لعقد صداقة مع هذا الثري .. واول خطوة لتأكيد الصداقة ان يفتح له باب بيته .. وان يدعوه لتطعام الطعام المخصوص .. ويوافق الثري على هذه الدعوة .

ويسرع الشاب الى بيته يزف النبأ السعيد الى والدته والى «عزيزة» ابنة عمه .. ويطلب منهما اقصى الاستعدادات وبذل كل ما في الطاقة للترحيب بهذا الضيف الذي سيكون شريكه في العمل بعد ذلك .

وعلى مائدة الطعام المزدحمة بكل الانواع .. يجلس الضيف محاطا بأفراد الاسرة .. ومعهم ايضا الجارة الممثلة التليفزيونية .. ويتفنن الشاب في الاحتفاء بضيفه .. و يمضي ابعد .. يشربونه .. !!

فرضاء الضيف .. معناه فتح ابواب السعادة له !

والأب يقلد الوقت .. ويحاول ان يعلن فرصة ينتهزها .. حتى يؤكد في المقابل دور موافق على [illegible] ..

ولكن «عزيزة» .. تستطيع ان تكتم مشاعرها .. [illegible] ولا تواجه [illegible] [illegible] [illegible] حرمتها المصطنعة !

ويحاول الابن السيطرة على الموقف قبل ان يتطور الى غير مصلحته .. ويسرع بأن يسحب «عزيزة» بعيدا عن صالة الطعام .. ويصرخ فيها حانقا .. وتستمر عزيزة في الضحك ثم تجهش مختنقة .

إن ما يحدث حولها .. فوق طاقة تحملها !

انها ترفض تماما تصرفات ابن العم .. واحلامه المدمرة .. وامانيه البشعة .. وفي نفس الوقت تشعر بمدى تحطمه .. وحزنه المكتوم الذي يبرى جسده .. حتى تدهورت صحته .. الى الدرجة التي يسقط فيها مريضا .. وينقل الى المستشفى !

ولا تستطيع عزيزة ان تستمر صامتة .. وتواجه ابن عمها .. بكل الصراحة والصدق .. وتحمله مسئولية كل ما جرى لامه .. وما جرى لها ..

ويواجه ابن العم بكل هذا التأنيب .. ولا يجد ما يدافع به عن نفسه .. سوى ان يصفع «عزيزة» بقسوة .. ويطردها خارج البيت ليلا .. ويلقي بحقيبة ملابسها وراءها !

لحظات التنوير

وتشعر «عزيزة» بمعاناة بالغة .. ولكنها المعاناة التي تضيء لها الطريق .. إن عليها ان تواجه حياتها .. وترتفع فوق الاحزان والآلام .!

انها لحظات التنوير التي تولد من مخاض المعاناة !

تقيم مؤقتا في منزل جارتها الممثلة .. وتتقاسمان معا تكاليف الاقامة .. تستمع الى احاديث جارتها ولكن ما في اعماقها شيء مختلف .. تكتب خطابات كثيرة الى حبيبها المهاجر في الخارج .. وتمزق ما كتبته .. ثم تكتب له كلمة واحدة .. وحشتني .. انها كمن يبحث عن الرفيق الذي يمكن ان يقف بجوارها .. ولكن اين هو هذا الانسان .. ؟!

وحيدة تماما بأفكارها واصرارها على الحق والعمل والحب النظيف .. وتقرر ان تشغل نفسها بالعمل ..

تتقدم للعمل في احد مصانع النسيج وتواجه صرامة صاحب العمل ومحاولاته لمغازلتها .. ولكنها صارمة في ردها .. ولا تنازلات اطلاقا .!

وتبدأ العمل في احد الاقسام الصغيرة بالمصنع .. انها اول خطوة في الطريق .. ولا اعتراض .!

وتوالي زياراتها لعمها الراقد في المستشفى .. انه يسعد تماما بلقائها .. فهي الوحيدة التي تزوره وتهتم به .. اما ابنه فهو مشغول بنفسه .. ولم يفكر حتى في تحمل نفقات علاج ابيه .. !!

إن قضية الابن تتركز في صفقة العمر مع هذا الثري !

ولكن هذا الثري .. مشغول بمسألة اخرى .. انها تراه يدخل الشارع بسيارته المرسيدس الفارهة ليأخذ الممثلة التليفزيونية يحققها .. ليعود بها الى بلده .. لقد قرر ان يتزوجها .. وهكذا انتهت مشاريعه لاستثمار نقوده في تونس .!!

والممثلة سعيدة جدا .. وهي تجد اخيرا الزوج الذي يحقق لها الامان .. وتقول لعزيزة وهي تودعها .. لقد اراد ابن عمك ان يشركه في ثروته .. ولكني رأيت ان اشاركه انا !



مشهد من فيلم عزيزة



● عزيزة .. غادة في الصباح .. وبداية التحدي

ويودع سكان الشارع .. جارتهم بالقبلات والهمسات .. همسات الفضول والغيرة .. !!

إن احلامهم تتوقف عند اي تنويع مشروع !

اما هذا الشاب ابن العم .. فقد انهار تماما .. لقد تحطمت كل احلامه ومشاريعه .. ويتكوم على باب بيت عزيزة .. يهذي ويبكي .. ويردد اسمها في استغاثة .. فتخرج لتأخذه بين ذراعيها .. وتسنده الى داخل البيت .. وتربت عليه في حنان وشفقة .. وتنسحب من جواره عندما يروح في اغماءة النوم !

انها تشعر نحوه .. ولا تعرف الشماتة !

فقضيتها من نوع مختلف !

ولكن حزنا عاصفا يحتويها في ذلك الصباح .. عندما ذهبت لزيارة عمها في المستشفى .. فوجدت سريره خاليا .. وبادرتها النقيا انه قد مات ! .. لقد مات وحيدا .. دون ان يشاركه احد لحظاته الاخيرة .. مات وهو يحمل قلقه وهمومه على ابنه ..

وفي آخر النهار تعود الى بيتها .. لتقع عينها صدفة على احد العابرين يقف بجوار نافذة جارتها الفضولية التي لم يسلم احد من لسانها واتهاماتها .. ها هي الجارة تتفق على موعد غرامي في الظلام !!!

إن كل ما حولها يتساقط ..

وفي تلك الليلة من ليالي رمضان .. يغطي سكان المنازل اسطح البيوت .. يتوالون السهر .. يعبرون بالوجوه .. يتأملون في شحوب .. وفي الطقوس المصرية .. بحكايا وزوادها .. الصغار الى سطح البيت تحكي ..

ولا ترى .. والحياة .. مع ملامحهم الشاحبة ..

بينما عزيزة تشق طريقها بين الات المصنع .. لتقف امام آلة ضخمة .. تهدر بصوت قوي .. وكأنها تعرف نشيد الحياة ..

وعزيزة شامخة .. مرفوعة الرأس .. وعلى وجهها كل الثقة والاعتزاز ..

لقد وجدت نفسها في العمل .. انه الطريق الوحيد للأمان .. وتحقيق الذات انها الآن .. امرأة حرة تقرر نفسها بنفسها .. وتقف على ارض صلبة .. حيث لا مجال للتهويم المخدرة .. والتعلق بأوهام كاذبة .. او الاستسلام للسقوط وانتظار المجهول !

المخرج والقضية

وهكذا كانت عزيزة كما قدمها المخرج التونسي عبد اللطيف بن عمار .. النموذج للمرأة في المجتمعات الشرقية .. ان تنفض عن نفسها اسمال العجز والجبن .. وان تخرج للحياة .. تشارك في صنعها بإرادتها الحرة .

والفيلم يقول هذا المعنى العظيم .. بلا خطابة او تشنج .. انه يسترسل في نعومة شديدة .. ورشاقة آسرة .. ليصل الى القلب والعقل .

ويستطيع الفيلم كتبه المخرج بن عمار بالاشتراك مع الممثل توفيق جبالي الذي ادى دور التركي العربي ..

وتبدو مهارة المخرج بن عمار في ادارته للعناصر الفنية المجتمعة من تونس والجزائر .. بالاضافة الى الممثلة اللبنانية القديرة ياسمين خلاط التي لعبت دور عزيزة بسحر مرهف وبدون افتعال او مبالغة .

وبنفس النجاح لعبت الممثلة الجزائرية دليلة رامز دورها المعبر ..

قام بتصوير الفيلم المصور الجزائري يوسف صحراوي .. وقدم ايقاعا منسجما مع روح العمل .. وطبيعته السلسة .

والمخرج عبد اللطيف بن عمار يؤكد بهذا الفيلم موقعه في السينما التونسية .. كواحد من اهم مخرجيها واكثرهم ارتباطا بالواقع .. وهموم شبابه .

ويأتي هذا الفيلم بعد ست سنوات من آخر فيلم اخرجه .. وهو فيلم سجنان الذي حصل به على الجائزة الفضية لمهرجان قرطاج ٧٤ وجائزة لجنة التحكيم في مهرجان كارلو فيفاري ٧٥ .. اما فيلمه الاول فقد كان يحمل عنوان قصة بسيطة كهذه وعرض عام ٦٩ واختير ضمن المسابقة الرسمية لمهرجان كان ٧٠ .

مزيـــزة والشودة للمرأة الحـــرة



● يتمنى ملاحظة فيلم «مزيزة»

وقبل ان يتجه بن عمار للافلام الطويلة كان قد اخرج عددا من الافلام التسجيلية والقصيرة.

وقد درس السينما في معهد الايدك بباريس.. ولا يتجاوز عمره الآن ٣٧ عاما (من مواليد تونس ١٩٤٣).

السينما التونسية

و «عبد اللطيف بن عمار».. عندما يتحدث عن وضع السينما التونسية، وهموم ومشاكل المخرج السينمائي في تونس.. فهو يقول: «ان انتاج الافلام مرتبطة بالواقع المالي امر معقد جدا اكثر مما نظن.. يقول البعض لماذا لا ننتج افلاما تعالج مشاكل الشعب التونسي؟.. ان من المحتمل وجود سيناريوهات عرضت على السلطات المختصة لكنها لم تتحصل الى الوسائل الكفيلة بتحقيقها.. وبالعكس هناك افلام لا تهم الجمهور التونسي مطلقا ويجري انتاجها لاسباب مختلفة.. وتجد افلاما تبرز للوجود بسرعة بينما تبقى افلام اخرى اربع سنوات او اكثر تنتظر الدور.. ان مشاكلنا كثيرة..»

هكذا تحدث عبد اللطيف بن عمار في الندوة التي نظمتها الجمعية التونسية لنوادي السينما حول النقد السينمائي.. وكان ذلك في شهر [illegible] ١٩٧٧ [illegible] السينمائية التونسية.

[illegible] جمعية السينمائيين التونسيين ومقر الجامعة التونسية لنوادي السينما.. [illegible] وقد نشر نص الندوة في مجلة السينما العربية التي تصدر في باريس.

يقول عبد اللطيف بن عمار في تحديده لازمة السينما التونسية:

«ان الثقة منعدمة في السينمائي التونسي عند جمهور السينما.. فهو يعتقد انه بامكاننا ان نخرج افلاما جيدة غير اننا لا نقوم بذلك وانما نجهل مشاكل الجمهور.. في حين ان الواقع عكس ذلك تماما.. اذ اننا لا نملك إلا الوسائل التي توفرها لنا الدولة ونحن نحاول بهذه الوسائل ان نخرج افلاما تتمشى حسب اعتقادنا مع ما يريده الجمهور.. ولعل اكبر مشكلة من مشاكل السينمائيين التونسيين هو هذا الجمهور.. فاي نوع من السينما يريد؟؟.. اما نحن فرغم اننا مازلنا في البداية فموقفنا من السينما معروف وواضح وموجود في عدة وثائق.. نريد السينما التي ترتبط بالجمهور هذا على المستوى الجماعي.. اما على المستوى الفردي فاننا نسعى الى خلق وعي بضرورة استقلال السينما ماديا ومعنويا.. واما شخصيا لا اريد ان اكون خاضعا لاي شكل.. فانا اريد ان اخرج افلاما بصفة مستقلة ترتبط مباشرة بالجمهور.. غير ان هذا لا يتأتى لي من الناحية المالية.. ورغم ذلك.. فانا اطالب الآن بحقي في اخراج فيلم مستقل بامكانياتي الخاصة.. ولكن المصالح المختصة ترفض ذلك.. لكي تتمكن من مراقبة الفيلم واخضاعه لشروطها.. فنحن في وضعية حرجة جدا ومن المعلوم ان جميع البلدان تواجه صعوبات في البداية.. غير اننا جمعنا صعوبات كل البلدان..!!

ويكرر «عبد اللطيف بن عمار» تأكيده على اهمية مساندة الجمهور للسينما الوطنية.. فيقول:

«عندما يطلب الجمهور الواسع (وليس الجمهور بمعنى محبي السينما فقط) نوعا معينا من السينما لا يمكن لاي قوة ان تمنع عنه ذلك.. فمن خلال تكوين جمهور يتعاطف مع الانتاج التونسي يمكن لهذا الاخير ان يزدهر، وذلك اذا وفرنا له جزءا من الوسائل والاحتياجات الاولية.. فاذا طالب الجمهور يوما ان يرى نفسه على الشاشة.. في ذلك الوقت تتحقق السينما الوطنية..»

«ان اكبر دعم للسينمائي التونسي اليوم.. هو الجمهور الواسع»!!

حتى لا تختنق

وما يقوله المخرج «عبد اللطيف بن عمار».. صحيح تماما.

واضيف هنا.. ما ذكرته في بداية مقالي عن ضرورة ايجاد وسيلة لتداول الافلام العربية في الاسواق العربية!

فمن غير المعقول.. ان تظل مشكلة تمايز اللهجات المحلية في الافلام العربية.. قيدا رهيبا على حركة تداول الافلام!!.. ويقضي حتما بالاختناق والشلل على السينما الوطنية!

«رءوف توفيق»



شجاعة الأمل ...

ذات ليلة من ليالي الصيف القمراء استأجرت قاربا، وأخذت أجدف بعيدا عن الشاطىء الحافل بالضجيج، طلبا للهدوء والتماسا للراحة من عناء العمل طوال النهار. كانت يداي تحركان المجاديف التي كانت مجاورها الصدفة تحت وطأة مياه النهر الثقيلة.

تكاثرت عوامل عديدة جعلتني أشعر بالملل من حولي.. فأضواء الإعلانات الملونة كانت تنعكس على صفحة الماء في منظر يبعث على الانشراح والسرور، والنسائم الرطبة المشبعة برائحة الخضرة تخلع على الهدوء والانتعاش. وكانت من حولي مجموعة من القوارب بها العديد من الفتيان والفتيات سرعان ما ابتعدت، وبقيت ضحكاتهم يتردد صداها في ذلك الجو الهادئ.

وفي غمرة سعادتي اكتشفت أنني ابتعدت كثيرا عن الشاطىء، وأنني لا أجدف، وإنما القارب يسير بقوة دفع التيار.

أحسست بالخوف لطول المسافة بين المكان الذي وصلت إليه وبين الشاطىء، ورأيت الظلام من حولي يكتنف المكان، ولا يؤنس وحشتي سوى انعكاسات أضواء الكوبري العتيق التي [illegible] الصورة الخافتة [illegible] أعصابي، فأخذت أجدف بكل قوتي ليبدأ القارب في التحرك بسرعة، وهنا دبت الثقة في نفسي وتملكت علي، وتثبت بقوة.

ولكن ظل الصمت يحيطني بالرهبة فتذكرت كلمات قرأتها ولم أدر وقتها أين أو من قائلها ومؤداها: إنه إذا ساد الصمت وأطبق فيجب التغلب عليه بافتعال الضوضاء. وأخذت أحدث صفيرا عاليا بشفتي، بينما كنت مشغولا بحصر المسافة الباقية للوصول إلى الشاطىء خوفا من أن تتعب يداي، ومررت موازيا لدعامات الكوبري، وازدادت ضربات المجاديف بسرعة وقوة وعلا صفيري معبرا عن الأمل.

فجأة.. سمعت صوتا متحشرجا انخلع له قلبي، نظرت حولي لأكتشف السر، فما وجدت شيئا، ولكن فقد المجداف في لحظتي، وعرفه المنظور بقليل صراحة أن المجداف قد انكسر.

وارتجفت أعمدة الكوبري العتيق الذي كنت أمر من تحته، متحدى الصوت الحاد الذي مزق السكون، وكأنما يسخر الكوبري مني ويتحداني في صلف، وتخيلت الكوبري يضحك ملء شدقيه، وأحسست أن الصمت شد أصابعه القاتلة حتى تكاد تزهق روحي، وانعكاس أضواء الكوبري بدت لي وكأنها شموع سوداء على جانبي درب يؤدي إلى مكان ما موحش سوف أحاسب فيه على ما اقترفته في حياتي.

وانتبهت فجأة على صوت نبضات قلبي عاليا في إيقاع سريع متلاحق الأنفاس، وأحسست بالفرح لأن الصوت جاء في اللحظة المناسبة ليعلن الحقيقة وهي أنني مازلت حيا ومالكا عقل أمري.

وبتلقائية عجبت منها فيما بعد، انتزعت المجداف السليم من محوره المثبت في القارب، وأخذت أجدف به يمينا ويسارا متحملا وزر المجداف الثقيل، فتحرك القارب.. وعلا صفيري من جديد يحمل بين أنغامه إحساسا بالانتصار والنجاح، فقد اقتربت الأضواء السيرة، وأخذت وجوه الناس من جديد.. لقد وصلت إلى الشاطىء وفي ثقة قفزت إلى الأرض، ومن بعيد لاح لي الكوبري ذليلا منكسرا.

صباحي السيد
القاهرة



المساحة البطولية

سكانات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنا والآخرون

سألوني هل تريد أن ترى البخل في رجل ؟ فقلت أجل ، قالوا عليك بكرم ، شقيقه جاورت البهو ، فاستحت أنا أن لا أستحي منه ، قالوا وهذه غاية البخل منه ، فهو لا يتبع أسرابه ، ولا يمكن منه جارا أو جاره ، حتى إنه لم يتزوج ، مقاطعة للتحيح ، قلت وكيف السبيل إليه ، قالوا هدية تشفع الدخول بيده ، ثم اطلب لقاءه فسيبتسم لك رداءه ، فعملت ما قالوه ، وحملت نسبة من الحلوى ، جعلتها بطاقة الدخول ، واتفقنا وكلي فضول كل ضئيل الجسد ، نحيل القد ، معدوم العافية ، كالمسموم بلا الثاقبة وكأنه المقصود بذلك البيت المشهور :

إن في عرانى جسما ناحلا
لو توكأت عليه لانهدم

سألني هل لك في كوب من الشاي فقلت لا بأس بالأمر ، وظني أنه سألني أو مدحني ولكنني لم أعلق على تشبيهات مختلفا بحل عقدة لسانه ، وبدأت أحوم حول هدفي ، أقله في غفلة لتطفل فسألته عن الأحوال ، فقال على الصحة ؟ فأكد أنها منشرحة ، حتى سألته فلماذا لم يتأهل ؟ ، مع أن مثله لا يجهل فوائد الزواج ، وكيف أنه علاج الاشتياق ؟ ، فقال حاولت كثيرا ، ورأيت كثيرا ، هل أحكي لك حالي ؟ ، فقلت هذا سؤالي ...

قال الزواج المبكر نعمة ، وهو في النهاية نصيب وقسمة ، وهو دائما يحب التفكير ، في الهين والخطير ، واستطرد في البيان ، دائما على الآن .

وقد تعودت أصحو في ساعة مبكرة ، فيما قبل نوم الليلة الأخيرة ، وهي عادة ورثتها عن جدتي الفلاحة والفلاحين ، الخارج عمر نجم اليوم الذي ينام خمس ساعات لا غير ، ويصحو قبل عصافير الطير ، ثم يقوم كالحصان ، في طبق بالفول ملآن ، وطاسة سمن بلدي يفوح شذى سمنه في الجو ، وطبقين آخرين منجدين مختلفين ، فهذا جبن بالريش ، والثاني من بلاد السلطان دوريش ، يتوسطهما صحن فوط ، يفرق فيه الخيار والقرنبية ، سربع فيه الليمون المعصفر ، والزيتون الأحمر ، ويجن الأكل والزبدي ، وقد المفتخان بمؤلف ، يدعوا بالقهوة والشاي ويحليها كلامية قبلة الغروب ، وقبل كل هذا الأدام الشهي ، تكون من الخبز الفرنسي ، فيه حرارة اللون ، ونضارة اللون ، وكعكة قمحية ، كأنه رغيف ، معجون بالحليب ، وهو الفرح فتلة علا أوروبية ، فاسقيوا الفواكه والفطيرين ، أي العجين ، وكل هذا [illegible] [illegible]

وقت الغداء ، المفتحت شهيتي الغرام ، حيث النوم طبق فول ، ... الغيرة بتغيير الأيام والشهور ، لا أستم التكرار ، لأنه جديد بالحوار ، في الشكل واللون ، فهو مرة بالزيت وبسية ، بالسمن وثالثا بالشطة المعصورة ، ورابعة منظفة مشورا ، وخامسا بالطل والليمون ، وسادسا بالقمح والليمون ، والطماطم الطازجة التحويها ستعمى منها وتغير الإيقاع ، فالذي من قدرة بعيدة عالي التعقيدة ، لا تطيق رؤية أي ذي زوج أو متزوج ، رغبة في التعقد ، وأنسى أن بيتي خالف بعرف ، أو البدل الكثير ، فقد تهمني بذلك بعض المناقشة ، وليس هذا المراد بنو ، ولا غيره فمن سيقوم في العلاء المغربي ، فقد ملك عربي ، مثل مشبه سيرته في الطبقة ، والحديث إلى سعد الشغالة ، وتعود أهل الغداء ، الذي أقل احترق حتى السمك ، ثم العشاء ، وكيف ساق والأستسلام ، وفي بحيرة العقول والأجسام ؟؟ فأهبط عن الكوابيس والزلازل ، وجميل الشاعر الفتى تم خففا ترى الوجود حقيقة ؟ وبعد تقدم بي العمر ، تفاوت في الأمر بنا الآن في الخمسينة والثلاثين ، ولم أخل منها ينصف البين ، فمرفض العدو والرواج ، عن المثقفات الصلاح ، وتشغلني العليد ، من بعد السنا تلوت ، لأوان وصح مني العزم والاستيقان ، على ضرورة الدخول نحو الحياة مقبول فلنستي طبق الفول ، ومع ذلك مرات حتى اللحظة ، لم أجد ما تعنيه للفتاة لا غير قصد ورغبة لي ، مثل أنفار لأحال ، وحتى لا شيء فهم كقلبي وتنسمي لأهل القصور الذاتي ، أحكي لك ما كان ، والله المستعان !

بعد تخرجي من كلية الآداب ، فقلنا بالنحو والإعراب ، وجدتني أستاذا للعربية بمدرسة العباسية الثانوية ، وبعد عشرة أعوام من توظفي ، دخلت أبحث في جيوب معارفي ، عن زوجة تليق بأصالة الشرقي ، وعراقة منبتي

وترجتني العقيبة التي خرجت بها من الكلية ، وكنت استقبل باحترام وترحاب ، ألست من خريجي الآداب ؟!

حلم سعيد قصير ، أصحو بعده على الواقع المرير ، فحجرة إعلان معاريفي يعتذرون عن شرف مصاهرتي ، فالبنت صغيرة ، أو نريد استكمال دراستها الكبيرة ، أو أن فاتحتها فرصة ، على أن عنها تلبث !! إلى آخر تلك الأعذار التي أصابتني بالدوار ، فالصغيرة تتزوج بعد أسبوع ، من أي جربوع ، وعاشقة التعليم ، تدخل دائرة التحريم ، والنظروة فاتحتها على آخر العمر ، تظل بلا زواج حتى اليوم !

وكنت أعجب لمستوى الاقتصادي ، كان غير عادي فبالإضافة لراتب الوزارة ، هناك ايراد بيت ألفت جدارة ، من عدد أرض زراعية ، بمحافظة المنوفية ، وما إلى نقود سائلة في البنك ، تحسبا لأي ضنك ، أي أنني كنت وكل المقاليس تعد العريس ، ورغم ذلك يمن اكون ، إلا أنه انتابتني الظنون ، لسقوط حجتهم ، والدواء بيتهم .. لعلهم يطمعون في الأغنى مني ؟ ولكن بنت إبراهيم حسني تزوجها ميكانيكي فنان ، لايزال أجيرا حتى الآن ، أو لعل عمر سني ، هو الذي أبعدهم عني ، ولكن البنت ياسمين تزوجت من كهل في الخمسين ، أو لعلهم يطمعون في نسب أرقى ، ودم أنقى ، وبنت الزمخشري عفريس ، تزوجت من عسكري بوليس ، ورحت أفتش طويلا في أعماقي ، بحثا عن العلة والأساس ، وقلت لعل ملابسي ، هي سبب تقاعسي ؟ فقد طالت سنيتها ، وحالت ألوانها ، والناس ينظرون عن المخطف ، أن يكون ذا ثوب قشيب ، ولنا شغلتني المعالي الجوهرية ، عن هذه السفاسف المظهرية وسايرت القوم ، ولنا أنس ذلك اليوم الذي خضعت فيه للعادة ، فصبرت عقودا جمة ، ذلك التي اشتريت رباط عنق لونه مؤتلق ، وجوربا راعيت فيه ملاءمته لكل ما ارتديه ، تجديدان مهولان لم يحدثا لي قبل الآن ، ولما رضيت عن مستوى الأناقة ، عاودت الانطلاقة ، ورحت ابحث في البيوت ، وأخرج وأنا مبهوت ، فقد تكرر الرفض العجيب ، وإن تغيرت الأساليب .

وقلت لعل حجتهم غير البالغة ، في دخولي عليهم بيد فارغة ، وإن كان كذلك فما أيسر المسألة ، بدأت التجوال ، وفي يدي كيس برتقال ، تعددت اختياراته ، بين الفاكهة والجدارة ، فتفاحة الجنة ، علاج للمراكيم ، أي أنه دواء ومراح ، واحتواء والتحاد ، وما جدوى تعلم الثقافة ، إن لم يساعدني في اختيار الهدية ، ثم هو فاكهة كل الأعمار ، ومصابيح تضيء بالنهار ، كما أن للقشرة فوائد مذكورة ، وغير مذكورة ، فهو يربت ربا ، حتى يصير قريبا ، وينفع ويفيد ، حتى يصبح [illegible] ، كما أن تجفيفه علاج لنزلات البرد الخفيفة ، ولكن كل هذه المزايا ، لم تشفع لي عند أيلة العصابا ، فعدلت عنه إلى [illegible]

[illegible]

وخرجت [illegible] الطمع في جمعة ، فلتقل الساعة ، هكذا حدثنا منصور بن منصور ، في كتابه (البر المثنون) .

وما كنت جشعا مطلقا ، وواقعيا مرنا ، فقد يئس الناس مني ، وأعرضت عنه فأعرض عني ، وكما يقول المثل الوهاج ، لا معنى لليأس مع الزواج ، تخففت شروطي المجحفة ، وأولها أن تكون مثقفة وعدلت عنها إلى مجرد شرط ، فقد الحظ ، وقد نحمد الله كثيرات ، وعاودت السؤال والزيارات ، ولكن كلا ، فحتى هؤلاء رفضنني بعلا ، وغيرت المجال ، بحثا عن متوسطات الجمال ، فكان الحال هو الحال ، بل إن سميرة ، أعرضت عني بأنفها الكبيرة ، ولم يعد أمامي من الاختيارات ، إلا صاحبات العاهات ، فزورت العرجاء ، وأعرضت الحولاء ، ورفضتني الطويلة البلهاء ، وانصرفت إلى غيري القصيرة الأنحاء ، وهكذا رضيت بهم ولم يرض بي ، وخذلني قريبي وصاحبي ، وكل نفعني تزوجت ، ومن دنيا العزوبية خرجت ، أما أنا

عابر بلا عنوان ، وعود غير ممدود ، لا أسرة ولا أهل ، ولا خضرة ولا ظل ، وقد جاوزت الخمسين من عمري المديد ، وأنا وحيد فريد .

وشكوت لخالي حالي ، فقال لا تبالي واشكر الله ، فقد نجوت من متاعب الحياة ، فالزواج يحتاج لمصاريف وتكاليف ، حتى لو تزوجت ليلى بنت الريف ، ثم بعد هذا المول ، تأتي أغنية العيال ، إطعام والملبس ، وشراء كتب وكراس ، واليوم أصحاء ، وغدا تدفع ثمن الدواء ، فسعيد مرتفع الحرارة ، وسعيدة ضاعت حذاءها في الحارة ، وعبد الحميد يريد دراجة ، خصوصيا لأنه بليد ، وبعد كل هذا من بعده ، لعلهم يصيحون معقبك ، فهذا ملازم البوليس ، وتلك ضحك عليها إبليس ، والثالث للتخلف العقل ، تروسه عربة نقل ، وهكذا ليس وراء العيال ، إلا ضياع المال وانشغال البال ، فحمدت رب العالمين ، الذي أنقذني من الزواج والبنين ، وشكرت خالي ، الذي [illegible] من ضلالي ، فقد نصحني بصدق ونصحني برفق ، فهو للآن لم يتزوج ، ولبنا طال عمره [illegible] ، ما أبلك في خوف من الحروب ؟ فقلت مطلوب ، موقف وقال سعدنا بزيارتك ، ونعمنا بعطايك ، فلا تحرمنا ليبا المفضال ، كريم السؤال .

وكانت هذه العبارة ، إيذانا بانتهاء الزيارة ، وغادرت كره المذكور ، وقد قرأت ما بين السطور ، وعلمت أن البخيل محروم منكوب ، وقد قالوا الكفن ليس له جيوب ، إشارة إلى أنه سيترك ما جمعه بيديه ، وتعب فيه وسهر عليه ، إلى من سيجعله بددا ، إن لم يكن اليوم فغدا ، لقد ضيق على نفسه في الحياة ، ولم ينعم بما كسبت يداه ، فلماذا يجمع ويجمع ، بدأب لا يشبع ؟ على أنهم يقولون ، ويؤكدون ، أن في البخل لذة ، لا يعرفها إلا أصحاب الأيدي الكزة ، فمجرد التكديس ، يعطيهم بطريقة لا شعورية ، إحساسا بالراحة وهم يملأون الصندوق ويغلقون مفتاحه ، وحتى لو صح ما يقولون ، فنحن بالإنفاق والصرف راضون ، وكل ميسر لما خلق له ، وهذا يجمع وذاك يطرح عنه ، والدنيا كالساقية تدور ، وإلى الله ترجع الأمور .



رحلة مع
ألف ليلة وليلة

هذا الكتاب الواضح .. الغامض !!

فى الأعمال الأدبية لم يجتمع الذيوع والسطوع والجهل المشروع وغير المشروع كما اجتمعا فى هذا الكتاب مدار اللقاء وقصد الحديث .. صفتان متعارضتان - أو يبدوان كذلك - ولكن يبدو أن المبالغة فى شهرة القاهرة تغذى أعلاما وتطوى أخرى .. ولنأخذ «جحا» مثالا لهذين المجالين المتعارضين فالكل يحكى طرائفه ونوادره ولكن كم منهم يعرف حقيقة هذا «الجحا» ؟ .. هل هو العربى «دجين أبو الغصن بن ثابت اليربوعى المصرى» .. أو التركى «نصر الدين خوجه» .. أو المملوكى «جاهان» ؟؟ .. أو هو لا هذا ولا ذاك ولا ذلك وإنما شخصية اخترعت اختراعا وتمكنت من الوجدان ونسب الناس إليها كل ما يليق وما يناسب ما عرفوه عنها ؟

ومع هذا فإن اسمه أصبح فى حد ذاته علما على اجتماع الحكمة والحماقة فى ثوب واحد .. والكتاب مدار اللقاء وقصد الحديث هو «ألف ليلة وليلة» وكلنا سمع بها .. حكيت لنا صغارا وقرأناها كبارا .. وصافحتها الآذان والعيون حين بثتها الإذاعة المرئية والسمعية فى أعمال أبرزت من عباءة «ألف ليلة» مساحة شرقها استلفت المقلدين والمترجمين والناشرين والمسرحيين والموسيقيين والسينمائيين .. وجعلت مفكرا مثل «فولتير» يقرأها ١٤

مرة. وساهموا بعدها بعقل ... يشكلون ... يتداولها ... الحواديت ... العقل الشعرى ... ما فى بنيانها من ذاكرته الموسيقية ... من جديد.

هذا هو الذيوع والسطوع .. فماذا عن الجهل المشروع وغير المشروع ؟!

وهل هناك مشروعية فى الجهل ... ؟ .. نعم من باب غض الطرف ومراعاة الظرف فلا يحق لك أولى أن تلوم مواطننا العربى العادى لأنه لا يعلم أن «ألف ليلة» ظهرت فى اللغة الهندية ثم الفارسية فالعربية وأن أجدادنا حين ترجموها من اللغة «البهلوية» - الفارسية - أضافوا إليها لوتين من الحكايات البغدادية والمصرية .. إذا نحن فعلنا ولذاه نكون قد ظلمنا عقولنا وظلمناه وحاولنا إلزامه بما يخرج عن طوقه ويدخل فى دائرة الدارسين والمتابعين والمختصين .. هذا هو الجهل المشروع والمغتفر .. أما غير المشروع فهو جهل أوساط المثقفين أو ما اعتدنا النظر إليهم باعتبارهم مثقفين (بفتح وكسرة القاف!) .. نعم .. وقوف على حد علمهم بألف ليلة عند نفس مستوى المواطن العربى العادى والذى لا يزعم لنفسه ثقافة أو تثقفا .

هو إذن جهل غير مشروع وغير مغتفر ترتب عليه أن شغل علماء الغرب فى استجلاء كل خبيئة ودقيقة فى مادة «ألف ليلة» تاريخيا وفنا ونقديا مستخرجين منها ومقاربين بها من سيمفونية «شهرزاد» إلى فيلم «لص بغداد» وما بين هذين المستويين من محاكاة واستلهام ونقل واستشراق «الديكاميرون» - بوكاتشيو ١٣٥٣ ميلادية «جارجانتوا وبانتا جرول» - رابليه ١٥٣٠ - «القاصيص كانتربرى» - تشوسر ١٣٩٠ - كل العالم استفاد وعرف كيف يستفيد من «ألف ليلة» إلا نحن .. فمعنا بمتابعة السطح أملا فى أن يفتح «سمسم» بابه ونركب البساط السحرى ونعثر على التفاحة الشافية من العلل والأمراض .

بل وحتى هذه الخوارق لم نتوقف عندها كما ينبغى .. بل تعاملنا معها على أنها نوع من الطرفة والتسلية إما أن تكون استشرافا وإرهاصا ورغبة فى تخطى المنجزات التقليدية لهذه الفترة .. فهذا كله لا شأن لنا به ! تركناه للغرب ليكتشف أن «الزنبيل» الذى كان يرفع بالحبال إسحق الموصلى من الشارع إلى القصر يمكن أن يتحقق ويصبح المصعد الكهربائى وأن الخاتم الذى يخرج منه المارد بلمسة واحدة هو حلم إنسانى بعصر التكنولوجيا ومنجزات العلم التى

يقال لها كن فتكون.. والمغارة التي تنفتح تلقائيا بمجرد كلمة سحرية هي أبواب اليوم التي تنفتح وتنغلق بمجرد الوقوف أمامها والمرور منها وجبل المغناطيس الذي يجذب مسامير المراكب فتنخلع وتتحطم اليس هو الانغام المغنطة التي تتجه إلى هدفها فلا تبقي ولا تذر.. وطائر الرخ الذي يحمل الصخرة الكبيرة ويلقيها على السفينة ماذا ينقصه إلا ألف عام ليكون طائرة قنابل عابرة.. وجراب الكردي الذي زعم صاحبه أنه يضم الحصون والقلاع والحيوانات والأسلحة والجنود والقضاة والكروم والبساتين.. وهل صندوق التليفزيون غير ذلك ؟!

والحديث ما يزال عن ألف ليلة..

وأول ما نجد أنفسنا مضطرين للوقوف عنده هو اسمها.. لماذا ألف ليلة وليلة وليست «ألف» فقط ؟.. الواقع أن هذا كان اسمها «ألف ليلة» كما نص المسعودي في مروج الذهب ـ ٣١٠ هـ ـ حيث يقول «وكتاب (هزار أفسانة) ومعناه بالفارسية ألف خرافة والناس يسمون هذا الكتاب «ألف ليلة».. ولم يخرج «ابن النديم» في الفهرست عما ذكره المسعودي.

ثم أشار «المقريزي» في «الخطط» والمقري في «نفح الطيب» إلى الكتاب على أنه «ألف ليلة وليلة» ونسبا هذه الليلة الزائدة إلى مؤرخ مصري عاش اسمه وضاع كتابه.. هو القرطبي وكان معاصرا للخليفة الفاطمي «العاضد» آخر خلفاء الفاطميين ١١٦٥ م.. ولكن لماذا زاد «القرطبي» ليلة بعد أن كانت ألفا فقط ؟ مؤرخ اسمه «جيلد مايستر» قال إن العرب تتشاءم من الرقم الشفع «المزدوج» وتتفاءل بالفرد ولهذا قالوا «و ليلة» ! ولو سألنا «جيلد» من أين له هذا اليقين لما وجد نقلا يؤيده أو عقلا يساعده.

وقال آخرون إن سبب الزيادة الرغبة في أن تكون التسمية ألطف إيقاعا وأكثر نغمية ـ وهؤلاء مثل «جيلد» طافوا وما أضافوا.. وصالوا وما زادوا وإن جاز لنا أن نتصور سببا للزيادة فليس معنى هذا أننا نضيف أو نزيد لأن العرب ببساطة اعتادوا في فصاحتهم وعاميتهم زيادة

الواحد بعد المائة والألف.. نوع من المبالغة اللطيفة وكأنهم يقولون «وليس بعد هذا زيادة لمستزيد».

ولكن ما هي هذه الليلة الزائدة والأخيرة.. ماذا تقول وتحكي ؟.. بطلها مصري اسمه معروف الإسكافي وله زوجة سيئة الخلق والخلقة وباطنها كظاهرها قبيح ـ فهرب منها وتركها في مصر وتقلبت به الأحوال والأوطان حتى صار هو السلطان وهمت زوجته واسمها «فاطمة العرة» ـ بكسر العين وتشديد الراء لقب يوحي بالتحقير والازدراء ـ علمت بما آل إليه حال زوجها معروف فاحتالت حتى ذهبت إليه ودخلت واستغفرته من سابق إساءتها فصدق توبتها وانقادها في القصر تأكل وتشرب [illegible] برضاء الله.. ولكن «فاطمة العرة» أبى قلبها الخبث فقد تزوجت معروف وهو [illegible] ولم تكتسب منه [illegible] [illegible] سلطان [illegible] والجحيم [illegible] حتى [illegible] إهلاكه بواسطة حجر الطلسم إلا أن ابن [illegible] وهي تسرق فعاجلها بضربة سيف قطعت رأسها الشائب المخوف ـ

ويقول معروف لولده «أراحك الله في الدنيا والآخرة كما أراحني من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها إلا لهلاكها».. تقول شهرزاد «ومضت لمعروف الأوقات وطابت المسرات إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت» مجلد ٤ طبعة بولاق صفحة ٣١٧.. ولاحظ ختام هذه الليلة.. وكيف أنه رثاء مطلق.. ولاحظ أيضا أنها وضعت في آخر أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وكأنها إشارة إلى ملك يتضعضع وبنيان يتقوض.

ولعل حكاية السندباد أن تكون أسبق قصص هذا الكتاب وتتضمن سبع رحلات قام بها «سندباد» في بلاد الهند والصين في عهد ازدهار بغداد والبصرة.. مما جعل الرواة والقصاصين يوشونها بزخرف المبالغة وغرائب التخيلات وعجائب الشطحات.. ومع ذلك لو جردناها من عنصر اللامعقول لرأيناها

تتحد في التفاصيل مع ما كتبه الرحالة العرب حول ذات الموضوع مثل وصف جزر الموراجا وأسطبل الملك في سيلان بواسطة التمور.. ودفن الزوجة وهي على قيد الحياة إذا مات عنها الزوج في الهند.

وليس صدفة أن تثير هذه الرحلات السندبادية خيال المستشرقين فتكون أول ما يترجمونه من كتاب «ألف ليلة وليلة» فعل هذا «جالان» الفرنسي [illegible] الرابع عشر والذي قال [illegible] جيل المستشرقين الأول [illegible] «جالان» ترجمة ما عثر عليه من مخطوطات ألف ليلة وتم طبعها في اثنتي عشر جزءا في الفترة من عام ١٧٠٤ ـ ١٧١٧ م.. ولقيت هذه الترجمة [illegible] بالغا في الثقافة الأوروبية التي [illegible] قراءة التعرف على كتاب ألف [illegible] ترجمت عن الفرنسية إلى [illegible] [illegible] الإنجليزية عام ١٧١٢ [illegible] اسم المترجم الذي [illegible] حتى عنوان الكتاب.. تحولت ألف ليلة [illegible] في الترجمة الإنجليزية [illegible] العربية.

ولا تزال حتى الآن تترجم إلى اللغات وتتبدع في كل بلدان [illegible] [illegible] الشرقي من خلال [illegible] الطبيعية [illegible] الشرق [illegible] والأشكال [illegible] الشعبي التي [illegible] الجماهير الكادحة [illegible] ١٩٥٦.

ولأن هذا هو الكتاب قرأها بكل اللغات وعلى كل الوجهات فما أكثر ما انفعل بها ولها أكثر من باحث وجعلت ألف ليلة [illegible] الدراسات الجامعية [illegible] [illegible] وبالفارسية [illegible] فماذا عما نحن [illegible] دراسة الدكتورة سهير القلماوي التي نالت بها درجة الدكتوراه.. ثم صمت عميق وعقيم حتى انعقد في بغداد منذ أشهر عام «المؤتمر العربي للفولكلور» الذي جعلها ضمن جدول أعماله.. ثم أيضا صمت عميق عقيم.. ولا تزال ألف ليلة مجمع أبوا الذيوع والمشروع والمجهل المشروع وغير المشروع وإلى لقاء آخر.

المسابقة

حل مسابقة : من . أين . ما ؟ العدد ٥٨

من : معاذ بن جبل .
أين : غار حراء .
ما : القرآن ..

١ ـ الشمالي الشرقي .
٢ ـ عمر بن الخطاب .
٣ ـ البحر الاحمر .
٤ ـ ١٢١٥ .
٥ ـ الجيلوتين .
٦ ـ لا ليست هذه العبارة صحيحة علميا .
٧ ـ ليت هـــذا انجزتنـــا ما تعــــد
وشفت انفسنا ممـــا تجـــــد
قائله : عمر بن ابي ربيعة .
٨ ـ المسافة بين القاهرة وبغداد اطول من المسافة بين القاهرة ودمشق .
المسافة بين القاهرة وبغداد ٧٥٠ ميل ، والمسافة بين القاهرة ودمشق ٤٦٠ ميل .
٩ ـ ٣٦٠ درجة .
١٠ ـ الامام الشهيد حسن البنا .

من . أين . ما ؟

● من : ـ
بطل شجاع لقبه سيد الشهداء واسد الله ، من بني هاشم ، اسمه من اربع كلمات في خمسة عشر حرفا :
١٠ ـ ١٤ ـ ٧ ـ ٦ ـ ١٥ لعرة الكرم
٣ ـ ٥ ـ ٩ ـ ٤ بعض من اللبن .
١ ـ ١٣ ـ ٢ كمن معتف .
١٢ ـ ١١ ـ ٢ ـ ٨ مكان اللعب .

● أين : ـ
موقع في ملحمة الاسلام الأولى استشهد فيه ذلك البطل . اسمه من كلمتين في ستة حروف :
[illegible]
[illegible]

● ما : ـ
الحيوان الذي تشتهر في شعر العرب والذي يمكن أن يكون مصدرا للحدود أو احدى الحرب في استغلال مناطق كثيرة في الصحاري لتربيته ولتنظيم صيده بعقل وعلم ، اسمه من خمسة احرف :
١ ـ ٤ ـ ٢ عشيرة او اقارب .
٥ ـ ٣ قرينة الاب .

الجواب الصحيح



١ ـ مؤلف تاجر البندقية هو الشاعر الشهير :
ابو العلاء المعري ـ شكسبير ـ جوته .
٢ ـ عام الرمادة وطاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة كان على عهد امير المؤمنين :
عمر بن الخطاب ـ عمر بن عبد العزيز ـ علي بن ابي طالب .
٣ ـ يتفوق الماس طبقا لهندسة النظام البلوري :
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟
٤ ـ واضع الاساس الاول لعلم الضوء والبصريات هو العالم العربي المسلم :
جابر بن حيان ـ الحسن بن الهيثم ـ الخليل بن احمد .
٥ ـ يقطع عقرب الثواني في الساعة بين كل علامة من علامات الثواني والتي تليها مقدارا من قوس الدائرة يساوي :
٤ درجات ـ ٦ درجات ـ ٧ درجات بالقياس الستيني .
٦ ـ كانت كنيته الشاعر العربي الاشهر الذي هجا كافور الاخشيدي :
ابو العتاهية ـ ابو الحسن ـ ابو الطيب ابو زيد .
٧ ـ تبدأ منابع النيل في قلب افريقيا في دولة :
بوسوتو ـ اوغندا ـ تنجانيقا .
٨ ـ تقع جزيرة حالول في المياه الاقليمية لدولة :
موريتانيا ـ قطر ـ اليمن .
٩ ـ كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) تأليف العلامة :
الشريف الادريسي ـ الشريف الرضي ـ الشريف البرقاوي .
١٠ ـ من اسماء الاسد في اللغة العربية ثلاثة مما يلي استخرجها وسطرا :
السفاح ـ القسورة ـ الشنفرى ـ الليث السبع ـ القاتل .

نتيجة مسابقة شهر أكتوبر ١٩٨٠ العدد ٥٨

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارئ : محمد يوسفة ـ المعهد الفني بمدنين ـ ١٠٠ ع مدنين ـ تونس .
● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : امنة محمود القداني الرصيفة ـ ص . ب ٣٧٧ ـ الاردن .
● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارئ : شكيب محمد باجـــري ص . ب ٤٠٤٧ ـ ١٠١ كريتر ـ عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة :

١ ـ فحرش عبد الرحمن ـ الجزائـــر
٢ ـ علي عثمان العوضي ـ الســودان
٣ ـ مراد محمد رفعــت ـ ج . م . ع
٤ ـ جابر محمد حسن خليل ـ ج . م . ع
٥ ـ صالح ابراهيم صالح ـ قطـــر
٦ ـ صبري محمد جلمبوط ـ ســورية
٧ ـ صالح محمد جمعة جدايل ـ لبنان
٨ ـ جمال محمد ابو هلالـــة ـ لبنان
٩ ـ محمود يوســف ـ السعودية
١٠ ـ مرج مروان جميل مراد ـ الكويت
١١ ـ ابتسام احمد الجودر ـ البحرين
١٢ ـ احمد الخروبي . اثينا ـ اليونان

كلمات ساخنة

● يمكن أن تبدأ الصداقة بابتسامة والأحسن من ذلك أن تنتهي بابتسامة

أوسكار وايلد

● ثمرة التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة

علي بن أبي طالب

● الحرية الفارغة أكثر جفوة من العبودية المطلقة

برنارد شو

● إن الأربعين عاما الأولى من حياتنا هي محك الاختبار لقدرتنا، أما الثلاثون التي تليها فهي مرحلة تفسير وتأويل لما مضى منها

● ساعة ضحك في اليوم أكثر منفعة من زجاجة دواء

مثل لاتيني

ريمون دريق
سوريا

بحكم المهنة



تزوج نشال محترف من نشالة محترفة ولما وضعت الزوجة مولودها الأول كان له قبضة يد مقبوضة، فسارعت الممرضات إلى تحريكها، وبعد وقت غير قصير أمكن فتحها فإذا فيها ساعة يد الممرضة التي كانت تولد الأم.

محمد وزة
النبك - سوريا

ذكاء عراف

تنبأ عراف بموت صديق الملك لويس الحادي عشر في يوم معين وصدقت نبوءته.

وكان يؤمن بالخرافات والسحر فشك في أن العراف قد فعل ذلك بقوة ما يعرف من سحر فبيت قتله واستدعاه إليه وسأله:

يبدو لي أنك على جانب كبير من الذكاء فهل تستطيع أن تخبرني بما يخبئه لك المستقبل؟

فأدرك العراف ما ينتوي الملك وقال له: يخبئ المستقبل يا مولاي بأنني سأموت قبل موتك بثلاثة أيام.

ومنذ ذلك اليوم ظل الملك لا يتحرك إلا ويرافقه ذلك العراف للمحافظة على حياته!!

حسين محمد عقبة
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

كلمات لها معنى!

● لا تقاوم الشر بالشر، ولا تشترك مع الشرير في شره، فهاتان القضيتان بينكما

«تولستوي»

● النزاع الطويل يعني أن كلا من الفريقين على خطأ

«فولتير»

● لا تستحي من إعطاء القليل، فالحرمان أقل منه

«علي بن أبي طالب»

● كن قاسيا في الكلام لتكون قويا، فإن قوة الرجل في لسانه وإن الكلام لأقوى من القتال

مثل مصري قديم يوصي ابنه

● الصديق المزيف كالظل، يمشي ورائي عندما أكون في الشمس، ويختفي عندما أكون في الظلام

«جبران خليل جبران»

جمال محمد كمال الدين صغير
كلية العلوم بنغازي - ج. ع. ل. ش. ع

...

في ١٣ سبتمبر عام ١٩٦٧ جربت في الولايات المتحدة الأمريكية قنبلة ذرية في صحراء نيفادا، وجعلت القنبلة عند نهاية سرداب طويل تحت الأرض طوله ٦٠٠ متر وعلى عمق ٣٥٠ متر.

وفي سنة ١٩٦٩ لاحظ العلماء جيمس أولسن وكورتيس كلندر ووليام جامسن أن بعض الصخور تحولت إلى كريستال متبلور.

أما الشيء الأهم في ذلك فهو أن بعض الصخور قد تحولت إلى ماس وياقوت.

محمد عبد الرحمن سيدين
الدقهلية - مصر

أيام الراحة



هذه الأيام كانت أيام راحتهم الأسبوعية

الأحد: وكان يوم الراحة لدى الرومان.
الاثنين: وكان يوم الراحة عند قدماء اليونان.
الثلاثاء: وكان يوم الراحة عند الفرس.
الأربعاء: وكان يوم الراحة عند الآشوريين.
الخميس: وكان يوم الراحة عند قدماء المصريين.
الجمعة: وهو يوم الراحة عند المسلمين.
السبت: وهو يوم الراحة عند اليهود.

خالد رستم
دمشق - سوريا

حاول أن تعرف ...



▲ مسجد من أكبر مساجد العالم ـ يقع في دولة إسلامية آسيوية ـ [illegible] ما اسم هذا المسجد وفي أي مدن تلك الدولة يقع ؟



◄ فنان [illegible] ولد في هولندا عام ١٨٥٣ ـ عمل مدرساً لمدة عام واحد في انجلترا ثم عاد الى هولندا ـ بدأ الرسم عندما كان عمره ٢٧ [illegible] يرسم لمدة عشر سنوات [illegible] بعد أن أصبح اسمه [illegible] رواد المدرسة التأثيرية.

قالوا ...

● [illegible] حياة واحدة [illegible] في سبيل وطني «[illegible]».

● قد تكبر الصداقة وتقوى فتصير حباً ولكن الحب لا يمكن أن يصغر ويضعف ليعود صداقة.

«[illegible]»

● لو كان الرجال لا يتزوجون إلا ممن يفهمون لبات أكثرهم عزاباً.

«[illegible]»

● من هي الزوجة ؟ هي المرأة التي تصنع من الرجل طفلاً ثم تعود فتصنع من الطفل رجلاً.

عبد الواحد عثماني
تلمسان ـ الجزائر

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٨

● الصورة الأولى ـ البلد : المغرب ● الصورة الثانية : ـ الفنان : بابلو بيكاسو.

● الصورة الأولى :
١ ـ عبد الله علي التغزي ـ السعودية
٢ ـ عبد ابراهيم زاهر ـ ج ـ م ـ ع.

● الصورة الثانية :
١ ـ احمد طارق الفاني ـ لبنان.
٢ ـ نجيب عبد الغفار عبد الله جمهورية اليمن الديمقراطية.

من عجائب المخلوقات



ـ تستطيع سمكة (البيرانها) المتوحشة أن تشم رائحة الدم على بعد ١٠ ميلاً
ـ سمكة الصندوق يمكنها أن تخترق بطن أي سمكة أخرى تبلعها وتعود ثانية للحرية
ـ السمك «الأيوي» الذي يعيش في مياه جزر تاهيتي شفاف بلون الياقوت الأحمر
ـ سمكة البحار الطويلة الأنف تبدو كأنها قطعة من خشب تحرفها المياه ولكنها لا تخشى أي عدو سوى الصيادين من البشر
ـ البجعة الصامتة لا يصدر منها أي صوت إلا في موسم الزواج
ـ العنكبوت الذي يعيش في الكنيبة والرطبة الجنوبية يلتهب من الذباب في ليلة واحدة ما يزيد عن وزنه

محمد حلمي محمد الإمام
منيل الروضة ـ القاهرة



فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطري القارئ : فيصل حريتاني ـ سوريا .

كاريكاتير وتعليق العدد «٨»





١ ـ الخادمة للسيدة : وماذا أفعل لو انقطع التيار الكهربائي ؟
غسان جعفر عبد الرحيم
واد مدني ـ السودان

٢ ـ الخادمة : تأكدي يا سيدتي أن التيار ـ بهذه الطريقة ـ لن ينقطع أبداً .
عصام حيدر حسين ـ اليمن الديمقراطية

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريـــال .



د. درويش مصطفى الفار

القرن الخامس عشر

غاب قرنٌ أم حلّ قرنٌ جديدُ — ليت شعري هل يا جديدُ تجودُ

جئت يا قرنُ إثر قرنٍ أرقنا — فيه ما حاولا [illegible] الحدودُ

إذ طوتنا الأهواء حتى غدونا — زُمَراً مزّقت حماها الحدودُ

شتّتَ الودُّ في أكفِّ عدانا — بأسُنا بيننا قويٌّ شديدُ

أتُرى فيك ريحُ بدرٍ وحطّيـ — ـنَ، وروحُ اليرموكِ حتّى تعودُ

أم ترانا نبقى لآخرِ الدهـ — ـرِ، غثاءً كما يريدُ اليهودُ

ما لدينا من غير جالوتَ إلا — ذكرياتٌ، سرابُ قاعٍ شرودُ

كلُّ فتحٍ إلى زوالٍ إذا لم — يحمِه أن يضيعَ عزمٌ رشيدُ

ضاع منا ما ضاع حين أضعنا — [illegible] حفظُ العزيزُ الحميدُ

ربِّ يا منزلَ الكتاب [illegible] — [illegible] إليه تعودُ

يا منجّي الخليل من نور [illegible] — [illegible] النمرودُ

يا مجيباً دعاءَ أيوبَ [illegible] — [illegible] الضرُّ والشفاءُ بعيدُ

قد دعاك الذي استجاب له الـ[illegible] — [illegible] يا ودودُ

قال موسى يا ربِّ أنت [illegible] — [illegible] إذ يكيدُ

كنت لابن البتول خير [illegible] — [illegible] فيتروُدُ

أنت يا ربُّ دون أي شريكٍ — [illegible] الحميدُ

أنت في السدرة الدقيقة [illegible] — [illegible] الإنسانُ وحتى [illegible]

أنت مثلُ الشديدِ مُزجي سحابٍ — [illegible] ولولاك ما الحصير [illegible]

أنت أصلُ الأكمالِ لا يُدرِكُ الحـ — ـسُّ مَداهُ وما حَدّكَ التحديدُ

أنت باقي الجبالِ شُمّاً شَماخاً — راسياتٍ إذا تلاشاه تَميدُ

أنت سرُّ الزمان كلِّ مكانٍ — أنت أوجدته فنعم الوجودُ

أنت اللهُ ذو الجلالِ إلهُ الأمـ — ـرِ وإن ضلّ كافرٌ أو [illegible]

[illegible] النبي [illegible] في غار ثورٍ — يوم أن عمّ في قريشٍ الجحودُ

بعد عشرٍ من الضحى كالجبال — وثلاثٍ منها الجبالُ [illegible]

فاختار المصطفى ليثرب [illegible] — أذن اللهُ للأولى أن يسودوا

فبنى الدولةَ التي مَثّت النـ — ـاسَ جميعاً شعارُها التوحيدُ

كان في خلقه سويَّ الخصال — وهو في الخَلقِ أحمدٌ محمودُ

زانه اللهُ من لدنه بعلمٍ — فهو في علمه وحيدٌ فريدُ

سيّدي المصطفى عليك صلاةٌ — والسلامُ المباركُ المعدودُ

عدد الرمل والحصى والمجـ — ـراتِ وما يحتويه وجودُ

كلما هبّت الرياحُ أو هطل الغيـ — ـثُ ودوّت [illegible] رعودُ

جئت عبر القرون أهدي نشيدي — لرحاب المختار كان النشيدُ

قد تجاوزتُ إذ أشوقُ قصيدي — أنت فوق الذي حواه القصيدُ

إنه الوجدُ يا شفيعَ البرايا — ليس تلثيه عن حماك قيودُ